المجلد الثاني – العدد الأول

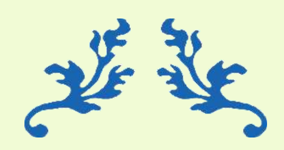
www.hilalalhind.com

ISSN: 2582-9254



Vol. No. 2, Issue No. 1

January – March 2022



هلال الهند

ISSN: 2582-9254

مجلة إلكترونية فصلية دولية محكمة



رئيس التحرير
أ.د. مجيب الرحمن

يصدرها:

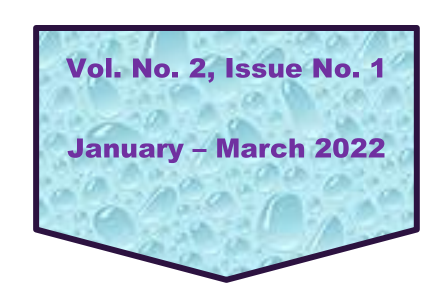
د. مخلص الرحمن

سانغاتي بلّي، رامبور هات، بيربوم،

بنغال الغربية – الهند، 731224

ISSN: 2582-9254 www.hilalalhind.com المجلد الثاني – العدد الأول







هلال الهند

ISSN: 2582-9254

مجلة إلكترونية فصلية دولية محكمة



رئيس التحرير
أ.د. مجيب الرحمن

يصدرها:
د. مخلص الرحمن
سانغاتي بلي، رامبور هات، بيربوم،
بنغال الغربية – الهند، 731224

هلال الهند

(مجلة إلكترونية فصلية دولية محكمة)

أهداف المجلة

المجلة تهدف إلى:

- إتاحة الفرص للكتاب والباحثين لنشر أعمالهم العلمية والأدبية والبحثية، وإبرازها على المستوى العالمي.
- توفير وعاء رقمي ومنصة إلكترونية لتعزيز المحتوى الرقمي العربي ونشره وترويجه من خلال المجلة ذات الوصول المفتوح على الشبكة العنكبوتية.
- مؤازرة أصحاب الأقلام المبدعة والرؤى الثاقبة الذين يساهمون في النهوض باللغة العربية والارتقاء بها، بنشر بحوثهم العلمية، ودراساتهم النقدية، ونتاجات قرائحهم الإبداعية.
- مواكبة حركة التطور العلمي والبحثي في مجال اللغة العربية وآدابها على الصعيدين المحلي والدولي، والاهتمام بمعالجة القضايا المعاصرة بالبحث والتحليل والتحقيق.
- نشر الأعمال الأدبية والعلمية والثقافية والتراثية العالمية عن طريق ترجمتها من اللغات العالمية، بما فيها الهندية، إلى اللغة العربية.
- الإسهام في بناء مجتمع معرفي بنشر البحوث والمقالات عالية الجودة في مختلف المجالات مع الالتزام بالمعايير العلمية والعالمية الدقيقة للبحث.
- تحقيق مبادئ الأمن والسلام والتعايش السلمي والحوار بين الأديان والحضارات والثقافات من خلال الإبداع.
- إصدار أعداد خاصة في محاور هامة تخص أهداف المجلة التي من شأنها أن تكون ذات فائدة علمية كبيرة لطلبة وباحثي وأساتذة اللغة العربية في الهند.
- إقامة جسر علمي وثقافي بين الهند والعالم العربي من خلال اعتماد وتنفيذ مشاريع علمية وبحثية مشتركة بهدف توطيد أواصر التعاون العلمي بين المهتمين بالشأن الثقافي العربي في الهند والعالم العربي.

الآراء المنشورة في مجلة "هلال الهند" تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تمثل بالضرورة وجهات نظر هيئة التحرير أو المجلة. ولا يخضع ترتيب المنشور فيها لمستوى البحث أو الباحث.

هيئة التحكيم

الهيئة الاستشارية

شروط النشر في المجلة:

- أن تكون المقالات البحثية أصيلة وألا تكون قد نشرت أو قدمت للنشر في أي مكان آخر جزئيا أو كليا.
- أن يقع البحث في مجال أهداف المجلة واهتماماتها البحثية.
- أن يكتب الباحث اسمه الكامل ومسماه الوظيفي وجهة عمله وبريده الإلكتروني ويلصق صورته ذات مقاس الجوازات.
- أن يتقيَّد البحث بمواصفات التوثيق وفقاً لنظام الإحالات المرجعية الذي تعتمده المجلة.
- أن يتحرى الباحث في عمله الجدة والعمق والقصد، والالتزام بالشروط العلمية والمنهجية المتبعة أكاديميا.
- أن يُرفق مع البحث ملخص لا يزيد على 250 كلمة.
- أن يُرفق الملخص بكلمات مفتاحية لا تزيد على 6 كلمات ترتب هجائياً.
- يجب أن يكون المقال خالياً من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.
- أن يكون المقال مطبوعا ببرنامج (MS Word)، ونوع الخط Fanan، وحجم الخط 16 في كتابة المتن، وبمسافة 1.5 بين سطور المتن، وحجم الخط 16 في العناوين الرئيسية والفرعية للمتن بخط غليظ، و12 للحواشي. وفي اللغة الأجنبية، نوع الخط (Times New Roman) ، وحجم الخط 12 في المتن، وفي الهوامش نفس الخط مع حجم 10.
- ألا يزيد عدد الكلمات 4000، بما فيها ملخص البحث والمصادر والمراجع والجداول والرسوم وكافة الملحقات.
- أن تُوضع لكل صفحة أرقام هوامشها الخاصة بها في الأسفل، وأن تذكر المراجع والمصادر في النهاية.
- تخضع البحوث للتحكيم والمراجعة العمياء من قبل خبراء متخصصين، ويُتخذ قرار نشر البحوث في ضوء آراء المحكَّمين وقرار هيئة التحرير.
- تحتفظ المجلة بحقها في حذف أو إعادة صياغة بعض الكلمات والعبارات التي لا تتناسب مع أسلوبها في النشر ولا تلتزم المجلة برد المقالات غير المقبولة للنشر إلى أصحابها.
- تعبّر الآراء العلمية المنشورة في البحوث عن آراء كاتبيها، ونظرتهم الشخصية، ولا تمثل بالضرورة وجهات نظر هيئة التحرير أو المجلة.

يُرجى في تدوين الهوامش في البحث مراعاة الخطوات التالية:

عند ذكر المرجع للمرة الأولى:

- **الكتب:** لقب المؤلف أو الاسم الأخير للمؤلف، الاسم الأول للمؤلف، عنوان الكتاب بخط غليظ، الترجمة، (إن وجدت) (مكان النشر: الناشر، عدد الطبعة، تاريخ النشر)، الجزء إن وجد، الصفحة. على سبيل المثال: الرحمن، مجيب: **تأثير اللغة الإنجليزية في أسلوب الصحافة العربية** (نيو دلهي: محمد جمشيد، الطبعة الأولى، 2004م) ص:22.
- **الكتاب المترجم:** حيدر، قرة العين: نهر النار، ترجمة: أ.د مجيب الرحمان، (الإمارات العربية المتحدة: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، 2020م) ص:30
- **المجلات والدوريات:** اسم الكاتب، عنوان المقال، اسم المجلة بخط غليظ، السنة، العدد، الصفحة.
- عند تكرار المصدر أو المرجع في الهامش التالي مباشرة تتبع الطريقة الآتية: المرجع نفسه، المصدر نفسه ج، ص.
- عند تكرار المصدر أو المرجع في موضع آخر من البحث، اسم الشهرة للمؤلف، عنوان الكتاب بخط غليظ أو المقال، ج، ص.
- **المراجع الالكترونية:** اسم المؤلف، أو المنظمة، "عنوان المقال"، (بين فاصلتين مزدوجتين)، الرابط كاملا إذا كان الرابط صغيرا، وإذا كان الرابط كبيرا فيكفي ذكر الموقع الإلكتروني، وتاريخ التصفح.
- وإذا كانت المراجع صحيفة، فيكتب اسم الكاتب، "عنوان المقالة أو التقرير"، اسم الصحيفة، ثم تحديد نوعها أهي يومية أم أسبوعية أم شهرية، (مكان الصدور)، والعدد، والتاريخ، والصفحة، على سبيل المثال: مفيد نجم، "الرواية الواقعية"، جريدة العرب اليومية، (بريطانيا)، العدد 9983، 21 يوليو 2015م، ص 15
- المخطوطات: اسم المؤلف كاملاً، عنوان المخطوط كاملاً، ويذكر اسم المكان المحفوظ فيه هذا الاقتباس ويشار إلى تاريخ النسخة، وعدد أوراقها.
- تُخرج الآيات في متن الحديث، وليس في الهوامش، ويكون التخريج كالآتي: (الإخلاص: 1).

المحتويات

رقم	العناوين	الكاتب	الصفحة
-	الغلاف والمحتوى	-	1-6
-	كلمة التحرير	رئيس التحرير/ أ.د. مجيب الرحمن	7-11
	دراسات أدبية وفنية وثقافية		
1	اللُّغة العربية والهُويّة الثّقافيَّة: التَّحدِّيات والآفاق المستقبليّة	د. زهراء علي دخيل	12-43
2	سيكولوجيا الإبداع وأبعادها التأويلية- (كونفينيس) لسليم بتقة أنموذجا	شهيرة زرناجي	44-64
3	توظيف الشبكات الاجتماعية والمنصات الإلكترونية في مجال التعليم: دراسة مسحية عن توظيفها في تعليم اللغة العربية وتعلمها في كشمير	د. جاويد أحمد بال	65-81
4	الدكتور مقتدى حسن الأزهري وجهوده التربوية	د. رفيق أختر	82-122
5	شاعر المديح عبد المنان الميواتي الدهلوي	محمد عارف الميواتي	123-134
6	صورة الرجل في روايات سحر خليفة	محمد عبد الرب	135-145
7	القضية الفلسطينية في أعمال يوسف السباعي	عبد المتين	146-158
8	انعكاس المرأة في ثلاثية "أطياف الأزقة المهجورة" لتركي الحمد	إرشاد مرزا	159-180
9	دراسة تحليلية لكتابين "مفتاح العربية ونفحة الأدب" لتعليم اللغة العربية في المرحلة الثانوية في الهند	محمد سعود الأعظمي	181-191
10	أثر الشعر العربي على الشعر الأردي: التقليد عند شعراء اللغة الأردية	د. سيد حسن سردار	192-203
	إبداعات أدبية		
11	قصة: شقاء زينب	د. تجمل حق	204-208
12	قصة: إهدار العدالة	د. محمود عالم الصديقي	209-218
13	قصة: الفأل	ترجمة: د. مخلص الرحمن	219-222
14	قصة: الكفن	ترجمة: د. قمر شعبان	223-229

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

فلقد أطل علينا العام الجديد 2022 بتباشير انفراج وباء كوفيد-19 الذي أرخى سدوله وناء بكلكله على البشرية جمعاء منذ ما يزيد عن عام ونصف عام، والعالم يشهد من معاناة وشقاء لا توصف، وغيّر الوباءُ العالمَ كله بطرق مازال الخبراء يبحثون في أبعادها ومدى عمق تأثيرها على مدى السنوات المقبلة، وما إن بدأ العالم يرفرف جناحيه للانطلاق نحو العودة إلى الحياة العادية إذ داهم المتحور أوميكرون الذي تسبب في احتفالات خافتة وباهتة بحلول العام الجديد، وشرعت دول العالم من جديد في اتخاذ تدابير احترازية مع ارتفاع عدد الإصابات اليومية، ولحسن الحظ، المتحور أوميكرون ليس فتاكا مثل بقية المتحورات السابقة على الرغم من سرعة انتشاره، مما أدى الكثير من الدول والحكومات مثل بريطانيا وغيرها إلى رفع الحجر الصحي وإعطاء الإشارة الخضراء للعودة إلى الحياة الطبيعية.

أما في بلادنا الهند التي شهدت هي الأخرى، الموجة الثانية الشرسة في منتصف العام الماضي، لوحظ ارتفاع ملحوظ في عدد الإصابات في يناير الماضي مع قلة عدد الوفيات، وبدأت الأوضاع تتحسن يوما بعد يوم، وقد أعلنت عدد من الجامعات الهندية مؤخرا بما فيها جامعتنا جامعة جواهر لال نهرو فتح أبواب الجامعة للطلبة والطالبات وبدء المحاضرات الحضورية، وهو ما يبعث الأمل على عودة حرم الجامعة إلى حياته السابقة المليئة بالمرح والنقاشات العلمية الجادة والمثيرة بين الطلبة والأساتذة وبين الطلبة أنفسهم، فقد عرفت هذه

الجامعة منذ تأسيسها ببيئتها العلمية والثقافية النابضة بالحياة التي تتميز بالحوار والمناقشة والتفاعل النشط بين الأساتذة والطلبة، وكم عانينا نحن الأساتذة والطلبة معاً خلال السنتين الماضيتين من العزلة والوحدة، رغم لقائنا كل يوم في الفصول الافتراضية، وأدركنا من خلال تجربتنا في التعليم عن بعد أن الحياة في حرم الجامعة مع الزملاء والزميلات وفي الصفوف الدراسية هي تجربة لا غنى عنها في عملية التعلم والتعليم، وأن التعليم عن بعد، على الرغم من أهميته المتزايدة لن يستطيع أن يحل محل التعليم الحضوري التفاعلي في الصفوف الدراسية.

غير أن زمن الكورونا أتى معه بالكثير من الإيجابيات، فقد استطعنا إقامة جسر ثقافي مع الكتاب والمثقفين العرب عبر ندوات افتراضية، وفتح لنا آفاقاً جديدة في النشر الإلكتروني، فقمنا بإطلاق مجلة بحثية إلكترونية فصلية محكمة "هلال الهند" في مستهل يناير 2021، ثم أطلقنا مجلة إبداعية باسم "قطوف الهند" في مطلع يناير من العام الجاري، وقمنا بتدشين العدد الأول للمجلة علي يد الروائي الكبير واسيني الأعرج في ندوة افتراضية ترأستها الشاعرة والأديبة وفاء عبد الرزاق، وشهد حدث تدشين المجلة تغطية إعلامية واسعة في الصحف العربية، ولقيت الأخيرة ترحيبا حارا من الكتاب والباحثين الشباب في الهند نظرا لدورها المرتقب في تشويق الهنود إلى قراءة القصص والروايات والمسرحيات العربية وفي خلق جو إبداعي في الوسط الثقافي العربي في الهند وتحفيز الكتاب الشباب على كتابة القصة والرواية والمسرحية وغيرها من الأصناف الإبداعية.

في خضم هذه الظروف الحالكة، لم نفقد الأمل، ولم نستكن، بل وسعينا إلى أن نستفيد قدر الإمكان من الفرص المتاحة أمامنا، فعمل فريقنا في المجلتين

ليل نهار في إصدار جميع أعدادها في مواعيدها، والحمد لله أن مجلتنا ومجلتكم "هلال الهند"، أكملت عامها الأول بعد أن صدر لها أربعة أعداد، ويزيد عدد المقالات والبحوث المنشورة فيها عن مئة بحث، منها عدد خاص ببحوث في أعمال الدكتورة سناء الشعلان، والمجلة وإذ تدخل عامها الثاني تتقدم إلى الأمام بخطى واثقة ملتزمة بمعايير الدقة العلمية ومتعهدةً بالسهر على رفع مستواها بالتعاون مع القراء والمختصين، وعليه أشدد على دور الملاحظات والتعليقات والنقد البناء من القراء في رفع مستوى المجلة.

إن هذا العدد الجديد الماثل بين أيديكم، وهو الأول للعام الجديد 2022، نقدم إليكم من خلاله باقة من البحوث والقصص العربية بأقلام الباحثين العرب والهنود في شتى مواضيع الثقافة العربية، ففي فئة الدراسات الأدبية والثقافية نقدم بحث د. زهراء علي خليل بعنوان "اللغة العربية والهوية الثقافية: التحديات والآفاق المستقبلية" تناولت فيها الباحثة آفاق العلاقة بين اللُّغة والهُويَّة، وأهمِّيَّة اللُّغة؛ كونها تُمثّلُ وعاءً يحمل موروث الأُمّة وتُراثها، وحضارتها، وانتماءها الإنسانيّ، وخُصوصيّتها القيميّة، وثقافتها، وإبداعها، كما أشارت إلى الاعتزاز اللُّغويّ الذي يمثل أحد مظاهر الاعتزاز لدى الإنسان، إلى جانب ما يعتزُّ به من انتماء إلى الوطن، والقوم، والدِّين. والناظر المُمعن إلى بدايات مراحل نشوء الحضارات والأُمَم والدُّول القويّة يلحظ جليًّا اعتزاز المُجتمعات بمُقوّماتها الهُويّاتيّة وفي صدارتها اللُّغة، فكانت من أسباب النُّهوض، وتقوية الإرادة في العمل، والرُّقيّ، والرّيادة، والسّيادة. وتمّ التّركيز على دور بعض المُستشرقين والمُبشّرين في بثّ الفرقة والانقسام بين أبناء الأُمّة الواحدة. كما تكشّف البحث في تحدّيات الهُويّة الثّقافيّة العربيّة...؛ فتطلّبت معالجةً عميقةً، وتبنّي وسائل فاعلة، ومهارات خاصّة، وأدوات معرفيّة مُتخصِّصة"، على حد تعبير الباحثة، ويليها بحث شهيرة زرناجي الموسوم "سيكولوجيا الإبداع

وأبعادها التأويلية- (كونفينيس) لسليم بتقة أنموذجاً" سعت الباحثة من خلاله إلى فهم سيكولوجيا المبدع عبر نصوص سليم بتقة، وفتح باب التأويل بالوقوف على استحضار التاريخ البشري بكل ما يحمله من أساطير وأغان تراثية، وأشعار عربية، فيما تناول الباحث الهندي جاويد أحمد بال موضوع توظيف الشبكات الاجتماعية والمنصات الرقمية في تعليم اللغة العربية عن بعد في ولاية جامو وكاشمير، وتناول الباحث د. رفيق أختر جهود الدكتور مقتدى حسن الأزهري في مجال التربية والتعليم، وبحث محمد عارف الميواتي في مساهمة الشاعر عبد المنان الميواتي الدهلوي في شعر المديح العربي، وأبرز الباحث عبد الرب صورة الرجل في روايات سحر خليفة، كما تناول الباحث عبد المتين القضية الفلسطينية في أعمال يوسف السباعي، فيما قام الباحث إرشاد مرزا بدراسة تجليات المرأة في ثلاثية "أطياف الأزقة المهجورة" لتركي الحمد الروائي السعودي المتميز، وتناول الباحث الشاب سعود الأعظمي دراسة تحليلية للكتابين "مفتاح العربية" و"نفحة الأدب" ومدى نفعهما في تعليم اللغة العربية في المرحلة الثانوية بالهند، وأخيرا تناول الباحث حسن سردار موضوع أثر الشعر العربي في الشعر الأردي، وهو موضوع مهم جدا بحث فيه كبار العلماء في الهند من أمثال العلامة شبلي النعماني والعلامة سيد سليمان الندوي وغيرهما.

أما في فئة الإبداع فنقدم إليكم قصة "شقاء زينب"، للكاتب الشاب د. تجمل حق، وقصة "إهدار العدالة"، للباحث والكاتب محمود عالم صديقي، وأما في فئة القصة المترجمة من الآداب الهندية فنقدم قصتين هما: "الفأل"، و"الكفن"، ترجمها د. مخلص الرحمن ود. قمر شعبان على التوالي، وقصة "الكفن" هي من أشهر القصص لعملاق الأدب الهندي بريم تشاند.

أقدم إليكم العدد الأول للعام الجديد بأمل أن تنال البحوث والمقالات رضاكم راجين منكم إفادتنا بمشوراتكم ونصائحكم لرفع مستوى المجلة.

كما أدعوكم للمساهمة في العدد التالي الذي تم تخصيصه للبحوث والدراسات النقدية عن أعمال الشاعرة والروائية والقاصة الكبيرة وفاء عبد الرزاق، وسوف ينشر العدد في مطلع أبريل إن شاء الله.

وإلى اللقاء عن قريب بإذن الله!

أ.د. مجيب الرحمن
رئيس التحرير

...................❖❖❖❖❖ ....

اللُّغة العربيَّة والهُويّة الثّقافيَّة: التَّحدِّيات والآفاق المُستقبليّة

د. زهراء علي دخيل *
profzahraa@gmail.com

ملخص البحث:

تناولت هذه الورقة البحثيّة موضوع "**اللُّغة العربيّة والهُويَّة الثَّقافيّة التَّحدِّيات والآفاق المُستقبليّة**". تناولت الباحثة موضوع الدِّراسة من خلال الآتي:

التركيز على آفاق العلاقة بين اللُّغة والهُويَّة، وأهمِّيَّة اللُّغة؛ لأنّها تُمثّلُ وعاءً يحمل موروث الأُمّة وتُراثها، وحضارتها، وانتماءها الإنسانيّ، وخُصوصيّتها القيميّة، وثقافتها، وإبداعها.

تتميّز اللُّغة العربيَّة بمُميّزات عدّة؛ وقد ارتبطت بالقرآن الكريم محتوى ومبنى، وجوهرًا، وأصالةً، كما ارتبط بها فكر الإسلام: حديثًا، وشعرًا، وأدبًا، وفقهًا، وسيرةً.

وتمّت الإشارة إلى الاعتزاز اللُّغويّ؛ إذ تُمثّل اللُّغة إحدى مظاهر الاعتزاز لدى الإنسان، إلى جانب ما يعتزُّ به من انتماء إلى الوطن، والقوم، والدِّين. والنّاظر المُمعن إلى بدايات مراحل نشوء الحضارات والأُمَم والدُّول القويّة يلحظ جليًّا اعتزاز المُجتمعات بمُقوّماتها الهُويّاتيّة وفي صدارتها اللُّغة؛ فكانت من أسباب النُّهوض، وتقوية الإرادة في العمل، والرُّقيّ، والرّيادة، والسّيادة. وتمّ التّركيز على دور بعض المُستشرقين والمُبشّرين في بثّ الفرقة والانقسام بين أبناء الأُمّة الواحدة. كما تكثّف البحث في تحدّيات الهُويّة الثّقافيّة العربيّة...؛ فتطلّبت معالجةً عميقةً، وتبنّي وسائل فاعلة، ومهارات خاصّة، وأدوات معرفيّة مُتخصِّصة.

---

* دكتوراه دولة في اللُّغة العربيَّة وآدابها- الجامعة اللُّبنانيَّة.

واختتمت الورقة البحثيّة بمجموعة من التّوصيات تؤكّد تعزيز دور اللُّغة العربيّة، وإعادة دولة اللُّغة العربيّة، وإحياء مجدها بعصورها الزّاهرة كعصر صدر الإسلام، والقرن الرابع الهجري؛ إذ كانت اللُّغة العربيّة اللُّغة العالميّة الأولى في العالم. والاستفادة من تجربة السّياسات اللُّغويّة للعالم الغربيّ في الحفاظ على لغاتهم، ونشرها وتطبيقها في الدُّول الإسلاميّة، مثل: ربط العربيّة بسوق العمل. وتوضيح للعالم أهمّيّة اللُّغة العربيَّة وصلاحيّتها، وتعزيز مكانتها، والاهتمام بها، وإيلاء العناية بها، والعمل على تدوين العلوم والمعارف باللُّغة العربيّة؛ لثباتها، وبقائها، واستمراريّتها، وقوّتها، ومرونتها. وقد أثبتت التّجارب عبر التّأريخ أنّها خرجت من محنٍ كبيرةٍ قويّة منتصرةً.

الكلمات المفتاحيّة: اللُّغة-الهُويّة- الانتماء- المواطنة- العولمة- المحتوى الرقميّ العربيّ-الاستعمار المعلوماتيّ-السِّياسة اللُّغويّة-التّخطيط اللّغوي.

تساؤلات الدّراسة :

-هل يُعدُّ الحفاظ على اللُّغة والهُويّة والانتماء فرضًا دينيًّا ؟

-هل تُعدُّ قضايا اللُّغة والهُويّة والمواطنة قضايا مُهمّة ومُلحّة في عصر العولمة المُحطّم للخُصُوصيّات والانتماء والهُويّات؟ وما أثر فقدان الهُويّة على الأُمّة العربيَّة؟

– ما أهمِّيَّة اللُّغة العربيّة وما الدَّور الّذي أدّته قديمًا، وتؤدّيه حديثًا في الرُّقيّ بالأُمّة العربيّة؟

-لماذا نحافظ على اللُّغة العربيّة؟. ما مدى ارتباط الفرد العربيّ بلغته الأُم ؟

– ماذا عن مُخطّطات التَّغريب محاولةً كشف القناع عن وجهها الخبيث؟

– ما التَّحدِّيات الَّتي تُواجه اللُّغة العربيَّة في عصر المعلومات والعولمة ؟

– ما دور المحتوى الرَّقميّ العربي في الحفاظ على الهُويّة؟

-ما التَّوصيات والمقترحات للحفاظ على اللّغة والهُويّة؟

أهمِّيَّة الدِّراسة:

لقد حدثت تحوُّلات اقتصاديّة، وسياسيّة، واجتماعيّة، وثقافيّة مُتعدّدة الأبعاد، تخترق الوجود؛ لتحطيم ثوابت الفكر، وتراجع القيم الأخلاقيّة، فخطر الثَّقافات الأخرى على ثقافتنا العربيّة يسعى إلى إلغاء الهُويَّة والانتماء، وعلى أبناء العربيّة رفض الهيمنة من الدُّول الكبرى؛ لتدعيم الثَّقافة العربيّة الإسلاميّة ، واستنهاض آليات الحفاظ عليها من تحدِّي الاختراق الثَّقافي والحفاظ على الهُويّة في العصر الرّقميّ .

إنّها دراسة ضروريّة ومُلحّة لأغلب الموضوعات المُتعلِّقة باللُّغة والمواطنة والهُويّة مثل؛ المحتوى العربيّ، والتّعليم، والبحث العلميّ، وغيرها، وتشرح أهمّيّة اللُّغة والمواطنة والهُويّة والعلاقة بينهما، وتعالج تأثير الانفتاح المعلوماتيّ على المُتأثّرين به خاصّة الشَّباب والأطفال، وغيرهم.

ترجع أهمّيّة هذه الدِّراسة إلى استنهاض اللُّغة العربيّة وتطويرها. ومِنْ ثَمَّة إيجاد آليَّات لتطوير الرّقمنة ، وإثراء المحتوى العربيّ الرقميّ على الإنترنت .

أهداف الدراسة:

-الدَّعوة إلى الحفاظ على الهُويّة الوطنيّة والهُويّة اللُّغويّة العربيّة خاصّة.

-السّعي إلى تقديم جهود وأفكار مائزة تخدم الشّأن اللُّغويّ في بلداننا العربيّة.

-دعوة المُؤسّسات اللُّغويَّة إلى نشر فكرة الاهتمام والاعتزاز باللُّغة واللغة العربيّة خاصّة.

منهج الدِّراسة:

إنّ المنهج المناسب لدراسة هذا الموضوع هو المنهج المنطلق من توصيف الحال والمقام احتفاءً بالأسلوب العلميّ الرّصين في البحث، والّذي يتمثّل بتسجيل، أو تدوين العلاقة بين اللّغة والمواطنة والهويّة، ومعرفة التّحدِّيات الّتي تواجه رقمنة الإنتاج الفكريّ، والتُّراث العربيّ، ودَرسها وتفسيرها وتحليلها منعًا للإسقاط، فيكون الانطلاق من العناصر لا من إقحام القاعدة على الواقع، وذلك بقصد التّوصُّل إلى حقائق، ونتائج علميّة، تحفل برصد العلاقة بين

اللّغة والمواطنة والهويّة، ودرس السّياسات اللّغويّة والتّخطيط اللّغويّ للّغة العربيّة والآفاق المستقبليّة، وتحليلها، ومناقشتها، وتفسيرها. وعليه، يحتكم العمل إلى المنهجين: الوصفيّ والتّحليليّ.

تمهيد:

موضوع الدِّراسة "اللُّغة العربيّة والهُويّة الثّقافيّة التّحدّيات والآفاق المستقبليّة" من القضايا الأساسيّة الّتي شغلت قطاعات المُثقّفين والسّياسيِّين والإصلاحيِّين في الوطن العربيّ، وعقدت فيه مؤتمرات وندوات كثيرة، ناهيك عمّا كتب من موضوعات ودراسات لا حصر لها، وهذا الاتّجاه ليس بالجديد؛ وإنّما هو قديم جدًّا، إلّا أنّ المعالجة والمرجعيّة تختلف باختلاف المُتغيّرات من حولنا بسرعةٍ رهيبةٍ.

اللُّغة والمواطنة والهُويّة:

ينعقد هذا العنوان من ثلاثة ألفاظ تربط بينها علاقة العطف بحرف العطف "الواو" ، ولعلّها تُفيد بهذا العطف شدّة التّماهي بين المصطلحات الثّلاثة المذكورة، وتُشير إلى التّطابق على نحو يمكن القول: لا مواطنة من دون هُويّة، ولا هُويّة من دون لغة.

إنّ اللُّغة هي انتماء وهُويّة وثقافة وسيادة وطنيّة. ووعاء يحمل موروث الأمة العلميّ والتّأريخيّ والأدبيّ. ويجعله تراثًا حيًّا يتداوله أبناء الأُمّة. كالأتراك انفصلوا عن موروثهم وحضارتهم. وهي كيان كإحياء العبريّة. وتقيم روابط الاتّصال والانسجام بين أبناء الأُمَّة الواحدة. وبين تأريخهم. قال فيلسوف الألمان فيختـه: "اللُّغة تجعل من الأمّة النّاطقة بها كلًّا مُتراصًّا". وقال فوسلر: "إنّ اللُّغة القوميّة وطنٌ روحيّ للإنسان".

تُعدّ اللغة إحدى مظاهر الاعتزاز لدى الإنسان، إلى جانب ما يعتزُّ به من انتماء إلى الوطن والقوم والدِّين. والنّاظر المُمعن إلى بدايات مراحل نشوء

الحضارات والأُمم والدُّول القويّة يلحظ جليًّا اعتزاز المجتمعات بمقوماتها الهُويّاتيّة وفي صدارتها اللُّغة؛ فكانت من أسباب النُّهوض، وتقوية الإرادة في العمل والرُّقيّ والرِّيادة والسّيادة.

لا ينبغي لأبناء اللّغة العربيّة أن يقفوا موقف المُتفرّجين ،وهم يرون الأُمم الّتي تنهض بلغتها خدمةً وتوسيعًا ونشرًا وتصديرًا. فالاهتمام باللُّغة مشروع وحقّ لكلِّ ناطق . فأبناء الأُمّة العربيّة مطلوبٌ منهم المحافظة على ذلك الإرث والكنز الحضاريّ الّذي امتازت به لغتنا العربيّة، ويكون الاهتمام باللُّغة العربيّة دافعًا إلى الجِدّ والجدِّيَّة في العمل على مختلف جوانب اللُّغة الّتي ما زالت تحتاج إلى النّظَر والتّفعيل.

فعلم اللُّغة العربيّة من أشرف العلوم مكانةً، ومن أهمّها مركزًا، وعليها تُدارُ العلوم، وتُفهم الفنون" وحسبُكَ من شرف هذا العلم أنّ كلّ علم على الإطلاق مُفتقر إلى معرفته، محتاج إلى استعماله في محاورته، وصاحبه فقير مفتقر إلى غيره، وغير محتاج إلى الاعتضاد، والاعتماد على سواه، فإنّ العلم إنّما هو باللّسان، فإذا كان اللِّسان معوجًّا حتى يستقيم ما هو به"[لخ].

إنّ اللّغةُ لَيسَت أداةً للتّعبيرِ فَحسب، ولا وَسيلةً للتّواصُلِ بينَ الأفرادِ، ولكنّها شأن من شُؤون الهُويّة، والأمنِ القوميّ، والسِّيادَةِ الوطنيّة، في كلّ بَلَدٍ، أو وَطنٍ، أو أمّةٍ. والهُويةُ مَفْهومٌ يَعْني الإحساسَ بالانتماءِ إلى الوطن، أو الدّينُ والثّقافَةُ. واللُّغةَ هي الهُويَّةُ ذاتُها، وثَقافةُ الأمّةِ كامنةٌ في لغتِها، وما من حَضارةٍ إنسانيّةٍ إلّا وصاحبتها اللُّغةُ، وما من صراعٍ بشريٍّ إلّا ويكْمُنُ خلْفَه صراعٌ لغويٌّ خَفيٌّ.[2]

[لخ] ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1993م، مج1، ص34.

[بر] أ.د. عبدالرحمن بودرع، ورَشيد بلحبيب: الهُويّاتُ اللُّغويّة في المَغرب من التَّعايُش إلى التّصادُم، ما علاقة اللُّغة بالهُويّة ؟ ص: 247-280. ونَبيل عَليّ، الثّقافَة العربيّة وعَصر المَعْلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافيّ العربيّ ،عالم المعرفة، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، الكويت ، ع276، 2002م، ص228.

وجوهر السّيادة هو الحفاظ على الهُويّة، واللّغة أول دعائم هذه الهُويّة، والحفاظ عليها حفاظ على مُقوّمات الأُمّة وبقائها وحضارتها وسيادتها. وهي الكيان والتّأريخ..

تكاد تنحسر اللّغة العربيّة تدريسًا ودراسةً على وفق مناهج قديمة في أقسام اللّغة العربيّة في الجامعات، وهي أقسام معزولة عن المجتمع ومؤسّسات الدولة الثّقافيّة والإعلاميّة وكذلك السّياسيّة. فضلًا عن أنّ الغالبيَّة العظمى من التّدريسيِّين ليس لهم أثر واضح ولا فرص لبلوغ مواقع اتّخاذ القرار، ووضع السِّياسات اللّغويّة الرَّصينة، والتّخطيط اللّغوي السّليم. ناهيك على أن المُتصدّين للمسؤوليّة وأصحاب القرار لا يعون أهمّيّة اللّغة العربيّة نفسها في السِّيادة الوطنيّة والتنمية والهويّة الوطنية.

لوصول أحد المُتخصّصين بها إلى موقع مُتقدّم. يذكرنا ذلك بقادة الأُمّة الإسلاميّة عندما كانت الأُمّة في أوج قوّتها وحضارتها، فقد تولّوا رعاية اللّغة العربيّة بأنفسهم، وأصدروا الأوامر والقوانين بالحفاظ على سلامتها، ومعالجة اللّحن فيها، ودعم علمائها وتكريمهم وتقريبهم، وتعضيد مؤلّفاتهم. وتشجيعهم لدراسة مزاياها وخصائصها وأسرارها؛ إذ كانت نشأة علوم اللّغة العربيّة والعناية بها بتوجيه من أعلى جهات في الدّولة الإسلاميّة والعربيّة، وبإشراف مباشر من قادة الأُمّة الإسلاميّة وتشجيعهم ومُتابعتهم ولا سيّما الامام علي كرّم الله وجهه. لذلك، تميّزت اللّغة العربيّة بسرعة انتشار لا نظير لها عبر التّأريخ ؛ ما أذهل علماء تاريخ اللّغات من المستشرقين. وقد تميّزت بأضخم تراث شهده العالم من كتب، ودراسات، ومخطوطات.[تر]

[تر] أ.د. حسن منديل العكيلي، اللّغة العربيّة والسّيادة الوطنيّة العراق أنموذجًا، بحث مشارك في المؤتمر العلميّ الدوليّ لجامعة واسط–العراق بعنوان "القضايا التربويّة والإنسانيّة بين مُتغيّرات الواقع وآفاق المستقبل"، (منشور في أعمال المؤتمر لمجلة واسط–كلّيّة التربية الأساسيّة)، 2021م.

عندما تكون العناية صادرة من الجهات العُليا في الدّولة يُعدّ ذلك انتصاراً للّغة العربيّة. ذلك أنّ من طبيعة المجتمع الاقتداء بقادته، والالتزام بالسّياسة الّتي ترسمها الدّولة؛ ما يسهم في تعزيز مكانة العربيّة في نفوس أبنائها، والحرص على سلامتها. ذلك أنّ الحفاظ على اللّغة هو حفاظ على الهُويّة الوطنيّة والثّقافة والتّأريخ، وتلك مَهمّة قادة البلدان ونخبها ومؤسّساتها العلميّة؛ لتحافظ اللّغة العربيّة على المكان الّذي يليق بها.[4]

أوّلًا-آفاق العلاقة بين اللّغة والهُويّة:

هناك الكثير من الأمثلة الواقعيّة في بلاد العالم الّتي لا تقف على بلد واحد حقّق ما وصل إليه من تقدُّم علميّ بغير لغته الوطنيّة، فاليابان، والصين، والبرازيل، وفلندا، وكوريا،...حتى إنّ إسرائيل لم تُقم كيانها إلّا على لغتها القوميّة، اللغة العبرية، فقد هجر من هاجر إلى إسرائيل لغته الوطنيّة، كالألمانيَّة، والنمساويّة، والروسيَّة[سه] "وأحيوا لغة أخرى ماتت علميًّا منذ ألفي سنة...وشتّان بين اللّغتين: العربيّة، والعبريّة في مسيرة الحضارة الإنسانيّة"[شه]

هناك مقولات كثيرة تربط بين اللّغة والسّيادة مثل كفاح الثّورة الجزائرية بوجه اللّغة الفرنسيَّة... قال: عثمان سعدي رئيس الجمعيَّة الجزائريّة للدّفاع عن اللّغة العربيّة وضع اللّغة في الجزائر[7]؛إنّ: (أي ثورة لا يمكن لها أن تُعدّ ناجحة إلّا إذا حقّقت هدفين: تحرير الأرض وتحرير الذّات، وتحرير الذّات لا يكون إلّا بسيادة لغة البلاد، وإنّ "توطين العلم وما ينجم عنه من تقنيّات يستحيل قطعًا خارج اللّغة الّتي بها نكون، ومعها نتماهى، والّتي هي

[ير] المصدر نفسه.

[سه] د. وليد محمد السراقبي، اللُّغة والهُويّة والانتماء ، في: مجلّة دواة، مج 1،ع6،(2015 م)، ص ص57-58.

[شه] د. عبد السلام المسدي، الهُويّة العربيّة والأمن اللّغويّ، المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت، 2014م. ص17.

[له] -في يوم اللّغة العربيّة لسنة 2021م، عثمان سعدي❖ رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللّغة العربيّة، صحيفة الشروق ، الجمعة 11 ديسمبر 2020 م, الموافق لـ 25 ربيع الآخر 1442 هـ.

في الوعي الفرديّ كما هي في الوعي الجمعيّ الرمز الأعلى المُعبّر عن الهُويّة"□ .

وثورة الفيتنام حقّقتها الاثنتان انطلاقًا من مقولة زعيمها (هوشي) في كلام مُوجّه إلى الفيتناميِّين: "لا انتصار لنا على العدوّ إلّا بالعودة إلى ثقافتنا القوميّة ولغتنا الأُمّ، فحافظوا على صفاء لغتكم الفيتناميَّة كما تحافظون على صفاء عيونكم، حذارِ أن تستعملوا كلمةً أجنبيّةً في مكانٍ بإمكانكم أن تستعملوا فيه كلمةً فيتناميّةً"[9] . وكوريا مثال واضح على ذلك أيضًا، فقد تمكّنت من تحقيق طفرة علميّة وتقانيّة مكّنتها من الحصول على موقع مُنافس في موكب الدُّول المُتقدّمة بلغتها الوطنيّة، وتصدّرت التّقانة والخبرة ما يساوي، أو يفوق ما تصدره أغنى بلداننا بموارد الطّاقة"[لحلخ]. وقد سادت الفرنسيَّة في الجزائر لسيادة الاستعمار الفرنسيّ على الجزائر، وأصدر قانونًا في العام 1794م نصّ مادّته الثّالثة كما يلي: "كلّ من يوقع وثيقة ابتداء من يوليو بلغة غير اللُّغة الفرنسيَّة يمثل أمام محكمة حيَّة، ويُحكم عليه بستّة أشهر سجنًا، وبالطّرد من الوظيفة") .[11]

من نماذج ذلك ما أصدره الرئيس الفرنسيّ في الجزائر إبَّان الاحتلال في العام 1937م من قرار بعقوبة كل من يخاطب السُّلطات الفرنسيَّة بغير اللُّغة الفرنسيَّة الإعدام .

عرف العرب شدّة التّلاحم بين هُويّتهم الحضاريّة وأمنهم اللُّغويّ، وأدركوا أن "ليست العلاقة بين اللُّغة والهُويَّة مبحثًا ثقافيًّا أنثروبولوجيًّا؛ وإنّما هي

□ أمين الخولي، مشكلات حياتنا اللغوية ، دار المعرفة، القاهرة،1965م، ص61-62.

[بي] – د. عبد السلام المسدّي، الهُويّة العربيّة والأمن اللغوي، مصدر سابق، ص106.

[لحلخ] –د. مازن المبارك، نحو وعي لغويّ، مؤسسة الرسالة، سوريا، 1979م، ص20-21.

[لخلخ] – المصدر نفسه.

مبحث سياسيّ إستراتيجيّ"[برلخ]، فأيّما شعب "فَقَدَ استخدام لغته الأُم فإنّ ذلك سيؤدّي إلى طمس ذاتيّته الثّقافيّة، وفقدانه هُويّته"[ترلخ].

"ولا وجود لمجتمع المعرفة الّذي يسعى إلى التنمية، ويجعل الاقتصاد خادمًا للمعرفة، ومُستثمرًا لها في الوقت ،خارج دائرة اللّغة القوميّة. وهذا يؤكّد لنا أنّ إتقان اللّغة القوميّة سمة من سمات اكتمال الشّخصيّة في كل الدول المُتقدّمة"[يرلخ].

إذن، لا يعني الدُّخول في مجتمع المعرفة، والأخذ بشروط التنمية المُتجدّدة التّخلّي عن اللّغة القوميّة؛ بل ذلك يؤكّد أن لا سبيل إلى الأخذ بأسباب التنمية عن طريق المعرفة إلّا بالاعتماد على لغة قوميّة تجمع ولا تُفرّق، تُؤصّل ولا تستأصل،...فلا مجال لأيّ مجموعة بشريّة أن تتشبّع روح العصر، وتتناهى في استسقاء مناهل التّفكير العلميّ... إلّا بمنظومةٍ أدائيّة في مجال التعبير تسكب فيها عُصارة الحياة ،وتصنع منها مراجعها في السُّلوك، ومعاييرها في القيم"[سملخ].

اللّغة هي الصوت، أو اللفظ؛ لأنّ الأصل فيها التّصويت، ثمّ أصبحت تطلق على معان أخرى فقيل: لغة الإشارة، ولغة الأرقام، ولغة الجسد؛ وتُمثّل اللّغة العربيّة مثل غيرها من اللّغات ظاهرة اجتماعيّة، وهي تحمل ذلك الطّابع الاجتماعيّ منذ نشأتها، وقد تجسّد ذلك الطّابع بصورةٍ واضحةٍ في الحدّ الّذي وضعه ابن جنّي (ت392ه) للّغة.

[برلخ] د. عبد السلام المسدّي، الهُويّة العربيّة والأمن اللغوي، مصدر سابق، ص12.

[ترلخ] د. وليد السراقبي، "تشويه اللّغة بين الإعلام والإعلان"، في: مجلّة جامعة البعث، حمص ، مج33، 2013م، ص213.

[يرلخ] د. عبد السلام المسدّي، الهُويّة العربيّة والأمن اللغوي، مصدر سابق، ص75.

[سملخ] د. عبد السلام المسدّي، الهُويّة العربيّة والأمن اللّغويّ، مصدر سابق، ص81.

فاللّغة اصطلاحًا: "أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"[شملخ]. فهي "منظومة مُؤلّفة من أصوات منطوقة، أو مكتوبة مترابطة وفقًا لقواعد بنائيّة مُعيّنة في سبيل تحقيق الاتصال الفكريّ والعاطفي بين النّاس"[لهلخ].

كانت اللّغة العربيّة منذ نشأتها في مواجهة عددٍ كبيرٍ من التّحدّيات، كان الهدف الأكبر منها هو إضعافها بوصفها رابطةً قوميّةً تعمل على توحيد الأمّة العربيّة، وتُبعد عنها شبح التّفرّق والتّشرذم.

نظر هيدغر إلى أنّ "اللّغة هي منزل الوجود، وفي بيتها يسكن الإنسان. ولذا، يحسن بالإنسان قبل أن يبدأ بالتفكير الاعتراف بأنّه منغمس في اللّغة، وإنّ عليه أن يصغي إلى ما تقوله الكلمات"[□لخ]؛ بل وصل الأمر بهيدغر إلى عدم عدّ الإنسان موجودًا ما لم توجد اللّغة، فإذا كان الإنسان حامل اللّغة، فلا يعني هذا أنّه هو الذي يُشكّل اللّغة ؛بل إنّ اللّغة هي الّتي تُشكّل الإنسان، وتُسيطر عليه، وهي سيّدة أمره، ولذلك يدعو إلى البحث في المنجز اللّغويّ لا في المنجِز-بكسر الجيم-؛لأنّ اللّغة هي الّتي تتكلّم عمّا في نفس صاحبها، فهي التي تتكلّم وفقًا لمشيئتها الخاصّة، والإنسان حينما يتصرّف يعدّ نفسه سيّد لغته، في حين أنّ الواقع هو أنّ اللّغة هي سيّدة أمره، تأخذ بيده إلى هنا وهناك. ولذا، وجب إلقاء الضّوء على اللّغة التّي يستعملها المتكلّم لا على المتكلّم نفسه.[بيلخ] ورأى هيدغر أنّ "التدمير الوحيد الّذي يصيب اللّغة هو اختزالها تقنيًّا إلى مجرّد وسيلة التّواصل"[لحبر]؛ وفيه إشارة إلى أهمّيّة اللّغة ومكانتها في التّشكيل الفنّيّ، فاللّغة

[شملخ] ابن جني، الخصائص: تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، دون تاريخ، 1/ 33.
[لهلخ] د. مهدي عرار، "من الصّوت إلى الصّمت"، في: مجلّة مجمع اللّغة العربيّة ،دمشق، مج85،ج3، ص749.
[□لخ] ابن جني، الخصائص، مصدر سابق، 1/ 33.
[بيلخ] د. وليد محمد السراقبي، "اللّغة والهُويّة والانتماء"، في: مجلّة دواة، مج 1،ع6،(2015 م)، ص53-54.
[لحبر] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مصدر سابق، ص 1.

حجاب يشفُّ عن الفتنة، لا شاشٌ مُعقّم[لخبر]."فالبِنيات التّشكيليّة الّتي هي الأدب بِنْيات لغويّة"[بربر]؛ بل إنّ الدّراسات اللُّغويّة لا تصبح دراسات أدبيّة إلّا حين تفيد؛ أي حين تهدف إلى تقصّي الآثار الجميلة للّغة"[تربر].

لا يعني ذلك أن ليس للغتنا خُصُوصيّة على مدى التّاريخ تجعل منها أسّ الهُويّة العربيّة، ذلك أنّها الحامل الذي حمل نصّها المُقدّس، فأكسبها بُعدًا مُقدّسًا، فهي ليست ذات بُعْدٍ عرقيّ إثنيّ؛ إذ " ليست العربيّة بأبٍ منكم ولا بأُم، ولكنّ العربيّة هي اللِّسان، فمن تكلّم بالعربيّة فهو عربيّ" "والعربيّة هي العروبة والانتماء إلى العرب، وما العربيّة إلّا انتماء لغويّ في المقام الأول، وإنّ خسارة اللُّغة لا تعني افتقاد عنصر تواصلٍ وتعبير؛ بل تعني افتقاد الانتماء وافتقاد الهُويّة".[يربر]

"فاللُّغة العربيّة هي الخزّان الحقيقيّ لهويّتنا، والوسيلة الفضلى للإبداع العربيّ والحضاريّ، وثقافتنا الّتي نباهي بها الدنيا،... ولا بدّ من تثبيت هذه الهويّة بتعزيز الانتماء إلى اللُّغة الأُم".[سمبر]

تُعدُّ اللُّغة العربيّة لغة قوميّة لما يقارب 370 مليونا، وكما تُعدّ مرجعيّةً معنويّةً لحوالي مليار ونصف من المسلمين غير العرب، وهي شاهد حيّ على الأصول الّتي كانت نقطة استلهام الغرب، ولها الفضل في ما وصلوا إليه من تطوُّر ونهضة علميّة في مختلف الميادين. فالغرب مُدرك تمامًا بأنّ اللُّغة العربيّة حاملة تراث عريق، وناقلة معرفة. لذا، عمد الغرب إلى التَّربُّص للغتنا،

[لخبر] جان جاك لوسركل، عنف اللُّغة، ترجمة: د. محمد بدوي، المنظّمة العربيّة للترجمة، 2006م، ص216.

[بربر] المصدر نفسه، ص218.

[تربر] المصدر نفسه، ص220.

[يربر] ديفيد جستيس، محاسن العربيّة في المرآة الغربيّة، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، الرياض، دون تاريخ، ص43.

[سمبر] ميشال كعدي، "التّحدّيات لبقاء التُّراث واللغة العربيّة"، في: مجلّة شؤون ثقافية، المديريّة العامّة للشؤون الثّقافيّة، وزارة الثّقافة اللّبنانيّة، بيروت، ع1، (2015م)، ص21.

فسلك دعاة العولمة في ذلك مسلك الحرب الباردة تجاه اللُّغة العربيّة؛ وهي حرب تقوم على أمور عدّة: إرباك اللُّغة ذات المتانة الرّمزيّة بدفعها نحو التَّشظّي، وتفتيت قوميَّات مُتماسكة، وزعزعة الثَّقافات الرَّاسخة.[شمبر]

إذن، لا بُدّ لنا من تثبيت هُويّتنا، وتعزيز انتمائنا إلى اللُّغة الأُم، وإشاعة ثقافتنا الَّتي أُريد لها الانحطاط.

ثانيًا–المواطنة لغةً واصطلاحًا وأهمّيّة:

لقد تطوّر مفهوم المواطنة عبر مراحل تاريخيّة وحضاريّة ما صعب من وضع تعريف جامع مانع له وخاصّة أنّه يُعدّ مُصطلحًا سياسيًّا مُتحركًا، إلّا أنّ ذلك لم يمنع من تعريفه.

إنّ تناول مبدأ المواطنة يتطلّب ابتداءً التّطرُّق إلى التّعريف اللّغويّ والاصطلاحيّ للمواطنة لتحديد الأساس الّذي يتمّ الانطلاق منه.

يبدو التعريف اللُّغويّ صعبًا بشكل ما، وذلك لأنّ تعبير المواطنة هو تعبير حديث دخل على اللُّغة العربيّة بعد أن وضعت معاجمها القديمة بغرض التعبير عن مفاهيم معاصرة، ومع ذلك يمكن محاولة استخلاص أقرب التّعريفات الواردة في المعاجم القديمة[الهبر].

لقد عرّف اللّغويّون **المواطنة** بأنّها لفظ مشتق من الوطن وهو المنزل الذي يتّخذه الانسان مكانًا للإقامة، وهو وطن الانسان ومحلّه وأوطنت الأرض ووطنتها توطينًا واستوطنتها؛ أي اتّخذتها وطنًا، والمَواطِن جمع مفرده موطن.

[شمبر] يوسف حتى، وأحمد شفيق الخطيب، قاموس حتي الطبي، مكتبة لبنان، بيروت، ص1.(بتصرف)

[27] أحمد عبد الحفيظ ، الطريق للحرّيّة (أوراق التدريب النّظري لأعضاء شبكة رسل الحرّيّة) ، مصر: انُظر إلى الموقع الالكترونيّ بتاريخ 2014/2/5:- www.freedom.messengers.net

والوطن مشهد من مشاهد الحرب[28]. وفي التّنزيل العزيز: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾[29].

في حين عرف معجم المنجد الوطن بأنّه مكان إقامة الإنسان ومقرّه، إليه انتماؤه ولد به، أو لم يولد[30].

وكانت تعني المدينة بوصفها بناءً حقوقيًّا ومشاركة في شؤون المدينة (polis) يعود أصل كلمة المواطنة ومدلولها إلى عهد الحضارة اليونانيّة القديمة، كما تستعمل كلمة المواطنة كترجمة للكلمة الفرنسيّة(citoyennete') وهي مشتقّة من كلمة (cite') وتقابلها باللّغة الإنكليزيّة كلمة (citizenship) المشتقّة من كلمة (city)؛ أي المدينة[31].

أمّا المواطن فهو عضو في دولة بالولادة، أو بالاختيار ويترجم(citizens) وجماعة المواطنين، أو المواطنين قاطبة بـ (citizenry)[32].

إنّ الترجمة العربيّة للمفردة الإنكليزيّة(citizenship) بـ "المواطنة" يمكن عدّها ترجمة مقبولة ومُوفّقة، حيث رأى الباحثون والمفكّرون العرب تأصيلًا للمفهوم وتقريبًا له من ذهن الإنسان العربيّ، وربطه بفكرة الوطنيّة ذات الأهمّيّة المركزيّة في العمل المشترك بين جميع المواطنين من أجل النّهضة الحضاريّة، ومن أجل تحقيق الاندماج الوطنيّ، وبناء الدولة بوصفها مؤسّسةً مستقلّةً عمن يحكمها يتساوى المواطنين جميعهم في القرب والبُعد منها،

28 ابن منظور، معجم لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ، ج15، ص338.
29 الآية 25، التوبة/ 9.
30 شهاب الدين أبو عمرو، المنجد، دار الفكر، بيروت، 2005م، ص1222.
31 د.بان غانم أحمد الصائغ، "التّأصيل التّاريخيّ لمفهوم المواطنة"، في: مجلّة دراسات إقليميّة، جامعة الموصل، العدد (13)، السنة (5)، 2009م، ص317.
32 منير البعلبكي، المورد، مطبعة باقرى، طهران، 2006م، ص180.

ويتمتّعون جميعًا بحقوق مدنيّة وسياسيّة واجتماعيّة، كما يتحمّلون واجبات مُتساوية دون تمييز[33].

ما يلاحظ أنّ المعاجم العربيّة تركّز بشكلِ رئيس على الوطن ، وليس **للمواطنة** فيها أيّ ذكر، ولكن إذا أخذنا مصطلح (المواطنة) بالقياس اللّغويّ على وزن (مفاعلة)؛ أي المشاركة ، فيكون معنى المواطنة تشارك عدد من المواطنين في العيش معًا على أرض واحدة، أو في وطن واحد ويُشكّلون مجتمعًا معيّنًا، أو دولة بالمعنى الحديث بحساب أنّ الدولة (تعاقد اجتماعيّ) بالدرجة الأولى، حيث يتمتّع المواطنون جميعهم بالحقوق والواجبات ذاتها[34].

وعليه، فإنّ كلمة **المواطنة** في اللّغة العربيّة أكثر دقّة من المفاهيم اللّغويّة الأخرى؛ لأنّها مفاعلة بين اثنين، أو الذين يصبحون عشرات، أو مئات، أو الملايين، يتفاعلون حول الوطن فيقتسمون كلّ الانتماءات، وكلّ الحقوق والواجبات[35].

أمّا الهُويّة فهي مصدر صناعيّ يدلّ على جوهر الشّيء، وماهيّته مع التشخُّص، والهُويّة نسبة إلى (هو)، أو (الهو)، ويُراد به عند الفلاسفة الغيب، أو الحقيقة المُطلقة، أو الله.[36] وقد أخذ يدلّ على ذلك الجوهر الثّابت في الشيء الذي به يتعيّن ذلك الشيء ويتحدّد، وبه يتمايز عن [كذا] غيره ويختلف"[37].

ثالثًا–دور بعض المستشرقين والمبشرين في بثّ الفرقة والانقسام:

في العصر الحديث، نجد أنّ الهجمة على اللّغة العربيّة تزداد شراسةً وقوّةً أكثر ممّا كانت عليه في العصور السّابقة، وقد أسهم فيها عرب وغير عرب،

---

[33] بشير نافع وآخرون، المواطنة والديمقراطيّة في البلدان العربيّة، مركز دراسات الوحدة، بيروت، 2004م، ص34.
[34] د. عيسى الشماس، المجتمع المدني (المواطنة والديمقراطية)، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2008 م، ص39-40.
[35] بشير نافع وآخرون، مصدر سابق، ص35.
[36] د. محمود السيّد، الهُويّة ولغة التعليم، مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، 2013م، ص15.
[37] المصدر نفسه، ص15.

بدأ تلك الحملة المستشرقون والمبشرون الأجانب لتحقيق مآرب معروفة خطّطوا لها منذ زمن بعيد، وفي مُقدّمتها الفصل بين اللّغة المستعملة والقرآن الكريم؛ لكي تفقد اللّغة العربيّة صفة القُدسيّة الّتي اكتسبتها حين اختارها الله لغة لنزول كتابه العظيم، فإذا تحقّق ذلك فَقَدَت اللّغة دورها بوصفها رابطةً قوميّةً لها أثرها في توحيد الأُمّة العربيّة، وهذا ما يحقق الأغراض التي خطّط لها المستعمرون من تفريق أبناء الأُمّة الواحدة وتمزيقهم، وهي سياسة معروفة عند المستعمرين.[38] والأكثر غرابةً من ذلك هو تأثّر عدد من علماء العربيّة بتلك الدّعوات، وتأييدهم ما يدعون إليه أولئك المستشرقون. ويُمكن إيجاز ذلك:

1-الدّعوة إلى استعمال اللّغة العاميّة بدلًا من اللّغة الأدبيّة الفصحى.

2-الدّعوة إلى كتابة اللّغة العربيّة بالحروف اللّاتينيّة؛ بدعوى سهولة تعلّم تلك الحروف، وعلى غرار ما عُرف في اللّغة التّركيّة.

3-السِّياسة الّتي اتّبعتها القوى الّتي سيطرت على الوطن العربيّ، واقتسمت أقطاره قبل الحرب العالميّة الأولى وبعدها مثل: الدولة العثمانيّة، وفرنسا، وغيرها...

4-الدّعوة إلى إلغاء الإعراب الّذي عُدَّ من أهمّ خصائص العربيّة ، وتنماز به من سائر اللّغات.

5-الدّعوات الّتي توالت لإصلاح النّحو، وهي قسمان:

الأولى: كانت غايتها الإصلاح والتّجديد من أجل تيسير النّحو، وتذليل صعوباته الّتي كانت مثاراً للشّكوى، وذلك ممّا لا غُبار عليه.

---

[38] أ. د. عبد الكاظم محسن الياسري، "اللّغة العربيّة في مواجهة البثّ الفضائيّ"، في: مجلّة دواة ،العدد الخاص ببحوث مؤتمر دار اللّغة والأدب العربيّ الدوليّ الثاني 2017م/1438هـ.

الأخرى: الدَّعوات الّتي كانت غايتها هدم البناء الّذي شاده العلماء منذ القرن الأوّل الهجريّ، واتّخذت من التّيسير غطاء لتنفيذ ما تريده، وتلك الدَّعوات كانت تحمل أهدافًا بعيدة المدى غايتها القضاء على تلك الأصول الّتي أرساها العلماء، ومن بين تلك الدَّعوات ما ذهب أصحابه إلى المطالبة بإلغاء الإعراب التّقديري والمحلّيّ، أو الدّعوة إلى إلغاء باب المثنَّى من العربيّة والاستغناء عنه بباب الجمع بحجّة أنّه غير موجود في بعض اللُّغات، ومن ذلك أيضًا الدَّعوة إلى إلغاء حركات الإعراب الفرعيَّة، وإلغاء بعض الأبواب النَّحويّة، وغيرها كثير.[بيتر]

رابعًا-تحدّيات الهُويّة الثّقافيّة العربيّة:

تتعرّض ثقافتنا وخُصُوصيّتنا إلى خطرٍ كبيرٍ من جرّاء ظاهرة العولمة؛ إذ تُمثّل العولمة الثّقافيّة أخطر التَّحدِّيات المعاصرة للهُويَّة العربيّة، وهذه الخطورة لا تأتي على الهيمنة الثَّقافيَّة الّتي تنطوي عليها العولمة فحسب؛ وإنّما على الآليّات والأدوات الّتي تستخدمها لفرضها. ومن أهمّ تلك التَّحدِّيات:

-الهيمنة الإعلاميّة.

-إثارة الشّبهات حول الهُويَّة العربيّة الإسلاميّة من خلال التّشكيك في الثَّقافة العربيّة، ومحاولة طمس هُويَّة مجتمعاتنا من خلال تجريد الوطن العربيّ من الثَّقافة العربيّة.

-الترويج لقوى عولمة الثّقافة، والتركيز على نشر الثّقافة الغربيَّة، وجعلها النّمط الثّقافيّ السّائد؛ بنشر مبادئه وقيمه من أجل النَّيل من خُصُوصيَّة ثقافتنا العربيّة الإسلاميَّة، وتدمير هُويّتها.

[بيتر] أ. د. عبد الكاظم محسن الياسري، "اللُّغة العربيّة في مواجهة البثّ الفضائيّ"، في: مجلّة دواة ،العدد الخاص ببحوث مؤتمر دار اللُّغة والأدب العربيّ الدوليّ الثاني 2017م/1438هـ، ص192، 193، 194.

- الترويج للقيم والثّقافات والسُّلوكيَّات التي أذابت خُصُوصيّتنا الثقافيَّة وهُويّتنا.

-تذويب الثّقافة العربيّة الإسلاميَّة من خلال نقل الثّقافة الغربيَّة، وخاصّة الأمريكيّة، من خلال الصِّراع بين الاستيعاب والإذابة من جانب الثَّقافة العالميَّة، والخُصُوصيّة والاستقلال من جانب الثّقافة العربيّة.

- فرض التَّبعيَّة على الثّقافة العربيّة الإسلاميّة.[40]

كانت للُّغة العربيّة دولة بلغت ذروتها في القرنين الثّاني والثّالث الهجريّين؛ إذ كانت اللُّغة الحضارة العالميّة وقد حلّت محلّ اللُّغات العالميَّة آنذاك كالفهلويّة، واليونانيّة، والقبطيّة، والبربريّة، وغيرها.

أقبلت الشعوب على تعلُّمها وحفظها باندفاعٍ شديد، وجاؤوا من دول أوروبا إلى الأندلس لتعلُّمها، يقول أحد المؤرّخين: إنّ أدباء أوروبا آنذاك سحرهم الأدب العربيّ، وصاروا يكتبون بلغة العرب واحتقروا اللّاتينيَّة ، حتّى يقول أحد قساوستهم: وأسفاه، إنّ الجيل النَّاشئ من المسيحيِّين لا يحسنون أدبًا، أو لغة غير الأدب العربيّ واللُّغة العربيّة، وإنّهم ليلتهمون كتب العرب، ويجمعون منها المكتبات الكبيرة بأغلى الأثمان.

كتب الفارو نصار قرطبة في العام 1854م رسالة إلى أحد أصدقائه يقول فيها: "إنّنا لا نرى سوى الشبان المسيحيّين هاموا بحفظ اللُّغة العربيّة يبحثون عن كتبها ويقتنونها ويدرسونها بشغف، ويتحدّثون بها بطلاقة"[الخير].

هذا الانتشار الواسع للعربيّة مرتبط بسيادة الدولة العربيّة الاسلاميّة وقوّتها، ولا يزال آثار تلك السّيادة القديمة، فاليوم تكتب بالحرف العربيّ اثنتان

[الخير] حكيمة بولعشب ، تحدّيات الهُويّة الثّقافيّة العربيّة في ظلّ العولمة، أرنتروبوس: الموقع العربيّ الأول في الأنثروبولوجيا والسوسيوأنثروبولوجيا، 2010م.

[الخير] أ.د. حسن منديل، اللُّغة العربيّة والسيادة الوطنيّة، العراق أنموذجا، مصدر سابق، ص5.

وثلاثون لغة: كالفارسيّة، والباكستانيّة، والأفغانيّة، والهنديّة، ولغة في أوروبا أيضًا...

واليوم، العالم مدين للعربيّة؛ لأنّها نقلت العلوم والحضارات القديمة التي انطلقت منها الحضارة المعاصرة؛ لأنها باقية وقد انقرضت اللّغات السّابقة كالفهلويّة، والهنديّة القديمة، واليونانيّة،...

لقد أدّت العربيّة، دورًا أساسًا في حياة الفكر الإنسانيّ، حين كان نَشْرُ المعارف والعلوم يكاد يقتصر عليها طوال المرحلة التّاريخيّة التي ساد فيها العرب، لمدّة لا تنقص عن ستة قرون، ساد فيها العرب الكون في الفكر والحضارة.[42]

لكن في القرن الرّابع الهجريّ قويت القوميّات والشّعوبيّة والزّندقة، وخف الايمان فأحيوا اللُّغات الّتي أهملت. كان الخليل بن أحمد يقول: "عامة من تزندق بالعراق لقلة علمهم بالعربيّة" .[43]

إنّ اللُّغة العربيّة لغة شريفة لها حقٌ علينا؛ لأنّها الدِّين والحضارة والتَّأريخ والهُويَّة والسِّيادة الوطنيَّة، ولا بدّ من عناية بها على وفق معايير تناسب المرحلة الجديدة المُتمثّلة بالانفتاح، والعولمة، والانفجار المعرفيّ، وسرعة الاتِّصال الّذي يشهده العالم. وأقلّ عناية تتمثّل بالاعتزاز بها لدى المثقّفين، ونشر ثقافة لُغويّة، ووعي بأهمّيّة اللُّغة العربيّة، واحترامها، والالتزام بقواعدها في الأقل؛ إذ يعتقد كثير من ذوي الاختصاصات العلميّة أنّهم غير محتاجين إلى معرفة أُسُس اللُّغة السَّليمة ما دام الأمر مُتعلّقًا بالفهم والإيصال فحسب. وهو اعتقاد وأهمّ من ذلك إن من لا يمتلك الحدّ المعقول من سلامة اللُّغة والأسلوب، لا يستطيع إيصال علمه إلى الآخرين بتعبير دقيق. يقول د. طه حسين: إنّ

---

[42] – عبد الله النملي، الفَرَنسة انتهاك للدستور والسّيادة الوطنيّة، هُويّة بريس 17 أبريل 2019، 22:58.

[43] – الكلمة التي ألقاها (أ.د. حسن منديل العكيلي / جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات) في احتفاء الجامعة التقنيّة الوسطى باليوم العالميّ للّغة العربيّة 2018/12/18م.

المثقّفين العرب الّذين لم يتقنوا لغتهم ليسوا ناقصي الثّقافة فحسب؛ بل في شخصيّتهم نقص أيضًا.[44]

1-التَّخطيط والسِّياسات اللُّغويّة:

التَّخطيط: لفظة محدثة، تعني وضع خطَّة مدروسة للنَّواحي: الاقتصاديَّة، والتَّعليميَّة، والإنتاجيَّة، وغيرها للدولة. والأنشطة السّياسيَّة والإداريَّة الهادفة إلى حلّ المشكلات اللُّغويّة في المجتمع. واتّخاذ القرارات التي تتعلق بتعليم اللُّغة واستعمالها، أو دعم لغة لنشرها خارج حدودها الجغرافيّة كدعم اللُّغة الفرنسيّة في لبنان والتخطيط لها، والعمل على إبقائها .[45]

نقصد بـ (السِّياسة اللُّغويّة) تلك التدابير الّتي يتّخذها بلد من البلدان إزاء لغته، وتخضع السِّياسة اللُّغويّة لبلدٍ ما للتخطيط ، أو الخُطط المرسومة من فعاليات مُتعدّدة من أبناء هذا البلد، ومن الناطقين بهذه اللغة المخطَّط لها. أمّا المقصود بالتَّخطيط اللُّغويّ فهي القرارات والتدابير التي يتّخذها البلد لرسم سياسةٍ لُغويّةٍ بعيدة المدى، تُفرض على المجتمع؛ لحماية اللُّغة القوميّة من التحدّيات المُحدقة بها، مثل المنافسة اللُّغويّة الأجنبيّة، وطغيان اللهجات المحليّة، ومواجهة التعدّد اللغويّ الذي يُهدّد بتفرّق الوطن إلى أجزاء، أو قوميّات صغيرة، قد تنذر في المستقبل البعيد بكوارث اجتماعيّة وسياسيّة، كالمطالبة بالاستقلال الذاتيّ، والانفصال فيما بعد.[46]

---

[44] – الكلمة التي أُلقيت في احتفاء الجامعة التقنيّة الوسطى باليوم العالميّ للُّغة العربيّة 2018/12/18م ، من قِبَل أ.د. حسن منديل العكيلي / جامعة بغداد/ كلّيّة التربية للبنات.

[45] ا. بلال دربال ، "السّياسة اللُّغويّة المفهوم والآليّة"، في: مجلّة المخبر جامعة باتنة الجزائر، ع 10 س 2014م، ص 329.

[46] د. عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللّسانيّ العربيّ، دار توبقال للنشر، المغرب، 1998م، ضمن مبحث: (عربيّة النموّ والمعجم الذهنيّ).

2-غياب سياسة لغويّة موحّدة:

على امتداد الوطن العربيّ، كوّنت لجان بأسماء متعدّدة الأقطار العربيّة، هدفها (اللّغة العربيّة) فمن ذلك: مجلس اللّغة العربيّة، وأكاديميّة اللّغة العربيّة، ولجنة التمكين للغة العربيّة، ومؤسسة الفكر العربي، والمجلس الأعلى للغة العربيّة ،...وفي مقابل ذلك، تعددت الغايات التي كانت وراء إنشاء تلك الهيئات، وكثرت التسميات، بين مقولات إنقاذ اللّغة العربيّة، وحماية اللّغة العربيّة، والنهوض باللّغة العربيّة، وتطوير اللّغة العربيّة، والتّمكين للغة العربيّة،... ولا شك في أنّ لكل مقولة دلالةً مختلفةً عن دلالة أختها، فالتطوير غير الإنقاذ، والإنقاذ غير النهوض، والتمكين غير الإنقاذ، وهكذا دواليك، وهذا ما يؤكّد لنا صحّة ما أشار إليه عنوان الفكرة، وهي غياب السياسة اللّغويّة العربيّة الموحّدة، كما يؤكّد من جهة أخرى ضبابيّة المفاهيم وتداخلها في أذهان مُنشئي تلك المؤسّسات أو اللّجان، فإذا كانت تلك الهيئات حتى الساعة لم تتّفق على مصطلح يُعبّر عن "الإنترنت"[لهير] ، فمرّةً يطلق عليها اسم "الشبكة العنقوديّة" وثانية "الشبكة العنكبوتيّة" وثالثة "الشنكبوتية" ورابعة "الشابكة" وخامسة "الإنترنت" فكيف ستكون الحال بالنسبة إلى موقف تلك الهيئات واللجان من المعضلة اللّغويّة؟! حيث جاء في ميثاق مؤسّسة "الفكر العربيّ" اللّغة "من أعمدة صرحها بما أنه يبتغي الدفاع عن ركائز الهويّة"[□ير]، ولكن هذه الوثيقة جنحت إلى المزاوجة "بين سجلين: سجلّ الصراحة المكسوّة بالقفاز الحريري النّاعم؛ بحيث تتوالى صيغ الوصايا مكبوتة الأنفاس تتمنّى لو تتحرّر فارتدت جلباب الأوامر الحاسمة، وسجل الأدبيّات التي تلاطف المشاعر الناعمة، وتستثير الأحاسيس الخاملة."[بحيير]

[لهير] د. عبد السلام المسدي، الهويّة العربية والأمن اللغوي، مصدر سابق، ص91.
[□ير] المصدر نفسه، ص109، 110.
[بحيير] المصدر نفسه، ص109.

الّذي أراه أن السِّياسة اللُّغويّة للّغة الإنجليزيّة خاطئة؛ بسبب التَّشدُّد في عدم إعطاء فرصة للتعليم والوظيفة والاشتراك بالمؤتمرات إلّا من خلال إتقان الإنجليزيّة، ذلك يفقدهم الكثير من العلماء والمبدعين الّذين لا يتقنون الإنجليزيّة، لكن التعصُّب للغاتهم، والفهم الخاطئ والأهداف الاستعماريّة يجعلهم يرتكبون هذا الخطأ الجسيم. فضلًا عن أنّ إعطاء الفرصة لهؤلاء ولا سيَّما في ضوء انتشار وسائل الترجمة السّريعة، وهم يخسرون وسيلة مهمَّة من وسائل نشر اللُّغة بين المُتميّزين الذين لا يحسنون لغاتهم؛ لأنّ هؤلاء سيسعون إلى تحسين لغتهم الأجنبيّة، ويسعون الى إتقانها من خلال إتاحة فرص علميّة واقتصاديّة لهم.[50]

3-ضآلة المحتوى الرقميّ العربيّ على الشابكة (الإنترنت):

أ-المحتوى الرقمي العربي: Digital Arabic Content

يعبّر مفهوم المحتوى الرقميّ العربيّ عن مجموعة من تطبيقات تعالج وتخزّن وتعرض معلومات باللُّغة العربيّة، وبرمجيّات لإعداد تطبيقات تتلاءم مع اللُّغة العربيّة إلكترونيًّا، وهو يشمل كل معلومة متوافرة باللُّغة العربيّة بصيغة رقمية، أي كل ما يتم تداوله رقميًّا من معلومات مقروءة، أو مرئيّة، أو مسموعة، وأهميته تنشأ من عاملين: أولهما: نشر وسرعة الوصول ومدى الانتقال إلى المتلقّي، وثانيهما: كثافة المحتوى الرقمي الذي أصبح من أهم عوامل التعبير عن الثقافة والحضارة على الصعيد العالمي[لغهم]

تُشير الإحصائيّات المتعلّقة بوضع اللّغات المختلفة على الشّابكة (الإنترنت) إلى أنّ اللّغة الإنكليزيّة تحتلّ المرتبة الأولى بين اللُّغات؛ إذ تصل نسبتها إلى 80٪ في حين أنّ نصيب العربيّة لا يزيد على 2٪ ، كما أنّ عدد المستخدمين

[لغهم] أ.د. حسن منديل، اللُّغة العربيّة والسيادة الوطنية، العراق أنموذجا، مصدر سابق.
[لغهم] http://www.alyaseer.net .

العرب للشّابكة هو أقلّ من 2٪، مع أنّ عدد النّاطقين بالعربيّة يصل إلى 5٪ من سكّان العالم.[بوسه]

من الشّواهد على ضعف المحتوى باللُّغة العربيّة أنّ محتوى الموسوعة العربيّة الحرة من حيث الحجم لا المضمون يماثل تقريبًا ربع محتوى مقابلتها السويديّة، علمًا بأنّ مُتكلّمي السّويديّة لا يزيد على تسعة ملايين في حين أنّ مُتكلّمي العربيّة يزيدون على 300 مليون، وكان عدد المقالات المنشورة على الموسوعة العربيّة الحرّة 77000 مقال مقابل 190000 مقال باللّغة السويديّة.[توسه]

ب-مفهوم التَّحويل الرّقميّ في الفضاء الكونيّ:

يُشير مفهوم التَّحويل الرقميّ إلى تحويل محتوى الوسائط المادّيّة (بما فيها مقالات الدَّوريّات، والكتب، والمخطوطات، والصُّور الفوتوغرافيّة، والأفلام، والمواد السَّمعيّة والمرئيّة إلى الشكل الرقميّ ونشره على الإنترنت بوصفه وسيلةً للتّوزيع الواسع والشّامل للمعرفة في الوطن العربيّ.[يوسه]

ج-اللُّغة العربيّة والتَّحوُّل الرّقميّ في الفضاء الكونيّ:

يتّفق العرب على أنّ هناك ضرورة لتفعيل وجود العربيّة على الإنترنت، حيث إنّ المواقع الإلكترونيّة أصبحت في الآونة الأخيرة تعاني من نقص شديد في محتواها العربيّ، فضعف الوجود العربيّ على الإنترنت قد يؤدّي بالعربيّة إلى خروجها من دائرة الفعل العالميّ والحضاريّ .

[بوسه] د. منصور فرح، اللُّغة العربيّة على الإنترنت، المؤتمر الوطنيّ الأوّل لصناعة المحتوى الرقميّ العربيّ بدمشق-حزيران 2009م.
[توسه] د. نور الدين شيخ عبيد، المحتوى الرقمي العربيّ صورة لحقيقة، المؤتمر الوطنيّ الأول لصناعة المحتوى الرقميّ العربيّ، دمشق، حزيران 2009م.
[يوسه] -Ali Houissa .Digitization as the Agent of Technological Revolution in storage ..Meia Notes,69, 97:14-21,2000

يجب أن يكون هناك إستراتيجيّات عربيّة، واستكشاف آليّات تعمل على تدارك النّقص في التّحوُّل الرّقميّ على الإنترنت، وتدعيم صناعة محتوى مُتميّز يثري الوجود العربيّ في الفضاء الكونيّ.

إنّ أبرز التّحدّيات التي يواجهها عالمنا العربيّ، تلك التّحدّيات الخاصّة بنشر اللّغة العربيّة على الإنترنت من خلال رقمنة الإنتاج الفكريّ العربيّ؛ ما يفرض علينا المزيد من الجهد لهذا التّحوُّل؛ ما يفتح فرص التّلاقي والتّفاعل، ويجعل للدّول العربيّة وجودًا مُتميزًا على العنكبوتيّة، حيث تحتلُّ اللّغة العربيّة المركز الثّامن ضمن لغات العالم بالنّسبة إلى حجم المحتوى العربيّ، فقد ظهر أنّ الصفحات العربيّة على الإنترنت لا تتجاوز 1و.٪ من إجمالي عدد الصّفحات على الإنترنت؛ (أي ما يعادل صفحة واحدة مقابل كل ألف صفحة)؛ ما يدل على تدنِّي إنتاجيَّة صناعة المحتوى العربيّ، على الرّغم من أن النّاطقين بالعربيّة يُشكِّلون حوالي 5٪ من سكّان العالم.

تتوقّع الإحصائيّات أن يصل عدد الصفحات العربيّة في العام 2012م إلى نحو (5و1) مليار صفحة، حيث مُعدّل نموّ سنويّ بمقدار 80٪حتى العام 2010م، 60٪، في السّنوات الّتي تليها. وقد بلغ مُستخدمي اللّغة العربيّة في الإنترنت العام 2009م، أكثر من 49مليون مستخدم يُمثّلون حوالي 17٪ من مُجمل تعداد النّاطقين بها في العالم، ولم تتجاوز نسبتهم من مُجمل مستخدمي الإنترنت في العالم 3٪، كما يتمتّع مستخدمي الإنترنت العرب بنسبة نمو هي الأعلى من بين سائر اللّغات في العالم؛ إذ فاقت نسبة النّمو 1800٪.[55]

سهمه www.internetworldststs.com)

يذكر (لاروسي Laroussi) بأنّ المشكلة في التَّحويل الرقميّ تتمثَّل في الحروف الهجائيَّة للُّغة العربيّة. ومِنْ ثَمَّ، عمليَّة ترميز تلك الحروف وتشفيرها في البرامج الحاسوبيَّة ، كذلك الافتقار إلى معايير مُوحّدة لتمثيل النّص العربيّ وعرضه في الإنترنت.[شمه]

يُشير (علي فرغلي) بأنّه يجب تفعيل وجود اللُّغة العربيّة على الإنترنت، خاصّة بعد أن أكَّدت الدِّراسات التطبيقيَّة والنَّظرية الإمكانات الضّخمة لأتمة أنظمة العربيّة وحوسبتها بما لها من خصائص تساعد على برمجتها آليًّا، فالنّظام الصّوتيّ في اللُّغة العربيّة، والعلاقة الوثيقة بين طريقة كتابتها ونطقها يدل على قابليَّة اللُّغة العربيّة للمعالجة الآليّة بشكل عام، وتوليد الكلام وتمييزه بصورةٍ خاصّة[لهم] .

كما يشير نبيل علي بأن العربيّة دخيلة على لغات البرمجة. لذلك، ظهرت بعض المشكلات في الحروف العربيّة على مستوى الصرف والنّحو ؛ ما يؤدي إلى انغلاق نصّي يؤدّي بدوره إلى انعزاليّة وثائقنا العربيّة على الإنترنت؛ بل الأخطر من ذلك أنّ اللُّغة العربيّة في ظلّ العولمة وثورة المعلومات تتعرّض لحركات تهميش نشطة، بفعل الضُّغوط الهائلة النَّاجمة من طغيان اللُّغة الإنجليزية على الصّعيد السّياسيّ، والاقتصاديّ، والتقنيّ، والمعلوماتيّ. وهنا، علينا أن نُدرك مدى خطورة ما يعنيه اقتصاديًّا وثقافيًّا وسياسيًّا قرار مُنظّمة التجارة العالميَّة (الجات) بعدم عدّ اللُّغة العربيّة ضمن لغاتها الرَّسميَّة.[لمه]

[شمه] -Laroussi, F. Arabic and the New Technologies .In J. Maurais &M .A. Morris (Eds.) , Languages in a Globalizing World (PP.250-259), Cambridge : Cambridge University Press,2003.

[لهم] علي فرغلي، "الذكاء الاصطناعيّ ومعالجة اللّغات الطّبيعيّة"، في: مجلّة عالم الفكر، ع4، مج،2004م، ص775.

[لمه] نبيل علي، تحدّيات عصر المعلومات، مكتبة الأسرة، القاهرة ، 2003م.

خاتمة:

إنّ قوّة الأمّة من قوّة لغتها كما أشار ابن خلدون، واللُّغة هي الأساس المتين الّذى تقوم عليه حياة الأمة كما يقول أندرسون. وسيادة الأُمم تبدأ بسيادة لغاتها ومؤسّساتها التي ترقى بتلك اللُّغات، وهذه حقيقة تؤكّدها الشّواهد الآتية:

فالإنجليزية صارت لغة دوليَّة؛ لأنَّ أهلها جعلوا منها لغة دوليّة، كما عملت فرنسا وتعمل على إثبات حضورها بوصفها حضارةً وقوّةً عالميَّة رئيسةً عبر بسط سيطرة الفرنسيّة من خلال منظّمة الفرانكوفونيّة. كل هذا يفسّر سعى هؤلاء إلى التميُّز الحضاريّ والثّقافيّ، وإلى الحفاظ على الهويّة؛ لأنّ الهُويّة مفهوم ذو دلالة لغويّة، وفلسفيّة، واجتماعيّة، وثقافيّة.

اللُّغة هي الوعاء الّتي تنصهر فيه الهُويّة ووحدة الوطن والمواطنة. ففي هذا الوعاء وبه تتحقّق وحدة المشاعر، ووحدة الفكر، ووحدة الذاكرة، ووحدة التَّطلُّعات، من دون هذا لن تكون هناك هُويّة ممتلئة وغنيّة، ولن تكون هناك جذور ولا ثقة بالنّفس. الهُويّة ليست شيئًا جامدًا جاهزًا؛ بل هي كيان يكون ويصير، ينمو ويغتني باللُّغة بما تحمله وتنشره من موروث حضاريّ.[بيسم]

ندعو إلى دراسة اللُّغة العربيّة في ضوء أصالتها في نفسها وأصالة الدّراسات المُتقدّمة فيها وفهمها والانطلاق منها، فهناك دراسات مُتقدّمة تميزت بالأصالة وغيرها تبع لها في موروثنا. والأصالة غير التبعيّة من حيث العقل والتفكير والابتكار... ودراسة اللُّغة العربيّة وبيان عبقرية النّحو، وعبقرية اللّغة في ضوء التطوُّر المعرفيّ والتكنولوجيّ، والانفجار المعرفيّ في التَّخصُّصات المختلفة كالتقانة، والاقتصاد، وربطها بالسُّوق، والابتكار. وصلتها بالدولة، والمجتمع، والمؤسّسات العلميّة، والمجتمع المدنيّ.

[بيسم] أ.د. حسن منديل، اللُّغة العربيّة والسيادة الوطنية، العراق أنموذجا، مصدر سابق، ص9.

إنّ المنطلقات العلميّة السّليمة والأُسُس الرصينة والمنهج العلميّ القويم تفضي بالدراسة إلى نتائج مستقيمة. لا بُدَّ من استثمار العربيّة اقتصاديًّا وربطها بسوق العمل والوظيفة، وتطبيق ضمان الجدوى في الدِّراسات اللُّغويّة، وتحديدها عبر الدّراسات التّأريخيّة. ومواضيع الجدوى اللُّغويّة: وتطوير المناهج وأهمّيّتها، والحداثة، والموروث، والمعاصرة، والتجديد، والوافد، والنّظريّات اللُّغويّة وقيمتها، وفهمها، وكيفيّة تطوّرها[1]

عندما تكون العناية صادرة من الجهات العُليا في الدولة يعدّ ذلك انتصاراً للغة العربيّة. ذلك أنّ من طبيعة المجتمع الاقتداء بقادته والالتزام بالسياسة التي ترسمها الدولة؛ ما يسهم في تعزيز مكانة العربيّة في نفوس أبنائها، والحرص على سلامتها. ذلك أنّ الحفاظ على اللُّغة هو حفاظ على الهويّة الوطنية والثقافة والتأريخ، وتلك مَهمّة قادة البلدان ونخبها ومؤسَّساتها العلميّة؛ لتحافظ اللُّغة العربيّة على المكان الذي يليق بها.

التّوصيات:

-إعادة دولة اللُّغة العربيّة وإحياء مجدها، بعصورها الزاهرة كعصر صدر الاسلام والقرن الرابع الهجري. اذ كانت اللُّغة العربيّة اللغة العالمية الأولى في العالم القديم.

-تصدّي علماء اللُّغة العربيّة لمسؤولية السياسية اللُّغويّة في البلاد وتسلمهم المناصب العليا، ومنحهم الصلاحيات لإصدار القرارات في رسم سياسة لغوية رصينة.

– ربط اللُّغة العربيّة بسوق العمل واشتراطها لنيل الوظائف والدراسات.

[1] أ.د. حسن منديل، اللُّغة العربيّة والسيادة الوطنية، العراق أنموذجا، مصدر سابق، ص7.

- إقناع الدول الإسلامية أن اللُّغة العربيّة هي اللغة الإسلامية الرسمية كما كانت، وبذلك نعيد الى الإسلام مكانته وهو مطلب الشعوب الإسلامية. وأنها ليست لغة العرب بحسب النظرة القومية بل لغة عالمية لغة الإسلام فإن توضيح ذلك بالدليل العلمي يتفهمه العلماء تدريجيا وعلى مراحل.

-تفعيل دور مجامع اللُّغة العربيّة، واستمراريّة التنسيق بينها لمتابعة عقد المؤتمرات، والندوات حول اللغة العربيّة ، ومعالجة مشكلاتها الراهنة والمستقبلية مع الرقمنة والمحتوى الفكريّ .

-إحلال اللُّغة العربيّة محلّ اللغة الإنكليزية في الدول العربيّة والإسلامية قدر الإمكان. فالغرب يسعى إلى سيادة اللغة الإنكليزية في العالم من خلال نشرها وربط التطور وفرص العمل والسوق والاقتصاد والوظائف والنخب القيادية بها وشرط لها، فإنّ سيادة لغة دولة يعني سيادتها وهو نوع من الاستعمار والغزو الثقافيّ، أو اللُّغويّ يتبعه غزو سياسيّ واقتصاديّ وتبعيّة للدول المستقلّة.

- الاستفادة من تجربة السياسات اللُّغويّة للعالم الغربيّ في الحفاظ على لغاتهم ونشرها وتطبيقها في الدول الإسلاميّة، مثل: ربط العربيّة بسوق العمل.

-ضرورة تأكيد إدخال اللّغة العربيّة في منظّمة التجارة العالميّة لتأكيد إحياء اللّغة، واستخدامها بشكل أكثر فعالية في النّواحي: الاقتصاديّة، والتجاريّة، والتقنيّة؛ فالتهاون في هذا الأمر هو حكم على اللُّغة العربيّة بالضّعف والعزلة في عصر اقتصاد المعرفة.

-ضرورة تشجيع الجمعيّات اللُّغويّة الأهليّة ودعمها في العالم العربيّ؛ لحماية اللُّغة العربيّة وتطويرها، لِكَون تلك الجمعيات تُعدُّ ظاهرةً إيجابيّة تحتاج إلى الدّعم والتّشجيع .

- توضيح للعالم أهمية اللُّغة العربيّة وصلاحيتها لأن تحلّ محل اللغة الإنجليزية في تدوين العلوم والمعارف لثباتها وبقائها واستمراريتها وقوتها

ومرونتها وقد أثبتت التجارب عبر التأريخ أنها خرجت من محن كبيرة قوية منتصرة.

- وجوب تشجيع البرامج اللُّغويّة ومحاولات تيسير علوم اللُّغة العربيّة وتجديدها كالنّحو، والصّرف، والبلاغة، وإصلاح المناهج الدراسيّة في أقسام اللُّغة العربيّة في الكليّات، فضلا عن العناية بتدريب الطلّاب على التطبيق العملي على النُّطق باللّغة العربيّ الفصحى.

ثبت المصادر والمراجع:

-الكتب:

1. القرآن الكريم.
2. ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، دون تاريخ.
3. ابن منظور، معجم لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج15 دون تاريخ .
4. أمين الخولي، مشكلات حياتنا اللغوية، دار المعرفة، القاهرة،1965م.
5. بشير نافع وآخرون، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربيّة ، مركز دراسات الوحدة، بيروت، 2004م.
6. جان جاك لوسركل، عنف اللغة، ترجمة: د. محمد بدوي، المنظمة العربيّة للترجمة، 2006م.
7. ديفيد جستيس، محاسن العربيّة في المرآة الغربيّة، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، الرياض، دون تاريخ.
8. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1991م.-شهاب الدين أبو عمرو ، المنجد ، دار الفكر ، بيروت ، 2005م.

9. د. عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللّساني العربيّ، دار توبقال للنشر، المغرب، 1998م.
10. د. عبد السلام المسدي، الهُويّة العربيّة والأمن اللُّغويّ، المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت، 2014م.
11. د. عيسى الشماس، المجتمع المدني (المواطنة والديمقراطية)، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2008 م.
12. د. مازن المبارك، نحو وعي لغويّ، مؤسسة الرسالة، سوريا، 1979م.
13. منير البعلبكي، المورد، مطبعة باقرى، طهران، 2006م.
14. د. محمود السيّد، الهُويّة ولغة التعليم، مجمع اللُّغة العربيّة، دمشق، 2013م.
15. بيل علي، تحدّيات عصر المعلومات، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2003م.
16. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1993م.
17. يوسف حتى، وأحمد شفيق الخطيب، قاموس حتي الطبي، مكتبة لبنان، دون تاريخ.

المجلّات العلميَّة المُحكّمة:

1. د. بان غانم أحمد الصائغ، "التّأصيل التّاريخيّ لمفهوم المواطنة"، في: مجلّة دراسات إقليميّة، جامعة الموصل، ع (13)، السنة (5)، 2009م.
2. بلال دربال، "السِّياسة اللُّغويّة المفهوم والآليّة"، في: مجلّة المخبر جامعة باتنة الجزائر، ع 10، 2014م.
3. علي فرغلي، "الذّكاء الاصطناعيّ ومعالجة اللّغات الطّبيعيّة"، في: مجلّة عالم الفكر، ع4، مج، 2004م.
4. د. مهدي عرار، "من الصّوت إلى الصّمت"، في: مجلّة مجمع اللُّغة العربيّة، دمشق، مج85، ج3، 2015م.

5. -ميشال كعدي، "التّحدِّيات لبقاء التُّراث واللُّغة العربيّة"، في: مجلّة شؤون ثقافيَّة، المديريّة العامّة للشؤون الثّقافيّة، وزارة الثّقافة اللُّبنانيّة، بيروت، ع1، (2015م).
6. نبيل علي، "الثّقافة العربيّة وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثّقافيّ العربيّ"، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع276، 2002م.
7. د. وليد محمد السراقبي، "اللُّغة والهُويّة والانتماء"، في: مجلّة دواة، الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المُقدّسة، العراق، مج1، ع6، السنة الثانية 1437ه/ 2015م.
8. "تشويه اللُّغة بين الإعلام والإعلان"، في: مجلّة جامعة البعث، حمص، مج33، 2013م.

الصُّحُف:

1. عثمان سعدي (رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللُّغة العربيّة)، في يوم اللُّغة العربيّة، صحيفة الشروق ، الجمعة 11 ديسمبر 2020 م, الموافق لـ 25 ربيع الآخر 1442 هـ.
2. عبد الله النملي، الفَرَنَسة انتهاك للدستور والسيادة الوطنية، هُويّة بريس 17 أبريل 2019 .

المؤتمرات:

1. أ.د. حسن منديل العكيلي، اللُّغة العربيّة والسيادة الوطنية العراق أنموذجًا، بحث مشارك في المؤتمر العلميّ الدولي لجامعة واسط-العراق بعنوان "القضايا التربويّة والإنسانيّة بين مُتغيّرات الواقع وآفاق المستقبل"، (بحث منشور في أعمال المؤتمر لمجلة واسط-كلّيّة التربية الأساسيّة)، 2021م.

أ. د. عبد الكاظم محسن الياسري، "اللُّغة العربيّة في مواجهة البث الفضائيّ"، في: مجلّة دواة ، الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة

المُقدّسة، العراق، العدد الخاص ببحوث مؤتمر دار اللُّغة والأدب العربيّ الدوليّ الثاني 2017م/1438هـ.

2. د. منصور فرح، اللُّغة العربيّة على الإنترنت، المؤتمر الوطنيّ الأوّل لصناعة المحتوى الرقميّ العربيّ بدمشق-حزيران 2009م.
3. د. نور الدين شيخ عبيد، المحتوى الرقمي العربيّ صورة لحقيقة، المؤتمر الوطنيّ الأول لصناعة المحتوى الرقميّ العربيّ، دمشق، حزيران 2009م.

المصادر الأجنبيّة:

1. Laroussi, F. Arabic and the New Technologies .In J. Maurais &M .A. Morris (Eds.) , Languages in a Globalizing World (PP.250-259), Cambridge : Cambridge University Press,2003.
2. Ali Houissa .Digitization as the Agent of Technological Revolution in storage ..Meia Notes,69, 97:14-21,2000

المواقع الإلكترونيّة:

1. حكيمة بولعشب ، تحديات الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة، أرنتروبوس: الموقع العربي الأول في الأنثروبولوجيا والسوسيوأنثروبولوجيا، 2010م.

www.internetworldststs.com

2. أحمد عبد الحفيظ ، الطريق للحرّيّة (أوراق التدريب النظري لأعضاء شبكة رسل الحرّيّة)، مصر: ينظر الموقع الالكتروني بتاريخ 2014/2/5:-
www.freedom.messengers.net

http://www.alyaseer.net

3. أ.د. عبدالرحمن بودرع، ورَشيد بلحبيب: ما علاقة اللُّغة بالهوية ؟ –الهُويّاتُ اللّغويّة في المَغرب من التَّعايُش إلى التّصادُم، مجمع اللُّغة العربيّة على الشّبكة العالميّة. تمّت الزيارة للموقع الإلكترونيّ بتاريخ الزيارة: 10-11-2021م.
http://www.m-a-arabia.com

....................❖❖❖❖❖ ....

سيكولوجيا الإبداع وأبعادها التأويلية- (كونفينيس) لسليم بتقة أنموذجاً

بقلم: شهيرة زرناجي*

chahira.zernadji@univ-biskra.dz

ملخص البحث:

إن الكتابة القصصية عالم لا متناه من الإبداع، سطور كثيفة من المعاني، حروف ثابتة من الدلالات، معان تصويرية شاملة، تتفجّر إبداعا، تمهّد للفكرة وما بعدها، خاصة عندما يتقن الكاتب سرديتها، ويطوف بين كل الأجناس الأدبية، كأنّما يؤكد قدرته على فن القول بكل اللغات والثقافات، وبكل الدلالات، والقوالب والأشكال، ليعبر الإنتاج الأدبي عنده عن سيكولوجيا إبداعية خاصة، تنقل القارئ من مجرد البحث عن الدلالة إلى إنتاج الدلالة. وهنا يتحدد الهدف الذي جاءت من أجله هذه الدراسة، وهو فهم سيكولوجيا المبدع من خلال نصوصه، وفتح باب التأويل بالوقوف على استحضار التاريخ البشري بكل ما يحمله من أساطير وأغان تراثية، وأشعار عربية.

كلمات مفتاحية: سيكولوجيا؛ إبداع كتابة؛ تأويل؛ دلالة.

1. مقدمة:

القصة القصيرة كما نعلم فن يقوم على اختزال العالم في لحظة، بل وتكثيفها، وبنائها على نحو بارق وموح، ومتوهج بوهج التجربة، وعلى هذه الصورة أبدع كاتبنا سليم بتقة مجموعته كونفينيس التي أردنا من خلال دراستها فهم سيكولوجيا المبدع. أو بالأحرى قراءة سطوره التي لم يكتبها، ولم يفصح عنها، لنفهم أو نحاول فهم هذه الذهنية الذكورية، ونستشف من خلالها لعبة

---

* جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر).

الإبداع لدى هذا الكاتب الجزائري الذي خاض عالم الكتابة من خلال اختياره لهذا الفن الأدبي، فهل كان الكاتب موفقا في اختياره، وهل كانت له دوافع نفسية لكتابته الإبداعية؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية تتبعنا المنهج الوصفي التحليلي، فضلا عن المنهج التأويلي الذي يقودنا إلى فهم ما وراء السطور، وذلك باعتماد خطة منهجية تبتدئ من تحديد المصطلح والمفهوم لتتضح أداة الدراسة، وينكشف منهجها، ثم طرح لأهم دوافع الإبداع عند المبدعين، ومنتهاها بحث في سيكولوجيا الإبداع عند الكاتب المختار.

2. مفهوم التأويل:

التأويلية أو الهيرمينوطيقا مصطلح قديم بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية، وهي مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني[1]. ثم أصبح كما يوضّح أغلب المفكرين في هذا الحقل، فعلا معرفيا ونقديا، يفتح أفاقا للتفكير في الخطابات الدينية، والفلسفية، والأدبية مقوّضا بذلك الأسس المؤدية للقراءات المتحجّرة للنصوص السردية، التي تسلّم بالمعنى الأحادي، والقراءة المطلقة، يقول عبد الرحمان التمارة في مؤلفه (نقد النقد بين التصور المنهجي والإنجاز النّصي): "يكتسب العمل النقدي أهميته إذن من الاستعانة بحقول ابستمولوجية شتّى، تمنح الخطاب النّقدي قوة استكشافية للأعمال السّردية، ليصبح النّقد مُقترنا بمجالات معرفية ليست بالضرورة نقدية، فيصير الاجتهاد النّقدي مدخلا هاما للمساهمة في دينامية تطورية يُنتجها تراكم الخطابات النقدية"[2]. وبهذا يكون التأويل آلية منهجية

[1] - حامد أبو زيد، نصر (2006)، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط1، ص13.

[2] - التمارة، عبد الرحمن (2017) نقد النقد بين التصور المنهجي والإنجاز النصي، دار كنوز للمعرفة، ط1، ص 77.

تمكن من قراءة النص الروائي وتحليل مرجعيته النصية لأجل اقتراح دلالات على العالم المسرود في الرواية، وليس البحث عنها داخله بوصفها دلالات ثابتة.[3]

إن التأويل قراءة لسيكولوجيا المفكر أو المبدع، بحث في الخطاب بملء فراغاته وبياضاته ليصير الغامض جليا، والمعقد بسيطا، ويصير المحذوف مذكورا، في عمل إنتاجي لدلالات سكت عنها صاحبها، وأفضى بها القارئ.

3. دوافع الإبداع وسيكولوجيا الكتابة:

من المهم جدا معرفة دوافع الإبداع، فسيكولوجيا الكتابة في الواقع النّفسي، والوعي الأيديولوجي كامنة في ذهنية متّقدة بالأحاسيس تُلّح على صاحبها راهنية تقمص حالة من المشاعر، والانطلاق في صنع نصٍ ينبض بالتناقضات، بالميولات، بالإبداعات، لخرق نسيج اللغة في كلمات تنأى عن الحقيقة إلى المتخيّل، من الثابت إلى المتحول، من الغائب إلى الحاضر، لمتلقٍ يجيد الغوص هو الآخر في هذه الذات المبدعة من خلال سطورها، وفراغاتها لقول ما لم يذكر، وبوح ما لم يستطع المبدع إليه سبيلاً.

وربما كانت سيكولوجيا الكتابة عند الرجل أدق وأرق، والاستعداد الفطري كامن منذ ذاك الجرح في بقايا النسيان، لأحاسيس قد تكون مهدّمة، وفعل الكتابة يبنيها من جديد، فهي تراكمات ومكبوتات، أو شوق للبوح، والرّجل في بوحه طويل باعه، كثير إنتاجه، تنصهر كلماته في قوالب الإبداع لتشي للقارئ أنها بنات أفكاره، وحياته هو، وسنين عمره.

4. قراءة تأويلية في سيكولوجيا الكتابة الإبداعية:

سيكون نموذجنا في هذه الدراسة لكشف سيكولوجيا الكتابة ودلالاتها التأويلية المجموعة القصصية (كونفينيس) لسليم بتقة، هذا الكاتب الذي مجّد ولا يزال صورة الرجل المثقف، والمتحرر من كل القيود، في سمائه يبزغ

---

[3] - م ن/ ص 8.

نجم الرقي في الفكرة، ووجه الالتزام بالقلم الحر، مُقوضا كل البناءات السّردية الهشّة، والاختلالات الفكرية المضللة، لقد جمع في نصوصه حنينه للعدالة الاجتماعية، للثورة على الظلم والسياسات القمعية، لأخطائنا الفلسفية، لبوحنا المتأزم، لأسرارنا المذهبية، وطقوسنا الاستعلائية، عبّر وبصدق عن ازدواجية أحكامنا، عن قراراتنا المتسرعة، وخيباتنا المتكررة، عن صورتنا أمام الآخر، عن قلقنا الوجودي، ووضعنا الهامشي الفوضوي.

والسؤال المطروح ما الذي أراده المبدع من مجموعته المكوّنة من اثني عشرة (12) عنوانا، تتنوع بين: المعربة (كاوس، الأنديميون، كوالا، بسوكوديا)، والعامية الدارجة: (بوكشاش، يقوللها المرضة)، والفصيحة: (الرصيف الحالي، الوجهة الأخيرة، أحجار الذاكرة، صاحب الجلالة الغيلم، وراء أبواب موصدة، السبت يأتي يوم الخميس).

هل كان ذاك القنوط، وذاك الألم النفسي الذي سببه الوباء، وراء اختيار هذه العناوين؟ فسرعة الأيام وتسارعها يشي بلون من التوتر، والخلل في بنية التاريخ، ونفسية الناس وخاصة المبدعين منهم ... تدور هذه المجموعة في زمن أزمة وجودية، أراد الكاتب فيها رصد عدد الإصابات والموتى، وتحليل ذلك الذعر الذي أذهل الناس جميعا، وهي مجموعة تربطها خيوط واحدة لفكرة مفادها توتر وقلق عن مصير العالم إثر هذه الجائحة، فاللجوء إلى تقديس ألفاظ دون غيرها، وشحن دلالاتها بمعاني التعظيم ، كانت السّمة البارزة في بعض هذه القصص، وكل المجموعة ما هي إلا حجر لذاكرة سترسخ في عقولنا كما رسخت وباءات مماثلة قضت على أعداد بشرية هائلة في سنوات خلت.

1.4. القصة الأولى: كاوس أو الفوضى:

يؤرخ لهذه اللحظة فيقول: "اهتز داخلي نغم ربيعي دافئ أزال عنه سكون السنوات الماضية، كانت دفعا لحياتي، وبديلا لصمتي الطويل"[4]، هذا الفقد الذي أشعره بغربة نفسية صارخة، جعله في بحث مستميت عن نقاط الرسو، بحث متواصل عن الأنا، عن الهوية.

أراد سليم بتقة لما كتب عن الموت في مجموعته هاته أن يعبر بكل صدق، فرحيل من كانوا سندا يعني لونا من الغربة والالتصاق بذلك الماضي، وهذا ما نستشفه في كامل مجموعته القصصية التي كانت منبرا للإفصاح والبوح، والصدق مع الأنا ومع الآخر.

يواصل كاتبنا صدقه عن نفسه أولا لنراه الصادق في قوله عن الآخرين، فها هو في موضع آخر يقول إنه بقي يبحث عنها منذ زمن، فهي الزمن كله؛ الماضي منه والآتي، هي بديل بحثه ومحور يقينه.

نفهم من قوله إنها لم تكن المرأة بل كانت الدنيا، بدليل (الزمن الاتي)، فالمرأة التي تحدث عنها في عداد الموتى، فكيف لها أن تكون زمنا آتيا؟، ويؤكد المبدع هذه الفكرة في الجملة التالية والتي اختصر فيها الحزن الذي يختلج قلب رجل في وداع كل من يحب في هذه الحياة، ليست المرأة فقط ، والتي قد يكون التفكير فيها في سن معينة (شيئا ثانويا، ربما نبكي أعمارنا، شبابنا تفريطنا، تقصيرنا، وهموم أخرى قد تتملكنا: "يلتصق الألم بشدة الروح.. إنها أسوء لحظة لقلبي الحزين. تمزّق الستائر تدعو إلى البكاء... توقد شموع الأحزان" .[5]

ومن المقاطع التي تستوجب فهما وتأويلا وسفرا إلى أعماق بطل هذه القصّة، (قصة العندليب)، فما علاقتها بموت الزوجة؟ يقول: "أقسمت ألا

---

[4] - بتقة، سليم (2020)، كونفنيس، دار امل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، دط، ص17.

[5] - م ن/ ص 18.

تتزوج"[6]، هنا نطرح السؤال عن هوية هذا العندليب الذي ترفض الزواج من أجله؟ ولماذا تبقى خبر خطوبتها سرا؟ وكيف تأخذه في صندوق عرسها؟ ... وماهي هذه الهدايا؟ إذن هي قصة مشفّرة للبطل. لماذا اختار كاتبنا بالضبط شخصية "رشيد" بطلا لقصته؟ كان أستاذا لمادة التربية البدنية؟ لماذا هذه المادة دون سواها؟ أسئلة عديدة يطرحها كل من يقرأ القصة، ويجيب عنها كل قارئ بمنظوره في زمن تعَدَّد فيه قراء النص، حتى لكأنه ليس النص ذاته. لأن القراءة في النقد الحديث لم تعد قراءة نقلب فيها النظر بين السطور، إنها قراءة حية، فاعلة منتجة.[7]

2.4. القصة الثانية: السبت يبدأ يوم الخميس:

هي حالة أخرى من يوميات كورونا... حالة تشابه الأيام والليالي والشهور، رتيبة هي المشاعر والكلمات والحروف.. سريعة هي دقات هذا الزمن المخيف...، في القصة ذكر لأخبار عديدة، حدثت في أشهر متقاربة ولم تحدث في جلسة واحدة، ولعل تأويل ذلك هو تسارع الزمن والشعور بأن كل تلك الأحداث جرت في زمن واحد، وهذا تقريبا ما كان يعنيه عنوان قصتنا (السبت يبدأ يوم الخميس)، عنوان يثير الشك والريبة في نفس القارئ، ويبعث على الحيرة و الاستفهام، لكن استكناه شخصية الكاتب، ونفسيته سيمحو كل ذلك القلق، ليعرف هذا القارئ أن العنوان لغم صغير يفجر سليم بتقة من خلاله مكبوتات ذات متألمة على أيام يشبه بعضها بعضا في الحسرة والخوف، والقلق والتذمر، والانهيار.

يتحدث الكاتب في هذه القصة عن بطل كان جالسا على الأريكة يقلب القنوات (بالريموت كونترول) على حد تعبيره، كما يتحدث عن الذين أتوا من

---

[6] - م ن/ص 18.
[7] - حرب، علي (1995) نقد النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، ص 21.

فرنسا ومعهم المرض (فطيمة أخت إسماعيل ابن نسيب الشخصية الرئيسية)، وعن تدافع النّاس لشراء السّميد، وعن صوت الأذان الذي يرفع كل صلاة، وخلو المساجد من المصلين. وعن صورة المدينة أيام الحجر .[8]

تتحدث القصة عن صورة البخل في المقاهي والتي تعدّت قصص البخل عند الجاحظ، وبخلاء أرباغون في قصص موليير. وتذكر مقولة حفيظ دراجي: حطّها في الـڤـول يا رياض" واستبدالها بمقولة: حطّها في الجيب يا رياض"[9]، هذا التناص الثقافي الشعبي الذي يقضي على رتابة الأسلوب واللغة، ويفضي إلى علاقة ترابطية بين الكاتب وعالمه، وبين النص وسياقه، حتى يستحيل النص فسيفساء من نصوص أخرى، أدمجت فيه بتقنيات مختلفة[10]، إنه التناص الذي يستثير القارئ بأشهر مقوله عشقها الشباب بعد هدف اللاعب الجزائري رياض محرز في كان 2019، حيث أراد الكاتب من خلالها أن يضع نصه في قالب فكاهي رغبة منه في الخروج عن رتابة السّرد، وسواد بعض زواياه بفعل الجائحة، وما تركته من ظلال نفسية ووجوديه قاتمة على التفكير الجمعي، الذي سيبقى راسخا في الأذهان، وكيف أن فيروسا لا يرى أتى على البشرية جمعاء، أغلقها وأبقى الجميع داخل أربع جدران برغم كل مباهج الدنيا، وألزم فريقا آخر العناية المركّزة ليتنفس أوكسجينا اصطناعيا، نقدا وعدا، في حين ردمت فئات أخرى وما أكثرها تحت الثّرى ردما، بطريقة تدمي القلب، هي زاوية مضيئة أراد الكاتب فتحها أمام كل هذا الشؤم والقنوط الذي صبغ هذه المجموعة.

---

[8] - بتقة، كونفينيس، ص 27.
[9] - م ن/صفحة 28.
[10] - الصباغ، رمضان (1998)، في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء الإسكندرية، ط1، ص 338.

ناهيك عن بعض الأمثال الشّعبية، والأغاني التراثية وبعض الأشعار العربية قديمها وحديثها مثل ما نجده في هذه القصة من أبيات للراحل محمود درويش، مثل :[11]

أريد رائحة القهوة

ولا أريد غير رائحة القهوة

ولا أريد من الأيام كلها غير رائحة القهوة.

لأن ارتشاف القهوة عادة ما يصاحب ذلك الصمت الصباحي الباكر المتأني الذي تقف فيه وحدك مع تختاره بكسل وعزلة في سلام مبتكر مع النفس والأشياء، لهذا قال كاتبنا :[12]

وحيدا أصنع القهوة

ويختم المبدع قصته هذه بمقوله الروائي "جاك لندن" في رواية الطاعون القرمزي: عن إمكانية فقدنا للنعيم الذي كنا نعيشه، والقصد هنا النعيم الذي لم نعرف قيمته، حتّى جاء هذا الوباء، فكشف لنا جبروتنا، ظلمنا، قسوتنا، جحودنا، تكبرنا، وكثرة جرائمنا، فهل نعود لضمائرنا، وتعود لنا ضمائرنا بعد كورونا.[13]

3.4. القصة الثالثة (وراء أبواب موصدة): العنوان شبه جملة، المبتدأ محذوف تقديره (نحن) أو(الكل)، فأصل التعبير: الكل وراء أبواب موصدة، ونستشف في هذه القصة وانطلاقا من عنوانها نفسا متعبة، تختبئ خلف الأبواب، بل إنها في التركيب ملغاة كليا، فلم يعد لها وجود إلا في البنية العميقة، إنها النفس التي

[11] - درويش، محمود (1997)، ذاكرة النسيان، منشورات دار الثقافة، ودار الناشر، رام الله، ص9.
[12] - م ن/ص11.
[13] - بتقة، كونفينيس، ص 30.

اشتاقت إلى الحياة الطبيعية، لكن الوباء فرض عليها أن تبقى حبيسة الجدران ترصد أخبار الجائحة وتتابعها أولا بأول.

زمن أحداث القصة كان الأسبوع الثاني من الجائحة، الإصابات ارتفعت وعبارات الشؤم توالت، إذ يقول: "لا شيء يبعث على الأمل"[14]، "الأخبار الكئيبة وصور الدفن الاستثنائية لموتى لقوا حتفهم بسبب كورونا، ولا يستطيع أهاليهم إلقاء النظرة الأخيرة عليهم وتوديعهم، صورة الحزن في كل مكان"[15]، نستطيع القول جملة إن هذه القصة بالذّات تحمل الكثير من القراءات، والتأويلات، فخلف كل أبوابنا الموصدة حياة ما، حياة لا يعلمها إلا الخالق... حياة تختلف فيها الأشكال والألوان، والمزاجات، تختلف كذلك العقليات والثقافات، بين حياة هادئة وأخرى فوضوية، أو لنقل حياة يغطيها السّلام وراحة البال، وأخرى يكسرها الحزن والشّقاء، الكل يركن إلى حَجره إلى حبسه الذي أجبر عليه.

في القصة أيضا يذكر الكاتب مقطعا لمحمد راشدي يتحدث فيه عن اللذة التي تتركها القهوة في نفسية الكاتب، ورائحتها التي تحرّك فيه حنينا ما إلى الماضي ربما، أو إلى ذكريات هامة علقت في خبراته، ومجموعة أشيائه المقدّسة التي يحملها معه عبر رحلة الحياة يقول: القهوة دارت الروائح".[16]

كما يذكر عيون الأدب العالمي من هيجو، إلى راسين، إلى فولتير... وغيرهم هروبا من الأزمة إلى عالم المتخيل، عالم القصة والرواية، وخاصة الغربية منها، فالكاتب مولع بالآداب الأجنبية، إنه سفر إلى تلك البلاد، بدون

---

[14] – م ن/ص 33.
[15] – م ن/ص 39.
[16] – م ن/ص 34.



تكلفة، وقراءة تجارب وآثار هؤلاء في حياتهم، والتعرف على فلسفتهم، في حل إشكالات الإنسان "إنها طريقة للهروب وأنا، في أمس الحاجة إلى ذلك".[17]

وفي القصة يقدم المبدع نصائح لاستغلال وقت الحجر وحديث عن الوضعية في المهجر، وهي أصعب بكثير مما هي عليه في الجزائر، إنها قصة واقعية إلى أبعد حد، فيها من الشخوص والأحداث ما يقربها إلى القصة الإخبارية، وقد نجح الكاتب في تصوير الواقع وتثبيته في الذاكرة الجماعية.

4.4. القصة الرابعة: الأنديميون

أو الخوف من الشيخوخة، العجز، المرض، الموت، الخوف من الفقد الحرمان، الضياع.. أن نرغب بكل عنف في الشباب في الجمال، حتى من وجهة نظر ذكورية، فقد اعتدنا في سيكولوجيا المرأة عامة أنها تنأى عن التجاعيد، تحب الجمال، الأناقة، العطور، الفخامة، الرقي، المال، الرشاقة، أما أن يكون ذلك من سيكولوجيا ذكورية فهذا ما كشفه لنا سليم بتقة في كونفينيس، هو الخوف من الموت، الرغبة الجامحة في نيل التقدير، والوصول إلى الألقاب الكبيرة، وفرض الاحترام، وغيرها كثير من أبجديات نفسية المرأة والرجل، إذ تتقاطعان معا في حب الجمال والشباب والخلود، إنها حال سيكولوجية ينشدها الجنسين: الذكر والأنثى بأحجام مختلفة وكيفيات مختلفة.

يتحدث الكاتب في هذه القصة عن الفوضى التي أنتجها الوباء، والفوضى الفكرية، ويتحدث عن العودة إلى الطبيعة، وحب الترتيب، و"الكنس" لفظة تكررت في هذه القصة بالذات عديد المرّات كثنائية ضدية للفوضى الخلاّقة التي أنتجتها أيام الكورونا، كما يتحدث عن فكرة ترتيب الشّقة، وترتيب المكان، لدفع الأرق ، ثم ينتقل الحديث إلى الجارة الدبة يصفها ويصف حياتها منذ وفاة زوجها وبيعها لبيت العائلة، و عيشها وحيدة في

---

[17] - م ن/ص 35.

شقة، ورفضها الاحتكاك بأبنائها إلا مرة في الشهر، يأتي ابنها الأكبر ليستلم راتب منحة التقاعد بالعملة الصعبة، وهي تردد أغنية" بقار حدة" المرثية الحزينة لزوجها.

تميزت القصة بطاقة هائلة للكاتب للتعابير المجازية أولها قوله: تسقط عن كتفي فكرة ترتيب الشقة، وقوله: إنها تزيح النعاس الثقيل عن الماضي الجميل[18]، وقوله: تختفي الذكريات وراء ضباب الساعات[19]؛ إنها لغة الأديب الرصين الذي يقضي باللغة على المجازية على رتابة اللغة العادية ومن ثمة على رتابة الحياة وروتينها القاتل، خاصة عندما يكون هذا الروتين محكوما بوباء ككوفيد 19.

5.4. القصة الخامسة: كوالا

والكوالا نوع من الثدييات، وهو من الحيوانات العاشبة، ومتسلق أشجار ماهر، تطيب له الإقامة على الأشجار، وهو حيوان هادئ، ينام على شجرته بمعدل 19 تسعة عشرة ساعة في اليوم[20]، ولكن ما دلالته هنا؟

ربما يمتاز الكوالا بما تميزت به الشخصية الرئيسية من خمول، وسكون، ووحدة عاشها العالم ويعيشها على وقع مستجدات الجائحة مع بداية الأسبوع الثالث.

أكثر ما يثير في هذه القصة استحضار الموروث الشعبي والثقافي من خلال تلك الإشارة إلى أغنية الشاب حسني: راني مرة هنا ومرة لهيه[21]، إنها حالة التذبذب الواسع، والقلق اللامحدود الذي يعيشها المبدع وهو يكتب

---

18 – م ن/ص 43.
19 – م ن/ص 49.
20 – أطلس الحيوانات، (2007)، ترجمة فادية كهنوش، دار بيع للنش، سوريا، ط1، ص12.
21 – بتقة، كونفينيس، ص 55.

مجموعته القصصية، فمكانه غير ثابت، ولا واضح، هو مرة هنا ومرة هناك، لأن الموت والفوضى، والإغلاق التام ورثوه الشتات والتوتر.

تميزت القصة أيضا بوصف نفاق الفيسبوكيين أو رواد المواقع التواصلية، فهو من قبيل رصد للحقبة المعاشة وتأريخها، فذكر كلمة "موسوسين " كان نعتا صريحا ودقيقا لفئة معينة وما أكثرها، لها صفات منفرة لدى كاتبنا[22] واستعمال العامية كان أبلغ وأكثر دلالة.

6.4. القصة السادسة: صاحب الجلالة الغيلم

والغيلم هو ذكر السلحفاة، يدل في قراءة تأويلية على بطء عمال البريد والمواصلات في أداء مهامهم، بل إنهم غير أمناء البتة فالحوار الذي دار بين الأستاذ الثانوي، والذي يمثل شخصية الكاتب الحقيقة، وبين موظف البريد والمواصلات، في مشادات كلامية مهينة جعلت المؤسسة بأكملها تثير الاشمئزاز والرغبة في الانتحار.

في هذه القصة نستشف سوء معاملة عامل البريد والمواصلات للأستاذ المثقف، بل واحتقارهم له، فالأستاذ إنما يعبر عن مجموعة من القيم الإنسانية، هو من تتلمذت على يديه آلاف الأسماء والألقاب، عاملهم سواسية، تعب في تحضير دروسه، تحمّل الكثير، ليكون عادلا في تقييمه، عادلا في أحكامه، ناصحا، متفهما صابرا على غلاء المعيشة وأجر لا يتناسب مع ما يبذله في سبيل زرع القيم، قبل العلم والمبادئ، وقبل الأجر أيضا، لكنه في الأخير يتحمّل سوء ظن الشامتين وسوء تقدير غير العارفين ،هي إذا أزمة هذا العصر الذي ساوى بين المثقف وغيره، ولعل هذا الأخير أكثر نفوذا وحصانة لمال يمتلكه مهما كان مصدره، أو ربما أكثر تقديرا لما يملك من مؤسسات، وسيارات، وما محل هذا الأستاذ المثقف، والمتخلق في مجتمع اختلت عنده الموازين؟ وهل نستطيع القول

- [22] م ن/ص 59.

بأن الكاتب وحده من يشعر بهذه الأزمة؟ أم أنها تنسحب على كل المثقفين في هذه الولاية وغيرها، أم أن هذا الشعور نسبي، ربما لا يشعره آخرون مطلقا، وربما يتفاوت من مثقف لآخر، هي إذا مسألة جد حسّاسة طرحها الأستاذ والدكتور والكاتب سليم بتقة، كما صوّر الكاتب استهتار الخارقين لقوانين الحجر هؤلاء الذين محا الجهل عقولهم: " كنسته رياح الجهل من يومياتهم"[23]، ومقارنتهم بثقافة الحجر عند الإيطاليين.

في هذه القصّة سرد حقيقي لواقع المدينة واستخدامه جملة من الألفاظ المتداولة يوميا، كنساء العمارة، سيارات الشرطة، شراء الخبز، استلام المرتب الشهري ... لم يكتف الكاتب في هذه القصّة بذكر أعداد الموتى فحسب، بل قرّب لنا الواقع أكثر، فذكرهم فردا فردا، بأسمائهم وألقابهم وكنياتهم، هم أفراد حقيقيون، من روح وجسد، لنشعر عظم المأساة التي يؤرخ لها كاتبنا وأستاذنا بتقة سليم، فالحاج لخضر، وصميدة الإسكافي، وموسى الميغري كانوا فعلا ضحايا كورونا.

إنها النفس المبدعة عندما تتألم وتتوجع، فالكاتب مختلف عن غيره، في طريقة التعبير، تدفعه سيكولوجيا الكتابة إلى إنتاجٍ يصور فيه الواقع، ويحاكي فيه الحقيقة، فيكتب بمرارة عما أرقه، وعما آله.

يعود الكاتب في هذه القصة إلى الزوجة المثالية "ايمان" التي توفيت إثر مرض خطير، ولهذا التكرار دلالته التأويلية، فذكرها تعبير عن حاجة ماسّة في الوعي واللاوعي لذات متفهمة، لذات تستمع لنا، لذات تعيد لنا ذاك الشباب، والجمال، لذات تهدينا عودا نعزف عليه أنغام السّعادة المفقودة، في زمن الصّفاء، وزمن الوباء.

7.4. القصة السابعة أحجار الذاكرة:

---

[23] – م ن/ص ن.

هي قصة صديق الطفولة "ميلود"، قصته مع الضرب ... في برد الشتاء بقشابية تعنون الحاجة والفاقة، ورغم كل هذا ظلم البشر وقسوتهم وجبروتهم، في شخص الحوذي سائق العربة، وذاك المدير وليس كلهم، وأولئك الأساتذة وليس جميعهم، هؤلاء انهالوا ضربا على صغير لا يملك في عقله إلا بضع أبجديات الحياة، في اللعب والترويح عن النفس من كبت الفاقة والفقر، وضحك الأقران والصّداقات إلى الأذقان في سن البراءة، ربما براءتهم تشفع لهم، فأين هو مليود فينا عندما كبرنا، وهل لانزال نركض وراء الدنيا وهي قُدما تشق طريقها ونحن خلفها.. تركلنا تارة وتقذفنا أخرى مثل "ميلود،" هل تعلّم الدرس، وتعلّمناه نحن أيضا، ليبقى محفورا في ذاكرته وذاكرتنا، أين هو بيننا؟ هل نسي ماضيه، وماضينا، في كل شخص فينا جرحه الذي لا ينام.

وقبل الولوج للقصة التالية، تستوقفنا كلمات تاهت منا، وظّفها الكاتب بعاميتها، رغم وجود ما يقابلها في لغتنا الفصيحة، تأكيد آخر على قدرة الكاتب في السّفر عبر التاريخ وسرده بمنتهى الدّقة والكفاءة، وهذا بالطبع ينسحب على كل أعماله الإبداعية، عامة وهذه المجموعة خاصة، فاستخدامه للتراث بكل أنواعه، وألوانه من أمثال شعبية، وحكم، وأغاني تراثية، وأساطير غريبة... كان له الأثر الكبير في تقريب قصصه للواقع، والثقافة بمنتهى الوضوح، من هذه المفردات العامية التي تدل وبصدق عن المرحلة التي كان فيها الكاتب تلميذا بالابتدائية برفقة زملائه ": الكاليش، الشاكمة أو الشكيمة، شحوط ياعمي شحوط، قشابية، كان يتعنكش في الكاليش سيدي" .

8.4. القصة الثامنة الوجهة الأخيرة:

يتساءل الكاتب من خلال هذا العنوان: عما سيترك وراءه؟ أو ما فائدة الحياة؟ فللعنوان رمزية كبيرة، تأويلها: القبر، فهو الوجهة الأخيرة لكل إنسان، عالم وجاهل، عاص ومؤمن، صغير أم كبير، غني أم فقير...، يواصل الكاتب سرد

يوميات الكورونا، بذكر التواريخ، والسّاعات على وجه الدّقة، ويعيدنا إلى شخصية فطيمة أخت سليمان التي أصيبت بكورونا عقب وصولها إلى أرض الوطن من فرنسا، ووفاتها المفاجئة بسبب الوباء.

يقول الكاتب في هذا الشأن وكأنه يُعزي نفسه، فالرّاحلة رحلت بدون رجعة، والدّور آت على كل واحد منّا طال الزمن أو قصر، بسبب الوباء أو من دونه، "تساق فطيمة وحيدة إلى المدفن.... ستغيب الدّموع التي تسيل من العيون، وستفقد كلمات العزاء معناها، في الجنبات، القبر سيكون مفتوحا في انتظار الجسد الذي سيزحف ببطء صوب تلك الفتحة التي لا تمل الابتلاء.... رحمك الله يا فطيمة وأسكنك فسيح جناته" .[24]

ولأنها الحياة لا تزال فينا، ها هو يفسّر لنا فلسفته في الحياة التي ترادف البحث عن السّعادة، فيقول: أحاول أن أصل إليها ... كطفل يجري وراء كرته يكاد يلتقطها ... غير أنها تهرب منه إلى شارع آخر .[25]

ونحن إذ نسعى لفهم هذه النصوص إنما نعيد معايشة العمليات الذهنية لمؤلف النص، لأننا ننطلق من تعبير ثابت ومُكتمل.[26]

9.4. القصة التاسعة بسوكوديا:

هي قصة تذكرنا بقصص شارل ديكنز، في روايته البيت الكئيب، والتي يتحدّث فيها عن شخصية بطلها، السيّد كروك الذي يقوم بتكديس ملفات لن يقرأها أبدا، هي أيضا من العناوين المبهمة للعامة، وتعني الأدمة التي تأكل الأوراق القديمة ... لماذا لم يكتبها باللغة العربية؟ لماذا يلجأ كاتبنا إلى إحداث صدمة فينا، أم هي خلاصة علمه وثقافته، تميز يحاول الاستئثار به، في كل

---

[24] - م ن/ص80.

[25] - م ن/ص 81.

[26] - غادامير، هانز جورج (2006)، فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الاهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، المركز الثقافي العربي، ط2، ص 65.

سطوره، وعباراته، منذ قصصه الأولى، هو خط واضح، ودقيق وثابت، نحو التفرد والتميز...، ومن خلال قراءتنا الأولى للقصة تتضح لنا شخصية "دحمان" المدرس، الذي يوصف بقلة النّظام، وما يترتب عنه من فوضى على جميع الأصعدة، وأثر ذلك على نفسية الشّخص ذاته، وآراء من حوله، وكم هو صعب لقب أستاذ من جهة، ولقب مهمل أو غير متزن، من جهة ثانية، إذا الكاتب يطرح فكرة عميقة، فكرة لصيقة بعلم النفس، وعلم الاجتماع فكرة تحاول كشف حقيقة النّفس البشرية وصراعها الخالد لطلب الكمال، ونيل رضى الناس، فتأويل وجود مكتبة تحوي كتبا قديمة، أو جديدة مع عدم الاطلاع عليها، أدى إلى ظهور تلكم البسوكوديا، وهذا ينسحب على العديد من الأفكار التي نحملها ولا نطبقها، المال الذي نكتنزه ولا نعلم في أي وجهة نصرفه، المبادئ التي نعرفها وننصح بها وكم نجيد دور النّاصح، لكننا لا نطبق ما ننصح به، والكتب التي لا نقرأها هي المثال الذي أراد كاتبنا وضع خط أحمر عليه، ربما نفسر ذلك بأن العلم، وكثرة الاطلاع هو الحل الأفضل لحياة راقية، فلو اتخذ بطل هذه القصة هذا الأمر بعين الاعتبار لما وصلت حالته لهذا الدرك من: الجلبة والضجيج، له خمسة أرقام هاتفية، مكتبه متناثرة ،كتبه ودفاتره ....شعره مبعثر، ينقر دائما أصابعه على مكتبه دليل توتر وقلق، كثير الكلام ،متذمر دائما ،شديد النرفزة ،سريع تقلب المزاج، يجبر الجميع على حبه من تلاميذ وإداريين ومفتشين وزملاء وأهل حيه[27]، يعاني شتاتا كبيرا، وعدم تنظيم، فهو مثال للفوضى واللانظام.

إنها نفسية الكاتب وسيكولوجيته المبدعة التي ساقته إلى صنع هذا البطل الفوضوي مقابل ذلك الأستاذ الحقيقي، الأستاذ المثقف فعلا، لأن الحياة

---

[27] – بتقة، كونفينيس، ص 86.

اليوم وخاصة في ظل الجائحة لا تعدو أن تكون رقعة شطرنج يلعبها اثنان لا يعرفان من قوانينها إلا أسماء البيادق.

10.4. القصة العاشرة بوكشاش:

هو الوزغة حيوان صغير من السّحالي، وهي حيوانات ليلية تنطلق لصيد الحشرات عند هبوط الظلام، لها أصابع تساعدها على الالتصاق على كل السطوح حتى الملساء جدا[28]، أراد الكاتب من خلال هذا العنوان لفت الأنظار، وكان له ذلك، فالقارئ يبحث من خلال العنوان، ومن ورائه المضمون في سبب هذا الاختيار، وسبب ذكره بالعامية "بوكشاش"..

هل لهذا الكائن صلة من بعيد، أو من قريب بهذا الانتهازي "كمال حباب" الذي كان صديق الدراسة للكاتب، هذا الأخير الذي أراد أن يكون كاتبا مشهورا، لكنه فشل، أو أنه لم يصبر، أو أن أسلحته وأدواته لم تكتمل...

حدث وأن انتهز فرصة وجود رواية في حقيبة دبلوماسية، داخل سيارة الأجرة التي يعمل عليها، تركت سهواً، وبدل أن يوصل الأمانة إلى أهلها، استغلها، لأن الحرب الأزلية مع النفس الأمارة بالسّوء حالت دون ذلك، وهكذا وصل إلى مبتغاه من مال وشهرة، على حساب آلام و مجهودات غيره، وجاءه النّجاح بسرعة البرق، لكن بطعم مُر لم يدم، فالكاتب الحقيقي ظهر فجأة، وترك له اللعنة، وعقاب الضمير، وعتابا قويا يجلده في اليوم ألف مرة: "خلت وجهي وقد تحول إلى قطعة جلد قاتمة، في يد اسكافي يدق بها المسامير، ومات الرجل ودفن معه السر."[29]

إذا هي قصة عن الإنسان الذي يتسلق جدران الفرص، ينتهزها انتهازا، ويستغلها استغلالا، ويقبض على فريسته دون رحمة، ومن دون سابق إنذار،

---

[28] – أطلس الحيوانات، ص 190، 191.
[29] – بتقة، كونفينيس، ص 102.

حاملا آثار الجريمة على أقدامه، كما يحمل البوكشاش سمومه على أطرافه الأربعة، ليتحول كل شي إلى دنس، فيتعكر صفو حياته، وينقلب رأسا على عقب، هؤلاء هم انتهازيو هذا الزمن، وبطل القصة يشبههم جدا، بل هو واحد منهم، أشبه البوكشاش بلسانه الطويل الذي يتلقف من بعيد فريسته، والذي يقتات ليلا، وفي الظلام، فالنور بانكشافه وسطوعه لا يناسب المتسلقين.

هكذا أراد سليم بتقة لقصته هذه أن تعبر عن دواخله، لكنها وهي تفعل ذلك قد تغدر به، لأنه سيفاجأ يوما ما حين يرى مجموعته القصصية تحيا حياتها القصة على حد تعبير نيتشه، فتنساه تماما، وتسمو فوق الأفكار التي كان قد ضمنها إياها[30]، لأن قارئا آخر بسيكولوجيا مختلفة قد تبناه.

11.4. القصة الحادية عشر: الرّصيف الحالي

هو سوق الجمعة وهي مرزاقة في سعيها الحثيث للعمل المضني لأجل مقابل زهيد، لا يمثل المجهود المبذول، باختصار هي تركض "وراء الخبزة، أرملة تبيع الأعشاب ويا له من مصدر رزق ضئيل، لمن تعيل عائلة بأكملها، وتسكن منزل كراء، وصفها الكاتب بدقة شديدة شكلا ومضمونا: "فكل المساحيق وأيام ما قبل الحجر كانت تظهر ها بشكل مختلف، أم هي البطالة وهمومها ؟"[31]، لقد ألغت أنوثتها منذ أن تطلقت، رغم أنها لا تزال في ريعان الشباب...،لم يبق منها شيء.... لكن سيفرجها من لا يغفل ولا ينام " .[32]

عندما بلغنا في قراءتنا للرصيف الحالي، كان سؤالنا الأول ما دلالته التأويلية؟ لكن مضمون القصة كفى ووفى عن معنى العنوان ودلالته، فحين نفقد الزوج أو المعيل أو الشريك أو السند أو الأنيس أو الصديق أو النصف الثاني

---

[30] – نيتشه، فريديريك (1998)، إنسان مفرط في إنسانيته، ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص 208.

[31] – بتقة، كونفينيس، ص108.

[32] – م ن/ص 111.

مهما كانت صفاته، ورغم ما قد تملكه المرأة بعد الشريك من المال والجمال، والألقاب والمراتب والصيت والمكانة، رغم كل شيء ... ستظل المرأة بلا سند بلا ظهر، بلا أساس من دون زوج يدعمها، أو بتعبير الجزائري (يسترها)، فكل الأساس رجل، وكل الأسماء سند، سند على قسوة الزمن، وعلى كيد المحن، وجود الرجل يعني الكثير، بل إن وجوده هو كل شي في حياة المرأة، وذلك نابع من ثقافة شعبية عربية بصفة عامة، وجزائرية بصفة خاصة.

ويتأكد من تحليلنا للنص ما بين التفسير والفهم من صراع واضح وصريح[33]، فهما طرفان يتجاذبان الخطاب، يمنحانه المرونة والقوة، ويمنحانه الوضوح والغموض، لأن القارئ لم يعد لعبة بيد الكاتب، بل صار مبدعا آخر له ما يقول.

12.4. القصة الأخيرة: يقولو لها المرضة

العنوان مقدمة لأغنية من التراث الجزائري العصي عن النسيان، أغنية أداها رابح درياسة واستحضرها كاتبنا مع بقية ما استحضره من أساطير، وتراث شعبي، وحضاري، في كامل هذه المجموعة كما سبقت الإشارة إلى ذلك، في هذا الاستحضار يمكن تأويل سيكولوجية مبدعنا التي تقدس وتعظم ما قام به هؤلاء الممرضون والأطباء إبان هذه الجائحة وما قبلها، كما عظم قبله رابح درياسة الممرضة، التي شغفته حبا وعشقا، لقد صوّر سليم بتقة وبكل التفاصيل أعمالهم الروتينية واليومية منذ بدء الدّوام إلى نهايته، كما صوّر حالتهم النفسية، والمعاناة التي يحملونها معهم إلى بيوتهم. فلم يكن دورهم مجرد "الحقن والهباء الجوي وفحص الأكسجين[34]"، بل إن دورهم تعدّى ذلك إلى كونهم السند الإنساني لأولئك المرضى الذي ينتظرون موتهم الحتمي.

[33] – مصطفى، عادل (2007)، فهم الفهم، مدخل الى الهرمنيوطيقا، دار رؤية، القاهرة، ط1، ص97.
[34] – بتقة، كونفينيس، ص 118.

5. خاتمة:

خلاصة القول: إن مجموعة كونفنيس لسليم بتقة حملت العديد من المعاني والقيم الإنسانية في شخوصها وأحداثها، عبرت بحق عن نفس تحترق لواقع مرير، فكانت سيكولوجيا الإبداع، مرتبطة أشد الارتباط بتجربة إنسانية واسعة، ظللتها الجائحة بظلالها، فكانت القراءة التأويلية للنصوص السردية عند كاتبنا، هي المنهج القويم الذي أضاء لنا هذه النصوص القابلة للانفجار الدلالي، والمكثفة بالمعاني والغايات المبطنة.

6. قائمة المراجع:

1. أطلس الحيوانات (2007)، ترجمة فادية كهنوش، دار بيع للنش، سوريا، ط1.
2. بتقة، سليم (2020)، كونفنيس، دار أمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، دط.
3. الصباغ، رمضان (1998)، في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء الإسكندرية، ط1.
4. مصطفى، عادل (2007)، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، دار رؤية، القاهرة، ط1.
5. التمارة، عبد الرحمن (2017) نقد النقد بين التصور المنهجي والإنجاز النصي، دار كنوز للمعرفة، ط1.
6. نيتشه، فريديريك (1998)، إنسان مفرط في إنسانيته، ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
7. درويش، محمود (1997)، ذاكرة النسيان، منشورات دار الثقافة، ودار الناشر، رام الله.
8. حامد أبو زيد، نصر (2006)، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط1.

9. غادامير، هانز جورج (2006)، فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة محمد شوقي الزين، المركز الثقافي العربي، ط2.

10. حرب، علي (1995) نقد النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2.

....................❖❖❖❖❖ ....

توظيف الشبكات الاجتماعية والمنصات الإلكترونية في مجال التعليم: دراسة مسحية عن توظيفها في تعليم اللغة العربية وتعلمها في كشمير

د. جاويد أحمد بال *

paljavid@gmail.com

ملخص البحث:

سعت هذه الدراسة لتحقيق الدور الذي تؤديه التقنيات التعليمية المتطورة وتثبيتها مثل الشبكات الاجتماعية والمنصات الإلكترونية في التعليم ومعرفة درجة توظيف هذه التكنولوجيا من قبل المعلمين والمتعلمين لتعليم اللغة العربية وتعلمها، وإلى أي مدى ساعدت في تحسين وضع اللغة العربية في كشمير؟ وتهدف الدراسة بذلك إلى إبراز أهمية الشبكات والمنصات الإلكترونية في عملية تعلم اللغة العربية للمنشغلين بالتعليم وخاصة للجهات الرسمية المعنية بالتعليم، استعرضت الدراسة الموضوع نظرياً وتطبيقياً، واعتمد الإطار النظري على المنهج التحليلي النقدي واعتمد الإطار التطبيقي على المنهج المسحي الوصفي، تبلور خلال الشق النظري أن التقدم التكنولوجي خاصة منذ ظهور خدمات الجيل الثاني للشبكات (الويب 2) أحدث تغييراً جذرياً في استراتيجيات التعليم والتعلم عامة وبالتالي في تعليم اللغات وتعلمها، والاستخدام المتزايد للتكنولوجيا جعل دمجها في التعليم أمراً محتوماً، واشتمل الشق التطبيقي على مسح ميداني لعينة من المعلمين والمتعلمين من كشمير لتقييم مدى توظيفهم للتكنولوجيا وتأثيرها على عملهم التعليمي وشمل المسح الميداني ثلاثة محاور، المحور الأول يدور حول الشبكات الاجتماعية والمنصات التعليمية التي يستخدمها المنشغلون بتعليم العربية وتعلمها لأغراض تعليمية، والمحور الثاني يدور حول دراسة تحسن مجال من مجالات اللغة العربية لدى

---

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربيّة وآدابها، الكلية الحكومية في بلوامة (كشمير).

المستخدمين، والمحور الثالث يدور حول آراء المعلمين عن القضايا المهمة التي تهم المهتمين بتعليم اللغة العربية في كشمير، وكانت عينة عبارة عن 48 شخصاً يمثلون المجتمع التعليمي للغة العربية، وتوصلت النتيجة إلى أن نسب استخدام المنشغلين بالعربية للمنصات التعليمية الإلكترونية بلغت درجات عالية كلها ترتفع من المتوسط وتتراوح بين 24 و 41 شخصاً من مجموع 48 شخصاً، ومدى رضاهم بها أيضاً أعلى من المتوسط تتراوح بين 20 و 33، وتبلغ نسبة أشخاص تحسنوا علوم القران وإتقان تلاوته باستخدام وسائل الإنترنت 92٪ مقابل نسبة 57٪ للمهارة البيداغوجية، وأظهرت الدراسة موافقة المدرسين على استخدام هذه المنصات بدرجات عالية، وقد أوصت الدراسة بضرورة دمج المنصات التعليمية بشكل منتظم كركيزة أساسية للتعليم عن طريق تطبيقات وبرمجيات لإيجاد بيئة التعليم الإلكتروني المثلى حتى يتم تحرير عملية تعليم هذه اللغة المباركة من قيود الوقت والمكان والمحتوى المحدد والإتاحة والنفاذ.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، المنصات الإلكترونية، الشبكات الاجتماعية، التعليم، التعلم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أولاً – الشبكة العالمية أو الإنترنت من أعظم مخترعات البشر، تستخدم لاحتياجات كثيرة من أهمها التعليم، وبعد ظهور الإنترنت أنشئت الشبكات الاجتماعية للتواصل بين الناس، ولكنها أيضاً وظفت للأغراض الأخرى منها التعليم، بالإضافة إلى ذلك وجدت المنصات المتنوعة للتبادل العلمي والمعرفي



وللتواصل بين المعلمين والمتعلمين لأهداف تعليمية، بالإضافة إلى ذلك أنشئت مواقع تعليمية خاصة، وهي "وحدات تعليمية من الصفحات الرقمية على شبكة الإنترنت، تتكون من عناصر الوسائط الفائقة، وتحتوي على أنشطة وخدمات ومواد تعليمية لفئة محددة من المتعلمين، ويتم إنتاجها وفقا لمعايير تربوية وتكنولوجية مقننة لتحقيق أهداف تعليمية محددة"[1] وقد تحقق التعليم أهدافه التي صعبت عليه أن ينالها بطريقة تقليدية مجردة من استخدام التكنولوجيا، وتسهلت عملية تعليم وتعلم اللغات الأجنبية التي تتطلب أساليب تفاعلية وتدريبات تطبيقية، وهذه المنصات تقدم فرصاً لتحقيق الكفاءة اللغوية بأساليب تفاعلية وممارسة لغوية كلاماً وكتابةً، إذاً أصبحت الشبكة جزءًا مهماً في تعليم اللغات، حيث استفادت اللغات من إمكانات الشبكة في سهولة الاتصال وتوفر المعلومات ووجود الوسائط المتعددة، وتغيرت التعاملات والطرق والأساليب في تعليم اللغات بما فيها اللغة العربية التي استفادت أيضاً من هذه المتغيرات، فقد استخدم الطلاب والمدرسون المواقع والمنصات الالكترونية التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بتعليم اللغة العربية. وهذه المواقع والمنصات أعطت لهم فرصة للتعلم الذاتي والتعليم عن البعد بأساليب متنوعة ومتطورة. وفي السنوات الماضية تعمق هذا التغير الهائل بسبب الثورة المعلوماتية والثورة الصناعية الرابعة حيث بدأ المهتمون يفكرون في دمج التكنولوجيا بشكل دائم في المناهج التعليمية، ولم يستقر الأمر بعد، ومسيرة تحديث تعليم اللغة العربية وفق معطيات تكنولوجية مستحدثة متواصلة على مستويات عديدة.

ثانياً – اللغة العربية تحتل مكانة خاصة في قلوب أهل كشمير بصفتها لغة القران الكريم والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، ولكنها تفتقر إلى

---

[1] مصطفى، أكرم، **إنتاج المواقع التعليمية**، (القاهرة، عالم الكتب، 1427 ه) ص: 148

الدعم الذي تقتضيها من قبل الجهات الرسمية وتفتقر إلى المعلمين المؤهلين والمناهج الدراسية المحدثة والتسهيلات اللازمة التي تساعد في رفع مستواها في كشمير، مشكلة التداخل اللغوي بسبب الفوارق الكثيرة بين اللغتين الكشميرية والعربية بداية من الأنماط الصوتية إلى تركيب الجملة تجعل الدارس والمدرس في الصعوبة، والتحديات العامة الأخرى تتمثل في وجودها الضئيل في السلك الاجتماعي كلغة التواصل وفي مجال التعليم كلغة الوسيط وفي البيئة الثقافية كلغة التثاقف والتبادل الثقافي، وزد على ذلك أنها لا تزال تدرس بطرق بالية معتمداً على التلقين والترجمة والحفظ من متون الكتب الكلاسيكية التي تحتاج إلى إعادة الترتيب والصياغة وفق روح العصر وثقافته، ولكن بفضل التكنولوجيا الحديثة تعرض المعلمون والمتعلمون في كشمير للبيئة العربية الافتراضية على الشبكات الاجتماعية والمنصات التعليمية مثل فيس بوك وواتس اب وزوم مما سدد النقص الموجود في البيئة التعليمية المناسبة لتعليم اللغة العربية، بدأ الطلاب يفهمون العربية في سياقات قريبة من الواقع، تعوضت هذه المنصات عن البيئة الملائمة للطريقة المباشرة لتعليم اللغة، وقد قام الباحث باستقصاء بعض المنصات الإلكترونية التي يستخدمونها المنشغلون بالتعليم، والتي أحدثت تغييراً في رفع مستواهم، وعززت المنصات وجودها بين اللغات التفاعلية التي يستخدمها المتفاعلون والمشاركون على الشبكات، فأخرجتها من حدود الحجرات الدراسية الضيقة غير المتفاعلة إلى رحاب الشبكات التي تجعل اكتساب اللغة متعة ولذة بسبب البيئة العربية الافتراضية المتطورة والمؤثرة.

مشكلة البحث

يسعى هذا البحث للإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما دور الشبكات الاجتماعية والمنصات التعليمية في التعليم؟ ما درجة استخدام المعلمين والمتعلمين لها في كشمير؟
2. ما مدى تأثير المواقع والمنصات الإلكترونية في سد النقص الموجود في البيئة التعليمية للغة العربية؟
3. هل تحسنت الأحوال في تعلم اللغة العربية في كشمير؟
4. ماذا ينبغي أن تفعل الجهات المعنية بالتعليم إزاء هذا التطور التكنولوجي الهائل؟

أهداف الدراسة

يهدف هذا البحث إلى:

1. تحليل مفاهيم حول التعليم الإلكتروني وتوظيف الشبكة لأغراض تعليمية
2. إبراز الجوانب الإيجابية لاستخدام الشبكات والمنصات في تعليم اللغة العربية في ظل التطورات الراهنة.
3. معرفة مدى تأثر المنشغلين بالتعليم والتعلم باستخدام التكنولوجيا، وأي مجالات اللغة تأثرت بها أكثر بإشارة خاصة إلى كشمير.
4. بيان ما ينبغي للجهات المعنية بالتعليم أن تفعل لدمج هذه التكنولوجيا في التعليم بشكل دائم.

منهجية البحث

لتحقيق هدف البحث قام الباحث باستعراضه في إطارين:

الإطار الأول: تحليل الأراء والأفكار والنظريات التي تتعلق باستخدام التكنولوجيا في التعليم، مراجعة البيئة التعليمية التي تخلقها المواقع الاتصالية والمنصات الإلكترونية فاتبع البحث المنهج التحليلي الوصفي حيث تهتم بدراسة

الظاهرة الجديدة في التعليم عامة وتعليم اللغات بصفة خاصة وتحديد خصائصها وتبيين الأسباب والمتغيرات.

الإطار الثاني: جمع البيانات بالمسح الميداني لعينة من المعلمين والمتعلمين في كشمير الذين تم اختيارهم بالطريقة العشوائية وبالتالي تحليل هذه البيانات، وتصنيفها والتعبير عنها كمياً وكيفياً، وعينة البحث في الدراسة مشتملة على 48 شخصاً من بينهم 16 مدرساً و32 طالباً، فاتبعت الدراسة المنهج المسحي الاجتماعي، وهو دراسة الظاهرة كما هي في الواقع ووصفها بشكل دقيق، فالأداة لذلك استمارة أو استبيان[2] وزعت بين أفراد عينة وشملت استمارة ستة وعشرين سوالاً بحيث يجيب كل من المبحوثين عن استخدامه للشبكة أو للمنصة الإلكترونية واستفادته منها وفي أي مجال استفادوا أكثر وما آراء المعلمين عن استخدامها.

وجدير بالذكر أن هذه الدراسة الأولى من نوعها التي لم تسبقها الدراسات الأخرى في هذه المنطقة، إذاً أهميتها لا تخفى على المهتمين بنشر اللغة العربية في ولاية جامو وكشمير.

1. الإطار النظري: دور الشبكات الاجتماعية والمنصات الإلكترونية في التعليم

الشبكة العالمية أو الإنترنت من أعظم التقنيات وأبرز المخترعات التي أثرت حياة الإنسان تأثيراً عميقاً وشاملاً في كثير من المجالات ، مع أن بدايات شبكة الانترنت تعود إلى أواخر الستينات في القرن الماضي، ولكنها قفزت قفزات هائلة في السنوات الأخيرة لأنها نالت اهتماماً بالغاً من شركات البرمجيات المتنافسة ومن سوق الاستهلاك الكبيرة، واجتهدت الشركات في ابتكار طرائق تطويرها

[2] استبيان على الرابط: https://docs.google.com/forms/d/144s3FO8nbidvZEblabtsMvkaoyCS7UwLwo0p-bYGi5E/edit

وتحسينها، وذلك لميزاتها الكثيرة ومن أهمها أنها تربط العالم بعضه ببعض حيث جعلت من العالم أسرة إلكترونية، هذه الجهود أثمرت في شكل بنية تكنولوجية عالمية تغطي العالم في مجالات مختلفة مثل الاقتصاد والتجارة والسفر والتعليم وأيضاً في شكل الثورة الصناعية الكبيرة التي تسمى الثورة الصناعية الرابعة، وهي حسب تعريف كلاوس شواب Klaus Schwab الذي وضع هذا المصطلح، "ثورة الأنظمة الفيزيائية السيبرانية أي عصر الاتصالات العالمية وثورة الإنترنت حيث أن سرعة التقدم التكنولوجي ليس له سابقة تاريخية في تربطها للمليارات من الناس من خلال الأجهزة المحمولة التي لديها طاقة معالجة غير مسبوقة، وتخزين ووصول غير محدود إلى المعرفة، وسوف تتضاعف هذه الإمكانيات من خلال اختراقات التكنولوجيا الناشئة في مجالات الذكاء الاصطناعية والروبوتات، وانترنت الأشياء، والمركبات ذاتية الحكم، والطباعة ثلاثية الأبعاد، وتكنولوجيا النانو، التكنولوجيا الحيوية، علم المواد وتخزين الطاقة، والحوسبة العالمية"[تر] ومن أهم المجالات التي تم توظيف هذه التقنية فيها مجال التعليم، وحسب المنظمة العربية للتربية الثقافة والعلوم- "يعرف التعليم بالعملية التي يتم من خلالها نقل المعرفة والمهارات للمتلقي بوسائل مختلفة وبتطور التكنولوجيا وتطور المتعلم في حد ذاته (طريقة تفكيره ومهارته) وجب تطوير طرق التعليم ومن هنا ظهر مصطلح "تكنولوجيا التعليم" وتشمل وسائل التعليم الحديث الحاسب الآلي والأقراص التعليمية المضغوطة والإنترنت ووسائل الإعلام السمعية والبصرية"[ير] واستخدمت الشبكة العالمية بمواقعها ومنصاتها وتطبيقاتها في

---

3 نقلاً عن محاضرة الأستاذة محجوبة العوينة التي ألقتها خلال **دورة تكوينية افتراضية في جلسة ختامية**، الرابط https://m.facebook.com/أكاديمية-التميز-بالهند-103021338071726/

4 إطميزي جميل ، وفتحي السالمي، **الموارد التعليمية المفتوحة:الاستخدام والمشاركة والتبني**، (تونس: إدارة العلوم والبحث والعلوم،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2019م)، ص 75

هذا المجال لرفع كفاءة العملية التعليمية، ففتحت آفاق جديدة للمعلمين والمتعلمين لم يكن متاحة من قبل، ومن أشكال التعليم في ظل هذه التطورات التعليم الإلكتروني والتعليم المحمول أو الجوال والتعليم الافتراضي، والتعليم الإلكتروني عرّفه عبد الله الموسى بكونه " طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكاته ووسائطه المتعددة من صوت وصورة ، ورسومات وآليات بحث، ومكتبات إلكترونيّة ، وكذلك بوابات الشبكة العالميّة للمعلومات سواء كان من بعد أو في الفصل الدراسي، فالمقصود هو استخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة[5] وأشار الأستاذ أحمد المبارك إليه بقوله : "التعليم الإلكتروني هو أسلوب من أساليب التعليم للمتعلم يعتمد على التقنيات الحديثة للحاسب والشبكة العالمية للمعلومات ووسائطهما المتعددة، مثل : الأقراص المدمجة، والبرمجيات التعليمية، والبريد الإلكتروني وساحات الحوار والنقاش[6] وشبكات التواصل الاجتماعي هو مجتمع يتم إنشاؤه على الإنترنت يتم من خلاله تبادل المعلومات والأفكار وكل ما هو جديد مع الأصدقاء. وكذلك الشبكات التفاعلية هي برمجيات ، تسمح للناس بالتفاعل حول فكرة أو موضوع أو هدف معين ، تستطيع أي مدرسة مثلا أن تنشئ مدونة خاصة لها ، وتتيح لطلابها إمكانية الكتابة فيها عن شؤونهم الدراسية أو المدرسية، وبالإضافة إلى هذه الشبكات وضعت المنصات الإلكترونية المتخصصة للتبادل العلمي والمعرفي بشكل مباشر، ومن خصائص هذه الشبكات والمنصات أنها تسهل عملية الاتصال بالعالم حيث تعتمد على تقنية الاتصال المباشر عن بعد وتثري عملية التعليم

---

[5] الموسى، عبد الله: **التعليم الإلكتروني مفهومه وخصائصه وفوائده وعوائقه**، (الرياض، ندوة مدرسة المستقبل، جامعة الملك سعود، 2002م)، ص 252

[6] المبارك، أحمد بن عبد العزيز : **أثر التدريس باستخدام الفصول الافتراضية عبر الشبكة العالمية الإنترنت على تحصيل طلاب كلية التربية في تقنيات التعليم والاتصال بجامعة الملك سعود**، (الرياض، رسالة ماجستير. 1425ه)، ص 23

التقليدي بل ربما تحل محله ولاسيما في آونة الأوبئة مثل وباء الكورونا الحالي، وبفضل هذه المنصات والمواقع الاتصالية وبرامج التخاطب المباشر تغير شعور المتعلم الذي كان يحس ببعد ثقافي خلال تعلمه لغة أجنبية، وتسهم هذه المنصات التعليمية أيضاً في النمو المهني للمعلمين حيث تمثل تطوراً مهماً في بيئة الويب البرمجية والتي لاقت إقبالاً شديداً من المتعلمين من مختلف دول العالم لما لها أثر إيجابي في تفعيل مميزات اجتماعية تفاعلية بين جميع المستخدمين سواء معلمين أو متعلمين، والتي تؤدي إلى تناقل الآراء والتعبير الحر وتشجيع المستخدمين على المناقشة والتحليل وتسجيل البيانات وأيضاً مشاركة الصور والفيديوهات والملفات بأنواعها ومن ثم أصبحت المنصات التعليمية من المصادر المهمة والمؤثرة على مستوى العالم[7]، وقد لجأت كثير من المعاهد والجامعات والكليات إلى هذه المنصات، ووضعوا القنوات الخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيس بوك ويوتيوب أو اكتروا المنصات التعليمية الرقمية مثل مودل (Moodle)، جوجل كلاسروم (Google Classroom) لأغراض تعليمية، وحسب الموقع الرسمية للمنصة التعليمية مودل هناك قرابة 15 مليون درس متاح على الإنترنت في 25 دولة مختلفة، وعلى هذا يمكن القياس لبقية المنصات، وهذه المنصات التي تستخدمها المؤسسات التعليمية تسمى منصات إدارة التعلمMLS، وكذلك هناك منصات أخرى كأحدث النماذج والتوجهات في التعليم المفتوح الإلكتروني يطلق عليها منصات المساقات الهائلة المفتوحة عبر الإنترنت MOOCs ، وقد ظهر مصطلح موكس في عام (2008) في كاليفورنيا عندما أنشئت شبكة كورسيرا

[7] محمد، هبة هاشم، "استخدام منصة ادمودنا في تنمية مهارات التعلم المنظم ذاتياً والاتجاه نحو توظيفها في تدريس الدراسات الاجتماعية لطلاب الدبلوم العام بكلية التربية"، (مصر، **مجلة الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية**، عدد 90، 2017)، ص 114

Coursera التي كانت تعتبر شبكة التعليم الإلكتروني الأكثر تطوراً، ومن أمثلة أخرى لموكس منصة رواق ومنصة إدراك ومنصة فيوشر لرن (Future Learn)، تتكون المنصات التعليمية المفتوحة من مجموعة من المكونات مثل شاشة رئيسية تعمل باللمس، ميكروفون، قلم إلكتروني، رف متعدد الاستخدامات، لوحة الكتابة الخاصة بالقلم الإلكتروني، مفتاح التشغيل والإيقاف، لوحة المفاتيح والفأرة، وحدة التحكيم الرئيسية، مضخم صوت وسماعات، جهاز حاسب آلي، مكونات تعليمية (اختبارات ورسوم متحركة وخرائط تفاعلية وجداول زمنية)[8]. تقدم هذه المنصات مساقات مفتوحة للدراسين ، ومن مفاهيم أخرى تربط بالتعليم عبر الإنترنت، المعلم الإلكتروني والتعليم الشبكي والتعليم الافتراضي والجامعة الافتراضية والمجتمعات الافتراضية، ويتم التعليم عن بعد بنوعية عبر هذه المنصات - التعليم المتزامن والتعليم غير المتزامن، وهذه المنصات توفر الوقت والجهد لكافة أطراف العملية التعلمية، كما أنها تسهل للمتعلم الوصول إلى المواد التعليمية في أي وقت وأي زمان، ومن منصات زوم وجوجل يمكن عقد المؤتمرات المرئية والصوتية والتفاعلية تتم خلالها المناقشات بالحوارات والمداخلات والأسئلة الاستفسارية، وقد لخص المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خصائص رئيسة لهذه الموارد التعليمية في خمسة نقاط: الانفتاح والتشارك والتعاون والعدالة والملائمة[9]، بل ادعى البعض أن المنصات التعليمية تشبه التعليم التقليدي في التواصل المتزامن بين الطالب والمدرس، " من الحجج التي تساق لصالح المؤتمرات المتزامنة أنها هي الأكثر شبهاً بالتعليم التقليدي وجهاً لوجه، ففي هذه

---

8 إطميزي، جميل: "إطار عمل مرن للتبني الموارد التعليمية المفتوحة في الجامعات العربية"، (الرياض، **المؤتمر الدولي الرابع للتعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد**)، 2015م

9 جميل إطميزي، وفتحي السالمي، **الموارد التعليمية المفتوحة:الاستخدام والمشاركة والتبني**، (تونس: إدارة العلوم والبحث والعلوم،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2019م)، ص 33 إلى 42

المؤتمرات يستطيع الطلبة والمدرسون أن يتواصلوا معاً بالطريقة نفسها التي يتواصلون بها حين يجتمعون داخل غرفة الصف رغم أن الطلبة غير حاضرين جسدياً"[10]

الإطار التطبيقي: دراسة ميدانية عن الشبكات والمنصات وتعليم اللغة العربية وتعلمها في كشمير

من إجراءات هذا الإطار اختيار الأسئلة أو تصميم الاستمارة للحصول على البيانات اللازمة للتوصل إلى الأهداف المنشودة من المسح الاجتماعي، قام الباحث بتوزيع الاستبانة عبر الإنترنت وحصل على معلومات شخصية عن المبحوثين من المعلمين والمتعلمين بما فيها عناوين البريد الإلكتروني وأرقام الهواتف وتفاصيل مهنتهم، وكانت الاستبانة عبارة عن سبعة وعشرين سؤالاً، المحور الأول منها 16 سؤالا حول الشبكات والمنصات الإلكترونية، يجيبها المبحوث بنعم أو لا ثم يقيم مدى استفادته أو تأثره بالمنصة أو الموقع في مقياس متكون من خمس درجات من مُرضٍ إلى غير مُرْض، والمحور الثاني فيه 4 أسئلة حول مجالات اللغة العربية التي تحسنت باستخدام هذه المنصات، والمحور الثالث فيه 7 أسئلة عن أراء الأساتذة عن هذه المنصات، ويجيبها المبحوث عنها أياً من خمس نقاط وهي موافق بشدة وموافق ومحايد ومعارض ومعارض بشدة، تم استرداد البيانات المشتملة على استجاباتهم عن توظيفه للشبكات والمنصات ومدى استفادتهم منها، وأخيراً تم إجراء المعالجات الإحصائية للبيانات، كانت المعالجة حسب الأسئلة بالتكرارات والنسب المئوية، وتقديم النتائج والتوصيات، وقد تم اختيار العينة من المعلمين والمتعلمين في

---

[10] بيتس، أ. و. طوني، ت: وليد شحادة: **التكنولوجيا والتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد**، (العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية، 1428هـ مطابق 2007م)، ص 366

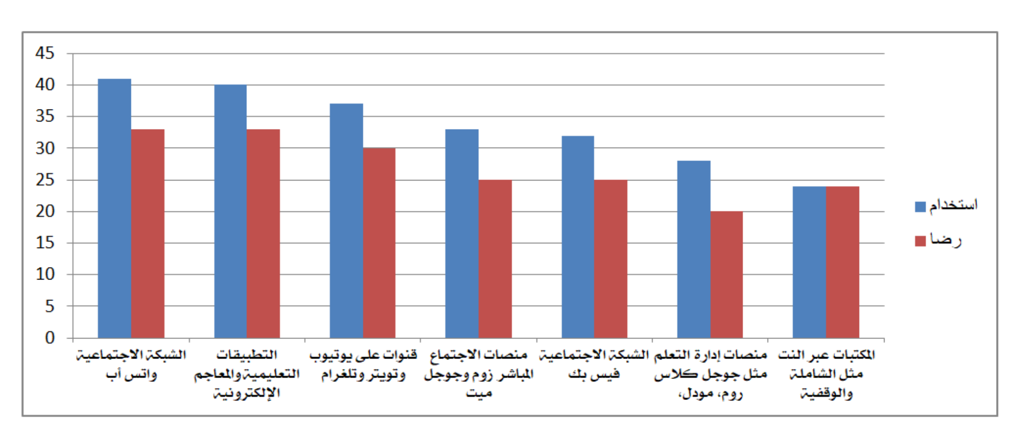
كشمير الذين ينشغلون بتعليم اللغة العربية وتعلمها، وبلغ عددهم 48 شخصاً من بينهم 16 مدرساً و32 طالباً.

المحور الأول: درجة استخدام الشبكات والمنصات

يتضح من خلال الشكل رقم 1 أن غالبية المعلمين والمتعلمين يستخدمون الشبكات والمنصات الإلكترونية المختلفة لتعليم اللغة العربية وتعلمها، والرسم البياني الذي ينعكس في الشكل ثنائي الأبعاد، المحور العمودي يعرض عدد المبحوثين والمحور الأفقي يعرض استخدام الشبكات ومدى رضا المستخدمين، يدل الرسم البياني على أن القسم الكبير من المبحوثين يألفون استخدام هذه الأدوات للأغراض التعليمية حيث لا ينخفض الرسم من متوسط المجموع الإجمالي عموماً الذي هو 24 شخصاً، والشبكة أكثر استخداماً هي واتس أب بالمقابل موارد الكتب مثل المكتبات الرقمية وهي أقل استخداماً، وهذا يرجع إلى تراجع ثقافة القراءة بسبب تفريغ الوقت في الشبكات الاجتماعية وأسباب أخرى، والشبكات الاجتماعية مع كل سلبياتها منصات هامة يستفيد المستخدمون من خلالها ويفيدون بالنقاش وتبادل الخبرات، وهي سهلت التواصل بين المعلمين والمتعلمين أو بينهم وبين المهتمين الآخرين، وكلهم راضون تقريباً بجدوى توظيفها في مجال تعليم اللغة العربية وتعلمها، يدل الرسم أن الإلمام بالثقافة التقنية موجود بين المبحوثين ولهم إطلاع على مستجدات التكنولوجيا حيث يوظفونها بأحسن وجه، إلا هناك تفاوت بين شيوع استخدام الشبكات الاجتماعية والمنصات التعليمية المحضة مثل منصات إدراة التعلم جوجل كلاس روم ومودل، ويرجع ذلك إلى قلة التدريب والاهتمام لدي المعلمين الذين لا يهتمون باستغلال هذه التكنولوجيا بشكل أمثل.

المكتبات عبر النت مثل الشاملة والوقفية	منصات إدارة التعلم مثل جوجل كلاس روم، مودل	الشبكة الاجتماعية فيس بك	منصات الاجتماع المباشر زوم وجوجل ميت	قنوات على يوتيوب وتويتر وتلغرام	التطبيقات التعليمية والمعاجم الإلكترونية	الشبكة الاجتماعية واتس أب	
24	28	32	33	37	40	41	عدد المستخدمين من مجموع 48
24	20	25	25	30	33	33	عدد المبحوثين أبدوا رضاهم

الجدول (في أرقام)



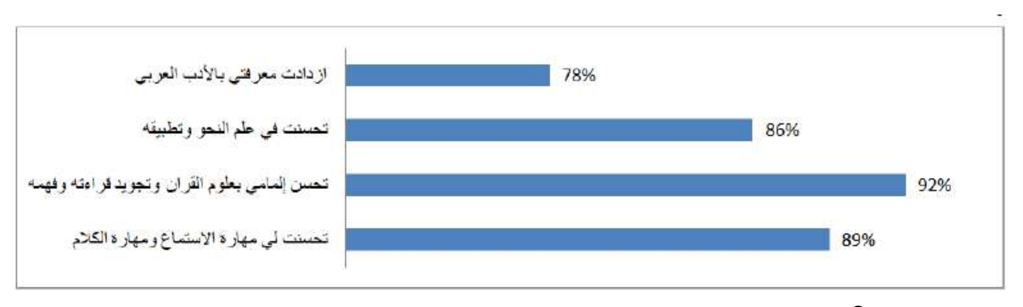
الشكل رقم 1: إحصائيات استخدام الشبكات الاجتماعية والمنصات الإلكترونية

وعلى كل حال، استخدام هذه الشبكات والمنصات بهذه النزعة الإيجابية من قبل معلمي اللغة العربية ومتعلميها في كشمير يستدعي إلى التفاؤل، وعلى المهتمين أن ينتهزوا هذه الظاهرة لصالح تعليم العربية داخل كشمير وخارجها.

المحور الثاني: مجالات اللغة العربية

اعترف غالبية المبحوثين بأنهم تحسنوا وأجادوا أكثر مجالات اللغة من خلال استخدامهم لوسائل التكنولوجيا، والنسبة المئوية في كلها تزيد على المتوسط، ورفع مستواهم في مجالات مختلفة للغة يدل على أن المبحوثين يهتمون بهذه الوسائل لأجل التعلم، والشبكات والمنصات تتيح فرصة لتفاعل مستمر، ويكون

المستخدم إما الملقي أو المتلقي، وهذه الخصوصية لها تأثير إيجابي عليهم، المشاركة والتعاون يدعمان العمل التعليمي. ويظهر برسم 2 أيضاً أن أكثر المجالات تعلماً هو مجال تعلم القرآن تلاوة وفهماً، هذا جيد جداً.



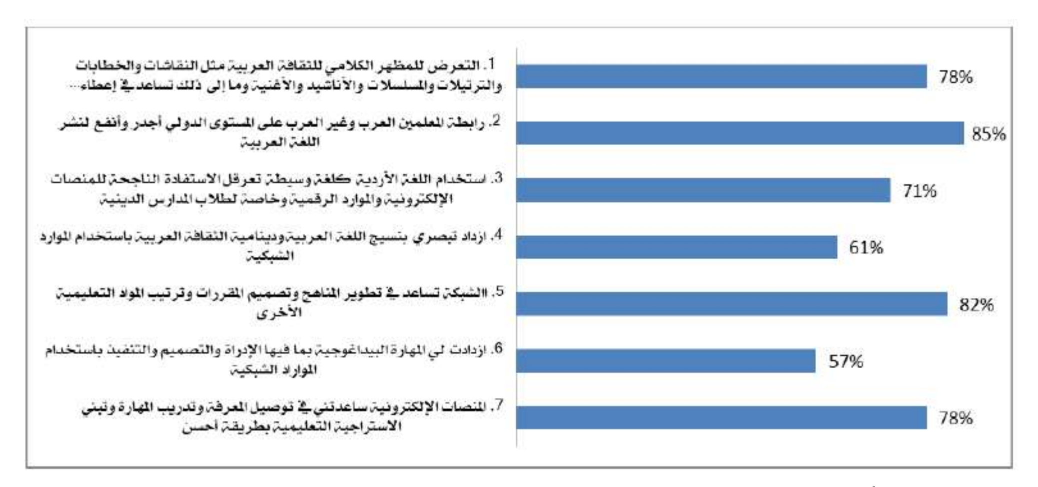
الشكل رقم 2: تحسن مجالات اللغة العربية.

وبالإضافة إلى ذلك كان الدارسون في قلق دائم عن تطوير المهارتين الأساسيتين فيهم وهما مهارة الاستماع ومهارة الكلام حيث تتطلبان البيئة اللغوية الخاصة لنشوئهما وقد أتاحت هذه الشبكات والمنصات البيئة الافتراضية الملائمة لتعلمهما، وأظهرت الدراسة أن تسعة وثمانية بالمائة من المنشغلين بتعليم العربية وتعلمها تحسنوا هاتين المهارتين بواسطة هذه الشبكات والمنصات.

المحور الثالث: آراء المعلمين حول قضايا مهمة

يتضح بالرسم البياني (الشكل رقم 4) أن مهارة المعلمين المهنية ازدادت باستخدام وسائل الشبكات وأن هذه الوسائل ساعدتهم في توصيل المعرفة إلى المتعلمين، وأن هذه الشبكات والمنصات ساعدتهم في كفايتهم التعليمية والتخطيط التربوي، وسجل الأساتذة آراءهم حول استخدام اللغة الأردية كوسيط التعليم وإنشاء الرابطة بين المعلمين العرب وغير العرب، وقد وافق واحد وسبعون بالمائة على أن اللغة الأردية كوسيط التعليم في المدارس الدينية تعرقل استخدام الوسائل الشبكية بشكل جيد لمستواهم الضعيف في

اللغة الاتصالية والوظيفية، وأيضاً وافق خمسة وثمانين بالمائة من المعلمين بأن رابطة المهتمين بالعربية مطلوبة لنشر اللغة العربية.



الشكل رقم 4: احصائيات للمعلمين حول قضايا مهمة

وساعد استخدام تكنولوجيا للمعلمين في تطورهم المهني والمهاري والبيداغوجي، فمعظم المعلمين ينظرون إلى هذه التقنيات بزوايا إيجابية ولديهم دافعة قوية لاستغلالها لنشر العربية في ربوع كشمير.

النتائج:

يتضح من خلال تحليل البيانات:

1. أن درجة استخدام المحوثين للشبكات الاجتماعية والمنصات الإلكترونية لأجل اللغة العربية عالية جداً حتى أنها لا تنخفض عن المتوسط الحسابي.
2. موافقة أكثر المبحوثين على أن مستواهم ارتفع في مجالات اللغة العربية المختلفة منها علوم القرآن ومهارات اللغة وعلم النحو وعلوم الأدب العربي

3. موافقة المعلمين على القضايا المهمة منها رفع مؤهلاتهم المهنية وكفاءتهم التربوية وتسهيل تخطيطهم للمواد الدراسية وتواصلهم مع الطلاب وبالإضافة إلى ذلك موافقتهم على أنه ينبغي أن يكون وسيط التعليم في المدارس اللغة العربية وأن يكون هناك تعاون بين المهتمين العرب والمهتمين غير العرب لنشر اللغة العربية في العالم.

التوصيات:

1. يحتاج المعلم والمتعلم في عصر ازدهار الوسائل المعرفية والتقنية إلى النمو المستمر، فلا بد أن يواكبا ركب التقدم في مجال تعليم اللغات أيضاً، وخاصة في تعليم اللغة العربية الذي يفقد البيئة الملائمة في البلدان غير العربية بسبب بعد ثقافي وفي البلدان العربية بسبب ازدواجية لغوية مقيتة.
2. من المعلوم أن البيداغوجي 4،0 يتشكل من قواعد البيانات الضخمة والتعلم العميق وتعلم الآلات والذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء، لا بد من تدريب وتأهيل المدرسين لمواجهة هذه التحديات.
3. تنظيم استخدام الشبكات والمنصات لأغراض تعليمية بشكل أمثل ودمجها في تعليم اللغة العربية كركيزة أساسية عن طريق تطبيقات وبرمجيات وذلك لإيجاد بيئة التعليم لهذه اللغة خاصة في البلاد النائية عن العالم العربي.
4. استخدام الفصحى المعاصرة في المدارس الدينية بالهند كوسيط التعليم لرفع مستوى الطلاب وبالتالي لاستفادة كاملة من الشبكات والمنصات الإلكترونية.

5. إنشاء رابطة المعلمين العرب وغير العرب للمشاركة والتبادل الثقافي والعلمي ومن ضمن هذه المبادرة ربط المعاهد الرئيسية الموجودة في الدول العربية وفي الدول الإسلامية الأخرى.

....................❖❖❖❖❖ ....

الدكتور مقتدى حسن الأزهري وجهوده التربوية

د. رفيق أختر*
rafiqueakhtar2013@yahoo.in

توطئة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله الأمين وعلى آله وصبحه أجمعين، وبعد:

أما اليوم فالبيئة هي مشكلة المشاكل في حياة المسلم ففي كل بقعة من بقاع العالم تشرب الخمور، وتشيع الفاحشة، ويربو الظلم ويستطيل الشر و ينهد المنكر، وتقوم لذلك كله مؤسسات، وتحميه أنظمة وقوانين، وتحرسه عقول مملوؤة بمكر بطريقة ظاهرة وخفيّة، وكل أمر هو من الشر يجد له ظلا يأوي إليه، إلا أمرا هو من الخير فلا يجد له ظلا أو مدخلا يأوي إليه.

و هذا من الحقائق الثابتة أن أفضل مهنة يمارسها الإنسان في مجالات الحياة الواسعة المترامية الأطراف إنما هي مهنة التعليم والتربية، وإن الحديث عن التربية حديث مهم، تنبع أهميته من أهمية التربية نفسها، والعصر الحاضر يحتاج إليها بشدة وهو في الوقت نفسه يحتاج إلى بسط وتكرار نظرا إلى الظروف المتدهورة في البيئة الإنسانية حتى تتحول الأساليب التربوية لدى المربين إلى قريب من الملكات، ولذا قد اهتم الإسلام بتربية الناشئين،والمراهقين وتعليمهم تربية صالحة لبناء المجتمع الصالح المنزه عن الرذائل والسيئات والفواحش والمنكرات والفساد والفوضى، و حقا بالتربية الصالحة تترتب عليهم الآثار الحسنة في حياتهم الفكرية والعلمية والفردية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية وما إلى ذلك.

---

* أستاذ اللغة العربية، المدرسة الثانوية العليا الحكومية، بيربوم، بنغال الغربية، الهند.

فقد تصدى لهذا الموضوع المهم العديد من الأدباء البارعين والعلماء الصالحين وغيرهم من العباقرة في مختلف العلوم والفنون. وضع بعضهم مؤلفات مختلفة وكتبا متنوعة حول التربية وأصولها، كما دبّج البعض الآخرون مقالات عديدة في مختلف الدوريات والمجلات والصحف والجرائد الصادرة من معظم أقطار العالم. لقد تناول هؤلاء الكتّاب موضوع التربية وناقشوا جوانبها وعالجوا قضاياها و وضعوا قواعدها وأصولها، كما قدموا اقتراحات قيمة و آراء سديدة للتغلب على المشاكل التي يواجهها المربيون في سبيل تربية الناشئين والمراهقين وغيرهم. ومن هؤلاء العلماء العباقرة الدكتور مقتدى حسن بن محمد ياسين الأزهري رحمه الله. فقد اعتنى بموضوع التربية الإسلامية، وكتب عن أهميتها وأصولها ومتطلباتها في مقالاته المتنوعة في أوقات مختلفة منتشرة في كتب مختلفة ومجلات متنوعة في فترات مختلفة، تستغرق مدته في أربعين سنة. وهذه الدراسة ستلقي الضوء على حياة الدكتور الأزهري بالإيجاز وجهوده التربوية خلال كتاباته.

كلمات مفتاحية: مقتدى حسن الأزهري، بنارس، الجامعة السلفية، جهود تربوية.

أولا :نبذة مختصرة عن الدكتور مقتدى حسن الأزهري :

و قبل الولوج في هذه الدراسة والتحدث عنها، يحسن بنا أن نلقي الضوء على حياة الدكتور الأزهري وتعليمه وخدماته العلمية وإنتاجاته الإسلامية والأدبية تأليفا وترجمة وما إلى ذلك من المهام العلمية والأدبية التي يتميز بها عن غيره من العلماء والأدباء، لكي يتمكن من فهم شخصيته الفذة.

كانت حياة الدكتور الأزهري، رحمه الله، مجموعة صالحة للمحاسن والمحامد، وكان نموذجا طيبا للسلف الصالح. كان اتباع السنة غاية وحيدة لحياته، وكان ذهنه ثاقبا، يفهم الأمور ويصل إلى أعماقها، هواتصف بالنظر في العواقب وبالتدبير والذوق السليم. بجانب ذلك كان كريم الخلق سمح

المعاملة طاهر الذيل بعيدا عن الأثرة متحليا بالجود والإخلاص، كل ذلك بتوفيق من الله تعالى ومنته.

مولده ونشأته:

ولد الدكتور مقتدى حسن بن محمد ياسين بن محمد سعيد الأزهري المعروف بالدكتور الأزهري لأسرة دينية في الثامن من شهر أغسطس عام 1939م حارة "دومن فوره" بمدينة "مئونات بهنجن" (من ولاية "يوبي" الهند، معروفة منذ قرون بصناعة النسيج من جانب، وبكونها مركزا للعلم،وموطنا للعلماء من جانب آخر. ونشأ فيها وترعرع بين العلماء على حب العلم والدين.

مراحله الدراسية وشهاداته العلمية:

بدأ في الدراسة بداية مباركة، فحصل على شهادة حفظ القرآن الكريم من فرع من مدرسة دار العلوم بمئو،"مرزاهادي فوره" سنة 1953م.

ثم أكمل مراحله الدراسيّة المختلفة في المدارس السلفيّة بمئو، وحصل على شهادة " الثانوية" من الجامعة العالية العربية سنة 1959م، بعد ذلك التحق بالجامعة الإسلامية فيض عام بمئو، وحصل منها على شهادة العالمية، وقضى في رحابها ثلاث سنوات، وقبل التخرج فيها بسنة واحدة تركها وتحول إلى الجامعة الأثرية- دار الحديث- بمدينة مئونات بنجن، وتخرج فيها سنة 1961م. كما حصل على شهادات(مولوي، وعالم، وفاضل) الرسمية، من الهيئة التعليمية في حكومة "يوبي" أيضا، في الفترة ما بين سنة1959م-1962م.

ولمواصلة دراسته العليا رحل إلى مصر، والتحق بجامعة الأزهر، وحصل على شهادة الماجسير من كلية أصول الدين سنة1966م، وسجل "الدكتوراه" ولكنه لم يتمكن من مواصلة الدراسة هناك، فرجع إلى الهند. ثم حدا به الشوق- أيام تدريسه بالجامعة السلفية- إلى اكمال دراسته العليا، فحصل

على شهادة ماقبل الدكتوراه (إيم فل)سنة 1972م، ثم على شهادة "الدكتوراه" في الأدب العربي سنة1975م من جامعة على كره الإسلامية بالهند، ومن الجامعة نفسها حصل على شهادة الثانوية في اللغة الإنجليزية سنة 1971م، وعلى شهادة الكلية المتوسطة في الإنجليزية سنة 1973م.

وبهذا انتهى مشواره الدراسي الطويل، وإن دل هذا على شيئ، فإنما يدل على نهمته العلمية، وهمته العالية في الطلب، وجهده المتواصل الدؤوب لتكوين شخصيته العلمية[لخ].

وروده إلى الجامعة السلفية: انضم إلى التدريس بالجامعة السلفيّة(بنارس-الهند) سنة 1968م فتفرس فيه أمينها العام الأول: الشيخ الفاضل عبد الوحيد بن عبد الحق السلفي النبوغ والكفاءة، والهمة والإرادة، مع التنظيم والإدارة،فاختاره وكيل الجامعة السلفية، وجعله رئيس تحرير مجلتها "صوت الأمة" (حاليا) منذ إنشائها 1969م فوض إليه الإشراف على " إدارة البحوث الإسلامية" التي بلغت إصدارتها حتى الآن، أكثر من أربع مائة كتاب، (مابين صغير وكبير ومجلدات، في العربية والأردية والهندية والإنجليزية، وكتب الدكتور الأزهري على أغلب هذه الكتب مقدمات نفيسة تحت عنوان" كلمة الناشر". وقضى في رحابها إلى آخر حياته مع انشغاله بالأمور المهمة.

إنتاجاته العلمية:

في ميدان الصحافة: كان يستمر بكتابة "الافتتاحية" لمجلة "صوت الأمة" بنارس، الهند منذ نشأتها سنة 1969م، وغيرها من المقالات في الجرائد والمجلات، التي بلغ عددها زهاء خمسمائة مقال في العربية والأردية.

[لخ] مجلة "أفكار عالية" العدد الخاص في الدكتور مقتدى حسن الأزهري(مقالة للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد) ابريل 2012م. يونيو 2013م ، ص 400 - 403

مؤلفاته باللغة العربية: إن الدكتور مقتدى حسن الأزهري ألّف خمس مؤلفات في اللغة العربية و تتميز مؤلفاته بالعربية بتحليل الأوضاع و القضايا الساخنة، و تقديم الفكرة الصالحة تجاهها، وهي فيما يلي:

1. مشكلة المسجد البابري في ضوء التاريخ و الكتابات المعاصرة.
2. حقيقة الأدب ووظيفته في ضوء تصريحات الأدباء و النقاد.
3. نظرة إلي مواقف المسلمين من أحداث الخليج.
4. قرأة في كتاب "الحالة الخلقية للعالم الإسلامي" للأستاذ أسرار عالم.
5. الآثار الباقية من شعر منصور الفقيه و ترجمة حياته،(غير مطبوع).

مؤلفات في اللغة الأردية:

إن اللغة الأردية إحدى اللغات الإسلامية كما أنها تعد لسان الدعوة الإسلامية، فقد دوّن بها التراث الإسلامي منذ أكثر من أربعمائة عام إلى يومناهذا،[2] ونظرا إلى أهمّيّة هذه اللغة ودورها في الهند وفي المجتمعات الإسلامية قام الدكتور الأزهري بالتصنيف في لغته الأم اللغة الأردية ومعظم مؤلفاته في اللغة الأردية يتعلق بالأدب العربي و الدراسات الإسلامية وها أنا أذكر قائمة مؤلفاته باللغة الأردية، وهي فيما يلي:

1. مختصرتاريخ الأدب العربي(خمس مجلدات)
2. خاتون اسلام (المرأة في الإسلام)
3. مسلم نوجوان اور اسلامی تربیت (الشاب المسلم و التربية الإسلامية)
4. عصر حاضر میں مسلمانوں کو سائنس و ٹکنولوجی کی ضرورت (حاجة المسلمين إلى العلوم و التقنية في العصر الراهن)
5. قرآن کریم پر غور وتدبر مذہبی فرض ہے (التفكر والتدبر في القرآن الكريم فريضة دينية)

[2] موقع الويب، الموسوعة الحرة: اللغة الأردية: www.hindonline.com، التاريخ: 30-2019/08.

6. روزه اور عيد الفطرتربيتى نقطۂ نظر سے (الصيام و عيد الفطرمن منظور تربوي)
7. اسلام اور اسكى تعليمات سے متعلق انصاف پسند غير مسلمانوں كے تاثرات (انطباعات غير المسلمين المنصفين على الإسلام و تعاليمه)
8. اسلام اور انساني سماج (الإسلام و المجتمع الإنساني)
9. هندوستان ميں تحريک اهل حديث اور جديد تقاضے (حركة أهل الحديث في الهند و المتطلبات الجديدة)
10. شاه عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود اور مملكت توحيد سعودى عرب (الشاه عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود و مملكة التوحيد المملكة العربية السعودية)
11. مسلمان اور اسلامى ثقافت (المسلمون والثقافة الإسلامية)[3]
12. هم كيا پڑھيں؟ (ماذا ندرس ؟) غير مطبوعة [4]

في مجال التحقيق و التعليق و التهذيب:

قام الدكتور الأزهري ـ مع عمله الوظيفي ومشاغله الأخرى ـ ببعض الإنجازات من التحقيق والتعليق والتهذيب من العمليات الشاقة التي تتطلب المجهودات الكبيرة والثقافة الواسعة ووافر الإطلاع على أمهات الكتب وقد بذل المحقق الدكتور الأزهري ـ حفظه الله ـ جهودا مشكورة في توثيق المعلومات وتخريج النصوص وغير ذلك ونبين هنا مجهوداته في هذا المجال وهي فيما يلي:

1."بهجة المجالس وأَنس المُجالس" للحافظ ابن عبد البر القرطبي(السفر الثاني): تحقيق وتعليق مع الفهارس الكاملة بجزئيه.

2.حصول المأمول من علم الأصول " للنواب صديق حسن خان

[3] مخلص الرحمن: الدكتور مقتدى حسن الأزهرى حياته و مساهماته في نشر اللغة العربية و علوم الإسلامية : ص: 89
[4] مجلة " صوت الأمة " (مقال لرئيس تحريرها أسعد لاعظمي) نوفمبر 2009م ، ص: 9

3..فتح المنان بتسهيل الإتقان.
4.مختصر تاريخ الأدب العربي.
5.أزمة الخليج في ميزان الشرع و العقل.
6.رحمة للعالمين للمنصور فوري.

في مجال الترجمة:

كان الدكتور الأزهرى مترجما ماهرا، ذا اطِّلاع واسع على أحوال العالم الإسلاميّ و مستجدّاته الحديثة، و أنه أسهم إسهاما بارزا في ترجمة الكتب القيمة من اللغة الأردية أو الفارسية إلى اللغة العربية، و من العربية إلى الأردية و أنه أجاد في فن الترجمة إجادة لا تشم منها رائحة الترجمة و لا تميز النقل عن الوضع ولا يجد القاري أىّ تكلُّف أوغموض أو ركاكة في النقل، فإنه ينقل الروح السائدة في الأصل و كأنه يمزج فكره مع فكر الكاتب و نفسه مع نفسه، و له منزلة رفيعة في النقل و قد تدفقت الكلمات العربية الرائعة في الترجمة كما تدفقت في تدبيج المقالات حيث تترابط جمله بعضها ببعض، إن كل كتاباته في الحقيقة، نموذج من الأدب الفني الرائع و متميز بسلاسة العبارة و لطافة التعبير، وتمتاز ترجمته بالرزالة و السهلة و العذوبة و ترجمة لكتاب"رحمة للعالمين" للعلامة القاضى محمد سليمان المنصورفورى و كتاب"حركة الإنطلاق الفكري" للعلامة محمد اسماعيل السلفي مثال خالد للترجمة. ونقل الدكتور الأزهري حوالى 23 كتابا من الأردية أو الفارسية إلى اللغة العربية و من العربية إلى اللغة الأردية (ما بين) صغيرو كبيرو مجلدات.

والجدير بالذكر أن مؤلفاته المترجمة اكتسبت شهرة مزيدة بالمقارنة مع المؤلفات الأصلية في لغاتها، وقد عرف الناس بعض الكتب بعد أن تصدى الدكتور الأزهري لترجمتها، وعرفوا قدرها وقيمتها، وقد ترجم بعض الكتب

التي كانت متعرضة للخمول والذبول أو يكاد أن ينفد فأعاد إليها حياة جديدة بترجمتها ونشرها.

سنتحدّث هنا عن مؤلفاته المترجمة من الأردية والفارسية إلى اللغة العربية، وعددها 16 مؤلفا، ومعظمها مترجمة من اللغة الأردية وبعض منها مترجمة من اللغة الفارسية، أما الكتب المترجمة من اللغة الأردية إلى اللغة العربية فهي كما يلي:

الترجمة باللغة العربية:

(الف) مؤلفاته المترجمة من الأردية إلى اللغة العربية كما يلي:

1. حجية الحديث النبوي الشريف.
2. حركة الانطلاق الفكريّ وجهود الشاه ولي الله في التجديد.
3 مسألة حياة النبي.
4 زيارة القبور.
5 رحمة للعالمين.
6 الإسلام تشكيل جديد للحضارة.
7النظام الالهي للرقي و الإنحطاط.
8 بين الإنسان الطبيعي و الإنسان الصناعي.
9عصر الإلحاد و خلفيته التاريخية و بداية نهايته.
10قضايا كتابة التاريخ الإسلامي و حلولها.
11أهمية السيرة النبوية لعامة البشرية.
12النصرانية الحاضرة في ضوء التاريخ و البحث العلمي.
11جماعة المجاهدين.
13الشيوعية و الإسلام في ميزان العقل.

(ب) أما مؤلفاته المترجمة من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية، فهي إثنان و هما فيما يلي:

1 . قرة العينين في تفضيل الشيخين.
2 . الإكسير في أصول التفسير.

مؤلفاته المترجمة من العربية إلى الاردية:

كانت الترجمةعندالدكتورالأزهري متعة النفس ووسائل التسلية وخلال قيامه في مصر دارَسَ الكتب الأدبية والإسلامية وعزم أن يترجم كتب العلماء العرب العربية الجديدة المتعلقة بالأدب والإسلام إلى اللغة الأردية ليستفيد الناس بالكتب المترجمة، وترجم الدكتور الأزهري العديد من الكتب من التفسير والتاريخ والسيرة الذاتية والسيرة النبوية العطرة ومالى ذلك إلى اللغة الأردية تبعا لخطته[سم]، و من الكتب المترجمة ترجمة كتاب"أنا " للكاتب الجليل عباس محمود العقاد ترجمة أدبية و بقية كُتُبه المترجمة المتعلقة بالعلوم الإسلامية، وعددها 8 مؤلفا، وهي فيما يلي:

1 آپ بیتی.
2 راہ حق کے تقاضے.
3 مختصر زاد المعاد.
4 عظمت رفتہ.
5 اصلاح المساجد.
6 رسالت کے سایے میں.
7 خادم حرمین شریفین حفظه الله کا ملت اسلامیه سے خطاب.

[سم]عبد الكريم عبدالعظيم (المرتب)، ڈاکٹر مقتدی حسن ازہری : حیات اور علمی نقوش ،(مقال لأبي تحرير أطهر ، دهلي الجديدة،) ص:515

8 اسلامی شریعت میں اعضاء کی پیوند کاری.

وبالإضافة إلى هذه المؤلفات والمقالات والمترجمات، قد أتيح له ان يقدّم للكثير من الكتب والمؤلفات العربية والاردية والهندية والإنجليزية.

ويقدّر عدد مقدمات الكتب التي نشرت في مطبعة الجامعة السلفية ببنارس بمائة وأربع وثلاثين مقدمة منها: ثمان وأربعون مقدمة للمطبوعات العربية، وتسع وسبعون مقدمة للمطبوعات الأردية، وأربع مقدمات للمطبوعات الهندية، وثلاث مقدمات للمطبوعات الإنجليزية.

إسهاماته العلمية في الندوات والمؤتمرات: على الرغم من أنه أسهم إسهاما كبيرا في خدمة الثقافة الإسلامية والمجتمع المدني والتراث العربي الإسلامي عن طريق التدريس والتأليف والترجمة، إلاأن شارك الأستاذ الدكتور الأزهري في عدة مؤتمرات وندوات وطنية ودولية على مدى الحياة وقدّم دراسات وأبحاث علمية قيمة، ويبلغ عدد الندوات والمؤتمرات التي حضرها قدّم مقالاته فيها سبع عشرة ندوة ومؤتمرا.

وفضلا عن هذه المؤتمرات والندوات التي حضرها الدكتور رحمه الله وقدّم فيها ببحوثه، عقدت هناك أيضا ندوات ومؤتمرات عالمية، أرسل إليها البحوث دون الحضور فيها.

وقد أتيح له أن يرحل ويكسب من رحلاته مزيدا من التجربة والخبرة والثقافة فقد زار البلدان الآسيوية والأوربية مثل المملكة العربية السعودية، ودولة الكويت، والإمارات العربية المتحدة، ودولة قطر، ومملكة البحرين، وجمهورية نيبال الديموقراطية الفيدرالية، وجمهورية مصر العربية، وجمهورية إندونيسيا، وجمهورية باكستان الإسلامية، والمملكة المتحدة، وزار الولايات المتحدة الأميركية أيضا.

المؤتمرات والندوات التي قدّم فيها بحوثه القيمة ومن أهمها:

1. المؤتمر الإسلامي الآسيوي الأول.

2. مؤتمر السيرة والسنة النبوية.
3.مؤتمر الأقليات المسلمة في العالم.
4.مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية.
5.مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي.
6. ندوة علمية حول المنهج الدراسي.
7.مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي.
8. المؤتمر الإسلامي جكارتا.
9. مؤتمر معهد الدراسات الإجتماعية.
10.مؤتمر الدعوة الإسلامية في العصر الراهن.
11. مؤتمر الجمعية النصرانية.
12. مؤتمر جامعة سمبورنانند السنسكريتية في بنارس.
13. دورة تدريبية في جامعة على كره الإسلامية لأساتذة اللغة العربية.
14. مؤتمر جامعة على كره الإسلامية بالهند حول الأدب المقارن.
15. مؤتمر الدراسات الآسيوية الباسفيكية، (Conference on Asian & Pacific Studies).
16. الندوة العالمية عن جهود خادم الحرمين الشريفين في خدمة الإسلام والمسلمين.
17. المؤتمر الإسلامي الرابع برابطة العالم الإسلامي.

هناك بعض المؤتمرات والندوات الملتقيات شارك الدكتور الأزهري فيها ببحثه القيم لم أعثر على التفاصيل،

المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية التي أرسل إليها بحثه ولم يشارك فيها وهي كما يلي:

1.مؤتمر وزارة الأوقاف بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

2. الملتقى السنوي السابع المنعقد في تامبا بفلوريدا بأمريكا:تم عقده في سبتمبر 1999م.

3.مـــؤتمر الـــدعوة الإســـلامية: تم عقـــده في برمنجهـــام (Birmingham)بريطانيا في أغسطس 2001م.

4.مؤتمرات المجلس الأعلى العالمي للمساجد للرابطة.

5. النـدوة الوطنيـة بقسـم اللغـة العربيـة، تم عقـدها في الجامعـة المليـة الإسلامية عام 2009م.

6. مؤتمر الجامعة امام محمد بن سعود بالرياض، تم عقده مارس عام 2002م[شم].

إسهاماته في عقد الندوات والمؤتمرات:

ها نحن نذكر فيما يلي أبرز المؤتمرات والندوات التي أسهم الدكتور الأزهري في عقدها:

1. حفل توزيع الشهادات على المتخرجين.
2.مؤتمر الدعوة والتعليم.
3. الموسم الثقافي.
4. ندوة حول موضوع: "مساهمة المسلمين الهنود في العلوم الإسلامية".
5. ندوة علمية حول شيخ الإسلام ابن تيمية وأعماله الخالدة.
6. مؤتمر السيرة النبوية العطرة.
7. الندوة العلمية عن الصحافة الإسلامية.
8. مؤتمر السيرة العالمي.
9.مؤتمرأهل الحديث لعموم الهند.

[شم] نفس المرجع: ص 20.

10. مؤتمرأهل الحديث لعموم الهند.
11. مؤتمرأهل الحديث لعموم الهند.
12. مؤتمر دار الدعوة التعليمية.

هذه من ابرز المؤتمرات والندوات العلمية أو الدعوية التي شارك فيها الدكتور الأزهري أو أسهم في عقدها وتنظيمها، أو لم يشارك فيها بل أرسل إليها بحثه وإنه بجانبها قد حضر اجتماعات دينية ومناسبات إسلامية ومجالس علمية مختلفة وقدم بواسطتها خدمات لا يستهان بقيمتها في بث الفكر الإسلامي والدعوة الدينية وتوسعة نطاق اللغة العربية وأدبها في الديار الهندية على نطاق واسع.

المهام التى قام بها الدكتور مقتدى حسن الأزهرى أثناء حياته: حظي الدكتور مقتدى حسن الأزهري بالعضوية في عدد لا يستهان به من المجالس والهيئات العلمية على مستوى الإقليم والولاية والدولة، وخدم الدين والمجتمع والوطن بصفته عضوا في هذه المجالس الدينية والهيئات العلمية المتعددة، كما استفاد من نصحه الغالية وآراءه القيمة القائمون على هذه الهيئات والمجالس ومدراءها، ومن هذه المجالس والهيئات التي تم اختياره فيها عضوا كما يلي:

1. عضو مجلس جامعة عليكره الإسلامية.
2. عضو هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند، (All India Muslim Personal Law Board).
3. عضو المجلس التنفيذي لجمعية أهل الحديث المركزية بالهند.
4. عضو رابطة الأدب الإسلامي بالهند.
5. مدير إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، بنارس، الهند.

6.وكيل و رئيس الجامعة السلفية (دار العلوم المركزية) ببنارس،الهند.

7.عضو المجلس العالم للمساجد برابطة العالم الإسلامي.

هذا و قد تشرف الدكتور الأزهري بعضوية كثير من الهيئات و المجالس العلمية الأخرى، و هى ذات الأهمية البالغة، و جهودها ملموسة على المستوى الوطني و الدولي ومنها:

1. عضو الهيئة التعليمية للجامعة المحمدية بومبائي.

2. عضو إدارة إصلاح المساجد بومبائي.

3. عضو الهيئة التعليمية الدينية، يوبي، الهند.

4-عضوكلية فاطمة الزهراء بمؤنات بنجن، يوبي، الهند.[1]

5.المشرف على مجلس"نداء في حق" (صوت الحق) بمؤنات بنجن، يوبي، الهند.

وقام الدكتور الأزهري بإنشاء "مجلس نداء في حق" الذي يساعد في الخدمات الرفاهية بمدينة مئونات بنجن، ويُشرف على هذه الجمعية، ويشارك في برنامجها وتستفيد أعضاءها منه بدروسه ومواعظه إلى آخر حياته.[2]

الجوائز و الأوسمة :

1. نال جائزة رئيس جمهورية الهند لخدمة اللغة العربية و الأدب العربي عام 1993م بيد الدكتور شنكر ديال شرما رئيس جمهورية الهند آنذاك.

2ـ نال جائز الفريوائي لخدمة الدين الإسلامي و العلوم الإسلامية عام 2002م[3].

---

[1] نفس المرجع: ص: 107.

[2] المرجع السابق(المقدمة) ، ص: 22 .

3. نال جائزة المملكة العربية السعودية للإدارة "صوت الأمة ".[لخلخ]3

وفاته: توفي الدكتور مقتدى حسن في يوم الجمعة الثلاثين من شهر أكتوبر سنة 2009م في الخامسة و الربع صباحا، فانا لله وإنا إليه راجعون.

إنه احتل مكانة مرموقة بين الكتاب والأدباء في شبه القارة الهندية، ويفوق أقرانه في كثرة الكتابات حول المناسبات الإسلامية والثقافية والأدبية، وله تجربة طويلة في مجال الصحافة والتحرير، والترجمة والتأليف، وهو معروف بيننا بتنظيم جهده، واستثمار وقته في النافع المفيد- عسى الله ان يتقبله قبولا حسنا.

آراء العلماء في شخصيّة الأزهري:

و قد اعترف العلماء بعمله و فضله في كتاباتهم وثمَّنُوا جهوده، واعترفوا بنبوغه ونظره الثاقب ويقول البروفيسور الدكتور محمد يسين مظهر الصديقي[لخلخ]:"كان الدكتور مقتدى حسن بذل جلّ عنايته في التدريس والترجمة والتأليف والتحقيق وتعليم اللغة العربية من أول يومه على رغم توجيه عنايته الخاصة في العلوم الإسلامية، فكان يكتب في موضوعات متنوعة، فإن مقتدى لم يفد قلمه السيال بمجال واحد بل كتب في موضوعات متنوعة وفي مناسبات مختلفة"[برلخ].

---

[9] مجلة "صوت الأمة " نوفمبر 2009م ، ص : 11 .

[10] عبد الكريم عبدالعظيم (المرتب)، "ڈاکٹر مقتدی حسن ازہری : حیات اور علمی نقوش" ، ص:22

[11] هو البرفيسور محمد يسين مظهر الصديقي، عميد كلية الدراسات الدينية سابقا بجامعة علي كره الإسلامية .

[12] عبد الكريم عبدالعليم (المرتب)" ڈاکٹر مقتدی حسن ازہری حیات اور علمی نقوش"(مقال للبروفيسورالدكتور محمد يسين مظهر صديقي)، ص:94.

ويقول الشيخ الدكتور سعيد الرحمن الأعظمي الندوي[13]: "كان الدكتور مقتدى حسن الأزهري كاتباً ومترجماً، وكان الإشتغال بالدراسة والتحقيق هوايته فكان شغوفا غاية الشغف بالقرأة والمطالعة، وكان مشهوراً في بلدان عربية أخرى خاصة في الجامعات السعودية العربية ومراكزها العلمية ودُعي مراراً في المؤتمرات والندوات والبرامج الأكاديمية و الأدبية من الهند وخارجها و احتل مكانة مرموقة بين علماء العرب ببحوثه العلمية و مقالاته الأدبية، وكان سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز محبا للدكتور مقتدى حسن،عالما بفضله، كثير الثناء عليه و يعتبر منار السلفيين في الهند"[14].

ويقول البروفيسور كفيل أحمد قاسمي[15]: "كان الدكتور مقتدى حسن الأزهري أديباً بارعاً ومُحقّقاً وناثراً في اللُّغة العربيَّة، وهو رجل علم وبحث وتحقيق، وبمواهبه الفطرية قام بتأليف عدد من الكتب المتداولة بين الحلقة الدينية والأدبية والعلمية والتحقيقية.[16]

ويقول الشيخ صلاح الدين مقبول أحمد[17]: "إن الدكتور مقتدى حسن الأزهري يحتل مكانة مرموقة بين الكتاب والأدباء في شبه القارة الهندية، ويفوق أقرانه في كثرة الكتابات حول المناسبات الإسلامية والثقافية والأدبية،

---

[13] هو الشيخ الدكتور سعيد الرحمن الأعظمي أديب بارع ومؤرخ أمين وخطيب مصقع وصحفي كبير إسلامي ورئيس تحرير مجلة " البعث الإسلامي" الذي يعد من عظماء أبناء ندوة العلماء و ينتمي إلى أعمال مدينة أعظم كره موطن العلماء العباقرة ويعتبر من نبغاء الهند وأدبائها وحملة الفكر الإسلامي بمقالاته المثيرة البناءة في هذا العصر الراهن ، ويتمتع لدى العرب بالإعتماد الكامل بما يقوم في مجال الدعوة الإسلامية من خدمات رائعة لا تزال غرة في جبين تاريخ الدعوة الإسلامية العالمية وأنه من الأساتذة البارعين في مجال الترجمة.

[14] مجلة "أفكارعالية" العدد الخاص في الدكتورمقتدى حسن الأزهري،(مقال للدكتور سعيد الرحمن الأعظمي الندوي) ابريل 2012م.يونيو 2013، ص: 29.

[15] هو رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة علي كره الإسلامية، عليكرة، الهند.

[16] عبد الكريم عبد العليم(المرتب) :ڈاكٹر مقتدى حسن از هرى : حيات اور علمى نقوش،ص:325.

[17] هو الشيخ العلامة صلاح الدين مقبول أحمد من علماء الهند، صاحب الكتب و التحقيقات النافعة، الداعي بالجهراء، الكويت، ومقيم بها حاليا.

وله تجربة طويلة في مجال الصحافة والتحرير، والترجمة والتأليف، وهو معرف بيننا بتنظيم جهده، واستشماروقته في النَّافع المُفيد. عسى الله ان يتقبله قبولا حسنا. "[18]

ويقول الدكتورعبد العليم السلفي عن شأن الدكتور الأزهري: "إن الدكتور رحمه الله كان من كبار علماء الهند ومرجعا علميا لطلاب العلم والعلماء وأديباً بارعاً ومشرفاً على جماعة أهل الحديث بالهند وله مؤلفات كثيرة في اللغات العربية والأردية، وتلاميذه في ألوف منتشرين في أنحاء العالم يخدمون الدين والعلم، ومن وفاته فقد العالم عالما كبيرا وخسرت جماعة أهل الحديث خسارة عظيمة"[19]

ويقول أبو عبد الله الروقي: "وهو أحد علماء الهند وأدبائهم وهو من الرجال الذين نشروا عقيدة السلف في تلك الأصقاع وغيرها"[20].

ألقت الدراسة الضوء على هيئة العمل التي خلفها الأستاذ الأزهري نطاقات واسعة من مواضيع الأدب والفكر والتعليم والتربية والثقافة كما تعالج قضايا الشريعة والدعوة والإرشاد وشؤون الاجتماع والسياسة، تبلغ كتبه المؤلفة والمترجمة والمحققة إلى 44 كتابا بينما يصل عدد بحوثه ومقالاته باللغة العربية والأردية حوالي 800. وبجانب تأليفاته القيمة وترجماته البارعة هناك عدد ملموس من الكتب والمؤلفات التي حققها الدكتور الأزهري تحقيقاً علميّاً أوعلق عليها تعليقاً دقيقاً أو هَذّبها تهذيباً بارعاً. وهي قوية الأسلوب، جيدة السبك، عظيمة الأثر ،شديدة المفعول، تدل هذه المؤلفات على فهمه

---

[18] مجلة "**أفكار عالية**" العدد الخاص في الدكتورمقتدى حسن الأزهري،(مقال للشيخ العلامة صلاح الدين مقبول أحمد) ابريل 2012م. يونيو 2013، ص 403.

[19] مجلة "**صوت التيمي**" نوفمبر، 2009م،ص: 12.

[20] المصدر نفسه، ص: 12.

العميق ومُقدّرته الفائقة على التعبير عما يجيش في خاطره من أفكار إيمانيَّة، ومن شأنه أن يترك أثراً بالغاً في نُفُوس القرّاء.

ثانيا:جهود الدكتورمقتدى حسن الأزهري التربوية خلال كتاباته:

أشار الدكتور مقتدى حسن الأزهري في كتاباته المختلفة إلى الشباب وأهميتهم في حياة الأمة، وإلى الآمال التي تعلّقت بهم، والمسؤليَّات الّتي تقع على عاتقهم نحو نفوسهم و أسرتهم ومجتمعهم الذي يعيشون فيه، و نحو الأمة العظيمة التي ينتمون إليها ويعيشون كفرد من أفرادها.

كان الدكتور الأزهري هنديا وكانت لغته الأم اللغة الأردية وكان شغفه الشديد بموضوع التربية الإسلامية أيام تدريسه بجامعة السلفية، بنارس،الهند، ونجد في انتاجاته العلمية موادا كثيرة بهذا الصدد، كتب نواحيها المختلفة حسب الضرورة في فترات مختلفة تبلغ مدته أربعين سنة، بعضها في شكل كتاب أوجزء من الكتاب والأخرى موجودة في شكل كلمات التقديم لكتب للعلماء الكبار و إن كتاباته القيمة في التربية الإسلاميةالتي نشرت في المجلات و الجرائد المكتوبة المختلفة لَمواد ضخمة هائلة كافية، قدم الدكتور الأزهري أكثر هذه الموضوعات البحثية المتعلقة بالتربية في مؤتمر أو ندوة و ثم نشربعض منها في إفتتاحية المجلة الشهرية "محدث" الأردية الصادرة من الجامعة السلفية، بنارس، والمجلة "صوت الأمة" العربية الصادرة أيضا عن نفس الجامعة، بنارس و كثير منها في شكل مقالات مستقلة. وهي كما يلي:

1.**الشاب المسلم و التربية الإسلامية**، باللغة الأردية،(كتاب) تم طبعه من "إدارة البحوث الإسلامية" بالجامعة السلفية، بنارس، أترابراديش، الهند، الطبعة الأولى، عام 2002م، وهو يشتمل على 112صفحة.

2.**المرأة المسلمة**، باللغة الأردية،(كتاب)، تم طبعه من"إدارة البحوث الإسلامية" بالجامعة السلفية، بنارس، أترابراديش، الهند، الطبعة الأولى 1973م وهو يشتمل على 283 صفحة. وفيه باب على تربية الأولاد يستغرق في 22 صفحة.

3. **التربية الإسلامية**، باللغة الأردية لمولانا عبد الوهاب الحجازي، تم طبعه من "إدارة البحوث الإسلامية" بالجامعة السلفية، بنارس، أترابراديش،الهند، والطبعة الأولى عام 1986م، وقام الدكتور الأزهري بمقدمة قيمة لهذا الكتاب تستغرق في 10 صفحة، بحثَ فيها الجوانب المختلفة عن التربية.

4.**أهمية التربية الإسلامية الصحيحة**، باللغة الأردية (مقالة) نشرت في المجلة الشهرية "محدث" الأردية،بنارس،يوليو،عام 1993م.

5.**الشباب المسلم وحاجات بناء الأمة**،(مقالة) نشرت في المجلة الشهرية "محدث" الأردية، بنارس،يوليو،عام2001م.

6. **سوء سلوك الجيل الجديد: أسبابه ومعالجته**، باللغة الأردية،(مقالة) نشرت في المجلة الشهرية "محدث" الأردية، بنارس،أكتوبر، عام 2002م.

7.**تربية الأطفال: موضوع مهم للعصر الحاضر**،باللغة الأردية، (مقالة) نشرت في المجلة الشهرية "محدث" الأردية، بنارس، يناير، عام 2004م.

8.**وجهة نظر الإسلام عن التعليم**، باللغة الأردية، (مقالة) نشرت في المجلة الشهرية "محدث" الأردية، بنارس، يونيو، عام 2005م.

9.**دور المدارس الإسلامية في تربية الجيل الجديد**، باللغة الأردية،(مقالة) نشرت في المجلة الشهرية "محدث" الأردية، بنارس،يوليو – سبتمبر، عام 2005م.

10.**دور المدارس الإسلامية**، باللغة الأردية،(مقالة) نشرت في الجريدة" الأفكار العالية"، الصادرة من الجامعة العالية، مئونات بنجن، أترابراديش، الهند،أبريل – يونيو،2008م.

11.**مسؤلية تربية المدارس الإسلامية**، باللغة الأردية،(مقالة) نشرت في المجلة" الأفكار العالية"، الصادرة عن الجامعة العالية، مؤنات بنجن، أترابراديش، الهند،يوليو - ستمبر، 2008م.

والمقالات العربية المتعلقة بالتربية الإسلامية التي دبّجها الدكتور الأزهري أثناء حياته و هي متناثرة في أعداد مجلة (صوت الجامعة/مجلةالجامعة السلفية/ نشرةالجامعة السلفية/صوت الأمة) وكذلك في مجلة "المنار" الصادرة عن ندوة الطلبة، بالجامعة السلفية، بنارس، الهند، وهي كما يلي:

1. **في التربية الخلقية**،(مقالة)، نشرت في مجلة صوت الجامعة الصادرة عن دار الترجمة والتأليف والنشر بالجامعة المركزية،بنارس، الهند، السنة الثانية، العدد الثالث والرابع، يوليو 1971م.

2.**مشاكل اليوم،(مقالة)**، نشرت في مجلة صوت الجامعة الصادرة عن دار الترجمة والتأليف والنشر بالجامعة المركزية، بنارس، الهند، العدد الرابع، يونيو1974م.

3.**شباب الأمة**،(مقالة)، نشرت في نشرة الجامعة السلفية،الصادرة عن إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء، بالجامعة السلفية، بنارس، الهند فبراير 1987م.

4.**إلى الأخلاق يا شباب**،(مقالة)، نشرت في مجلة صوت الجامعة، السنة الخامسة، العدد الثاني، ديسمبر1973م و تصدر عن دار الترجمة والتأليف والنشر بالجامعة السلفية، بنارس، الهند.

5.**كيف نعلم ولماذا؟**،(مقالة)، نشرت في صوت الجامعة ، السنة الخامسة، العدد الثالث، مارس 1974م، و تصدر عن دار الترجمة والتأليف والنشر بالجامعة السلفية، بنارس، الهند.

6.**مؤتمر التعليم الإسلامي بمكة المكرمة**.(مقالة)، نشرت في مجلة الجامعة السلفية، السنة التاسعة، العدد الرابع، مايو 1977م، و تصدر عن دار الترجمة والتأليف والنشر بالجامعة السلفية، بنارس، الهند.

7.**نقاط حول التعليم**،(مقالة)،نشرت في صوت الأمة، الصادرة عن دار التاليف والترجمة، بنارس، الهند، المجلد (35)،نوفمبر 2003م.

8.**كيف يكره مسلم الكلام عن العقيدة**،(مقالة)، نشرت في الجامعة السلفية الصادرة عن إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء، بنارس، الهند، المجلد الخامس عشر، العدد التاسع، سبتمبر 1983م.

9.**الدين والأخلاق**،(مقالة)، مجلة الجامعة السلفية الصادرة من إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء، المجلد الحادي عشر، العدد السادس والسابع، نونيو، يوليو 1979م.

10.**ضمير الإنسان**،(مقالة)، نشرت في مجلة الجامعة السلفية، الصادرة عن إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء، العدد السابع، المجلد الخامس عشر، يوليو 1983م.

11.**العناية بالشباب الإسلامي**،(مقالة)، نشرت في مجلة الجامعة السلفية، الصادرة عن إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والافتاء، المجلد الخامس، السادس، مايو- يونيو 1985م.

12.**مواجهة التحديات المعاصرة لا تتيسر إلا بتربية الأمة المسلمة على العقيدة الصحيحة**،(مقالة)، نشرت في مجلة صوت الأمة، الصادرة عن دار التاليف والترجمة، بنارس، الهند، المجلد الأول، العدد الخامس، يوليو1988م.

13.**حاجة الأمة إلى معرفة التوحيد مستمرة**،(مقالة)، نشرت في مجلة الجامعة السلفية الصادرة عن إدارة البحوث والإسلامية والدعوة والافتاء بالجامعة السلفية، بنارس، المجلد الثالث عشر، العدد العاشر، أكتوبر 1981م.

14.**التربية الدينية السليمة ودورها في تطبيق الشريعة الإسلامية**،(مقالة)، نشرت في مجلة صوت الأمة، الصادرة عن دار التاليف والترجمة، بنارس، الهند، المجلد الأول، العدد الثالث، مايو 1988م.

15.**دعاة الغد،(مقالة)**، نشرت في مجلة"المنار"، الصادرة من ندوة الطلاب، بالجامعة السلفية، بنارس، الهند،1985م.

16.**رجال الغد و بناة المستقبل**،(مقالة)،نشرت في مجلة"المنار"، الصادرة عن ندوة الطلاب، بالجامعة السلفية، بنارس، الهند، عام 1979م.

إضافة إلى هذا، ثمة عدد كبير من الملاحظات والإرشادات في التربية، وُجدت في ملفاته ومغلفاته التى كان يكتبها في أوراق صغيرة، لمخاطبة الطلاب من حين لآخر، ومحادثة قضايا التربية للطلاب مع مسؤولي الجامعة السلفية،بنارس،[21] ونحن الآن نوضح عصارة كتابات الدكتور الأزهري التي منتشرة في المجلات والجرائد باللغة الأردية والعربية.

بعد إمعان النظر في كتاباته المختلفة المتعلقة بالتربية نحن نسطيع أن نقول بوثقة إن كتاباته في التربية الإسلامية محيطة بجوانبها المتنوعة بشكل شامل. مثلا التربية لغة واصطلاحا، وأهمِّيّتها وحاجتها،والعلاقة بين التعليم والتربية،وتربية الناس بأفكار مختلفة من مختلف الأعمار، وتربيةالأطفال والمراهقين، وتعليم البنات وتربيتها و تربية عامة الناس والطلاب، وأقسام التربية مثلا التربية الإيمانية، والأخلاقية والجسدية والفكرية والنفسية والإجتماعية و المدارس والتربية، والوالدين والتربية، ومصدر التربية، و وسائل التربية، وصفات المربي،و التفرقة بين التربية الإسلامية والتربية الغربية الوضعية، وأقوال العلماء والمفكرين فيها، والأحداث التعليمية، ونصائح الأدباء والشعراء، وكذلك محادثة معقولة بهذا الصدد وما إلى ذلك موجودة في مقالاته.

وفيما يلي نذكر بعضا من الجزئيات المهمة الخاصة بها من العناصر جاء ذكرها أعلاه، في ضوء كتابات الدكتور الأزهري.

[21] **عبد الكريم عبدالعظيم (المرتب): "ڈاکٹر مقتدى حسن ازهرى : حيات اور علمى نقوش"**(.(مقال لمولانا أسعد الأعظمي، الأستاذ بالجامعة السلفية، بنارس،)ص:393.

أبرز المفاهيم في كتابات الشيخ الأزهري مفهوم التربية أنموذجًا:

التربية: لغة: يُرَدُّ لفظ التربية من حيث الأصل اللغوي إلى ثلاثة جذور:

الأول (رب ب): من قولهم: ربّبته: مَتَّنتُه، وربيته: دهنته وأصلحته، ورَبَّبَها: نماها وزادها وأتمها وأصلحها، ورَبَّه يَرُبُّه:يكفل بأمره، ورباه تربية: أحسن القيام عليه و وليه حتى يفارق الطفولة، وأرب بالمكان: لزمه وأقام به فلم يبرحه.

الثاني (ر ب و): من قولهم: ربا الشئ يربو رُبُوًّا: زاد و نما، و رَبَوْت فلانا أُربيه تربية: أي غذوته وهذا لكل ما ينمي كالولد والزرع ونحوه.

الثالث(ر ب ي): من قولهم: رَبيت رباء ورُبِيّاً، ورَبِيت أرْبى رَباً، ومعناها أيضا نشأت فيهم[بربر].

ومن هنا يتبين أن مفهوم التربية لغة هو ما يُقصد به:

-إصلاح الفرد وتهيئته- والجماعة تابعة له- حتى يبلغ درجة الاعتماد على نفسه والاستغناء عن غيره.

-التنشئة على الصلاح، مع التكفل بحسن القيام به، والتدرج في ذلك.

-المداومة وعدم الانقطاع المتضمن للنماء والزيادة، مع الحفظ والرعاية.

وذلك في كل يتعلق بالإنسان من جوانبه المتعددة: الروح والقلب والعقل والجسد.

التربية:اصطلاحا:

والتربية الإسلامية في معناها الإصطلاحيّ لا تخرج عما تقدم ذكره في معناها اللغويّ فالتربية عند الراغب الأصفهاني " إنشاء الشئ حالا فحالا، إلى حد التمام"[تربر].

[بربر].الدكتور مقتدى حسن الأزهري، **الشاب المسلم و التربية الإسلامية**، باللغة الأردية، تم طبعه من "إدارة البحوث الإسلامية" بالجامعة السلفية، بنارس، أترابراديش، الهند،عام 2002م، الطبعة الأولى، صفحة:27 – 28 نقلا من **لسان العرب**، ابن منظور الأنصاري، ج /14،دار صادر، بيروت،الطبعة الثالثة،1414هـ،ص107،مادة (رب ب)، ومادة (ر ب و).

[23]الراغب الأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، الدمشق ط 1997م. ص 336.

العلاقة بين التعليم والتربية:

العلم نقيض الجهل، والتعليم هوالتزويد بالمعارف والمعلومات التي تزيل الجهل، والتربية لا تكون تربية صحيحة إلا إذا كانت معتمدة على العلم. ولا شك في أن التعليم والتربية أمر مهم، ولا يمكن فصلهما عن الآخر، والتربية أكثر أهمية من التعليم، لأن التعليم بدون التربية مثل جسد لا دم فيه ولا روح.

هذا من الواضح الثابت أن كلا من التعليم والتربية نعمة عظيمة من نعم الله تعالى يصل بها الإنسان إلى الرقى من السياسة والإجتماعية والمعيشة والاقتصاد حتى يبلغ إلى أقصى غايته ومرامه، فلكل واحد منهما (التعليم والتربية) مكانة عالية سامية، ودرجة رفيعة مرموقة،فبينهما علاقة قوية و صلة متينة عظيمة. والمناسبة بينهما قوية شديدة، وبينما ربط دائم لا ينفصل أحد منهما عن الآخر في صورةما،فهما بمنزلة الشرط والمشروط واللازم والملزوم بحيث إذا فقد التعليم فقدت التربية بتمام إلا ما شاء الله تعالى، وإذا فقدت التربية فلا أجر ولا ثواب في التعليم الذي ورد في فضله آيات القرآن المتنوعة وأحاديث الرسول عليه السلام المختلفة.

وكان يرى الدكتور الأزهري أن التعليم والتربية وإن كانا صورتى عملة واحدة ولكن الأول(التعليم) مبدأ ومطلع وباعث عظيم للتزين بالثاني(التربية) والتحلى بمكارم الأخلاق، وأداء حقوق الله تعالى واجبة كانت أم مستحبة، وأداء حقوق عباده باعتبارات الأسرة البشرية والآخرة الإسلامية، فالتعليم هو من وسائل التربية الكبرى التي يستطيع بها المرء أن يعرف الله تعالى حق المعرفة، بأسمائه وصفاته والقيام بعبوديته، ويتخذ الصراط المستقيم من مسالك سيدنا محمد عليه السلام ومناهج أصحابه الكرام ومنوالهم في باب العقيدة والعبادة والمعاملة، وقد اعترف بذلك أئمة التعليم والتربية قديما

وحديثا من غير تفريق بين الدين والمذهب والعرب والعجم والشرق والغرب كما يقول المفكر الكبير كامينسن:" القصد من التعليم تربية الإنسان بكمال وتمام"[24] ويقول المفكر أركت:" ليس الغرض من التعليم حصول العلم فقط، بل الغرض الأساسي هو تربية العقول البشرية والروح الإنسانية"[25].

المصادر التي الدكتور الأزهري استخدمها لكتابة موضوع التربيّة:

كتب الدكتور الأزهري مقالة ذات طوالة باسم "دور المدارس الإسلامية في تربية الجيل الجديد" باللغة الأردية وفي آخر المقالة ذكر قائمة الكتب المتعلقة بالتربية الإسلامية، بعض هذه الكتب التالية تتضح موضوعات التربية بمطالعتها:

1-أدب الدنيا والدين للماوردي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، عام 1925م.

2-أركان الإسلام الخمسة وأثرها في حياة الأفراد والجماعات للدكتور يحيى الدرويري، المطبعة السلفية بالقاهرة، عام 1951م.

3-أصول التربية الإسلامية للاستاذ عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر بدمشق،1979م.

4- تطور الفكر التربوي للدكتور سعد مرسى أحمد، دار الثقافة العربية بالقاهرة، عام 1966م.

5-تنظيم الإسلام للمجتمع للشيخ محمد ابوزهرة، دار الفكر العربي، بمصر، 1925م.

6-دعوة التوحيد: حقيقتها،الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعاتها، للدكتور محمد خليل هراس، مصر.

7-دلائل التوحيد للشيخ محمد جمال الدين القاسمي، جمعية النشروالتاليف الأزهرية بالقاهرة.

8- زاد المعاد لابن القيم، طبعة حديثة محققة.

---

[24] مجلة "محدث" الأردية الصادرة عن الجامعة السلفية، بنارس، مايو 1992م، ص:37.

[25] المصدر السابق، ص:37.

9 - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة دار الشعب، بالقاهرة، عام 1971م.

10- الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي للدكتور أحمد محمود صبحي، دار المعارف بمصر.

11-الفلسفة القرآنية للعقاد، الهلال بالقاهرة، 1970م.

12-المجتمع الإسلامي للدكتور أحمد شلبي، القاهرة، 1967م.

13- المرأة في القرآن والسنة ومركزها في الدولة والمجتمع وحياتها الزوجية المتنوعة و واجباتها وآدابها، للاستاذ محمد عراة اروزة، تم طبعه ببيروت،عام 1967م[شمبر].

ثم يتم سرد أسماء المراجع المستخدمة في مقالاته المختلفة في شأن التربية الإسلامية كما يلاحظ فيها وهي فيما يلي:

1-واقعنا المعاصر، محمد قطب.

2-فلسفة التعليم والتربية،باللغة الأردية(الترجمة) عطية الإبراشي.

3-مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن ابن خلدون.

4-مفردات ألفاظ القرآن، الإمام الرازي.

5-أصول التربية الإسلامية، عبد الرحمن النحلاوي.

6-الترغيب والترهيب، عبد العظيم المنذري.

7-تحفة المودود في أحكام المولود، ابن القيم.

8-الأدب المفرد،الإمام محمدبن إسماعيل البخاري.

9-جريدة المسلمون.المملكة العربية السعودية.

10-التأصيل الإسلامية لرعاية الشباب، الدكتور محمد عزمى الصالح.

[شمبر] مجلة "محدث" الأردية الصادرة من الجامعة السلفية، بنارس، ستمبر 2005م، ص: 12.

11- مجلة المعرفة، دمشق.
12-جريدة الدعوة، الرياض.
13-رحمة للعالمين، القاضي سليمان سلمان المنصورفوري.
14- مجلة المستقبل الإسلامي، الرياض
15-جامع بيان العلم للحافظ ابن عبد البر الأندلسي.
16- زاد المعاد
17-الرسالة للشافعي،(تحقيق: أحمد محمد شاكر)
18المستدرك للحاكم[*].

أهمية التربية وحاجتها:

إنّ المجتمع عبارة عن مجموعة من الأفراد الذين يرتبطون فيما بينهم بعلاقات مختلفة وهامّة، وللتربية الحسنة أهَمّيّة كبيرة في المجتمع واهتم الإسلام بالتربية الصالحة للأبناء، وإعدادهم الإعداد المناسب بحيث يصبحون نافعين لدينهم ومجتمعهم. وإن نجاح الأهداف الإسلاميّة، وسعادة الفرد، وسلامة المجتمع، تتوقّف على سلامة عمليّة التربية. فقد ركّز الدكتور الأزهري رحمه الله في مقالاته المتعددة على أهمية شباب الأمة هم عنوانها وقوتها وأصالتها، فإن الأمة تتعهد شبابها بحسن التوجيه والتكوين الأخلاقي وتقوية نفوسهم وشخصياتهم والعمل بكل الوسائل التربويّة المكنة والعلمية والأخلاقية والنفسيّة وغرس مبادئ العقيدة الصحيحة والدين والأخلاق في أذهان الشباب وضمائرهم، ليكونوا رجالا صالحين يخدمون وطنهم ويرفعون من شأن مجتمعهم علمياً وفكرياً واجتماعيّا واقتصادياًّ أمام مجتمعات الغرب والشرق.

---

[*] الملاحظة: هذه المصادر والمراجع ليست بشكل الحصر بل هي ذكر سطحي كما مذكورة في مقالاته
.

وإشارةً إلى أهمية الشباب يقول الدكتور الأزهري:

"أهمّيّة الشباب في الحياة الاجتماعيّة وتأثيره في بناء الأمة وتوجيهها أمر واضح، فالشباب هم قوة الأمة ومعقد آمالها، لأنهم رجال الغد وأصحاب المسؤليّة في مجالات الحياة. ومن هنا نرى أن الدول والمنظمات تهتم بالشباب اهتماما أكبر، وتغريهم وتستميلهم لتحقيق أهدافها، حتى أن أصحاب الأهواء والأغراض أيضا يستمدون قوتهم ويدعمون موقفهم بضم هذه الطبقة من المجتمع إلى أنفسهم[28]".

و أضاف قائلا عن أهميتها:

"إن قلب الطفل مثل اللوحة البيضاء الساذجة، وهو يقبل بسرعة مدهشة كل ما ينطبع فيه، وبالتعليم يمكن أن نطبع هذه اللوحة بألوان ملائمة تكسب وجه الحياة جمالا وبهاء. إن الطفل في سنه المبكرة لا يدرك تماما مضار الجهل حتى يحاول الابتعادعنه، فمن الممكن أن نستغل هذه الفرصة ونستخدم المواهب التي توجد في الطالب فنحذره من الجهل ومضاره ونواجهه إلى العلم ونربيه على حبه والاستماتة في سبيله كي يشب ويكبر محبا للعلم، وداعيا إليه، دافعا عنه[29]".

ويترتب سوء الأثر على الفرد والمجتمع بسبب غير الإعتناء بالتربية، وبعض المربين و المصلحين والمسؤلين يهملون عملية التربية، والدكتور الأزهري ركّز أنظاره على التربية ويعتقد أنها عملية أساسية للمجتمعات الصالحة،وغير الاهتمام بالتربية سبب من أسباب انتشار الفساد و الفوضى، والشرائر،وغير الاستقرار،والبذاءات فيها فهو يتحدث عنها: "قضيّة التربية في

[28] الدكتور مقتدى حسن الأزهري، عنوان المقال"**شباب الأمة**"،نشرة الجامعة السلفية،الصادرة عن إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء، بالجامعة السلفية، بنارس، الهند فبراير 1987م، ص6.

29 . الدكتور مقتدى حسن الأزهري، عنوان المقال"مشاكل اليوم" صوت الجامعة، السنة الخامسة، العدد الثالث، الصادرة من إدارة البحوث والإسلامية والدعوة والإنشاء بالجامعة السلفية، بنارس، الهند، مارس 1974م،ص5.

الإسلام مُهمّة جدا، يصل بها الإنسان إلى الرُقى والازدهار حتى يبلغ إلى أقصى غايته ومرامه،والتربية وسيلة معتمدة مرموقة لتقيد بالشرائع الإسلامية و والبقاء على الصراط المستقيم في الأيام القادمة[لختر]"

نطاق التربية:

إن التربية أمر ضروري في كل مرحلة من مراحل حياة الإنسان من الطفولة حتى البلوغ وبقية حياته أيضا. ويقول الدكتور الأزهري:"و من ميزات الإسلام أنه يعتني بالتربيّة والتوجيه في كل مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية وليست هي مخصوصة بالحياة التعليمية ولذلك وضع الإسلام أصولا ومبادئيّا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن الفرد المسلم يتجهد في التوجيه الديني السليم للمسلمين في القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضي في طريقهم على هدى وبصيرة. ويتضح من السطور السابقة أن التربية ليست مقيدة بمرحلة من مراحل عمرالإنسان[لختر]"

لذا هو اهتمّ بتربية كل العمر والطبقة ووضحها في كتاباته المتنوعة كما وضع باباً خاصاً باسم تربية الأولاد في كتابه" المراة المسلمة" بللغة الأردية، وتكلم فيه عن تربية الأطفال بشكل شامل. وكذلك سطر موضوعا عن تربية الشباب في كتاباته المختلفة وكتب كتابا باسم "الشباب المسلم والتربية الإسلامية" باللغة الأردية،تم طبعه من"إدارةالبحوث الإسلامية" بالجامعة السلفية،بنارس، أترابراديش، الهند،عام 2002م، الطبعة الأولى، وهو يشتمل على 112 صفحة.

---

[30] الدكتور مقتدى حسن الأزهري، **المرأة المسلمة**، باللغة الأردية، تم طبعه من "إدارة البحوث الإسلامية" بالجامعة السلفية، بنارس، أترابراديش، الهند، الطبعة الأولى 1973م،صفحة: 244.

[لختر] مقدمة للدكتور الأزهري في كتاب **التربية الإسلامية**، باللغة الأردية لمولانا عبد الوهاب الحجازي، تم طبعه من "إدارة البحوث الإسلامية" بالجامعة السلفية، بنارس، أترابراديش، الهند، والطبعةالأولى عام 1986م،ص: 18.

تأكّد الدكتور الأزهري على تربية عامة الناس الذين يُحرمون من التعليم والتوجيه ويقول " ولا يليق أن يركز بالتدريب على الطقبة العارفة والنخبة فقط كي يجعلها انسانا صالحا بل على العكس من ذلك، هناك حاجة ماسة إلى توفير التدريب العملي المناسب للطبقة الأمية والفجوة المتبقية في حياتها الفكرية يجب ملؤها إلى حدما من خلال التفكير العملي وإن يلاحظ بحذر فإن هذا النوع من الناس يحتاج إلى مزيد من التدريب العملي، لأن ليس لديها القدرة على فهم قضايا التربية ومبادئ الشريعة وقواعدها تلقائيا، هناك حاجة ماسّة إلى توجيه شخص آخر[برتر]."

أسلوبه لتربية الطلاب:

وأما تربية الطلاب فالدكتور الأزهري قضى حياته الذهبيّة في الجامعة السلفية،بنارس، الهند، بين الطلاب،وهو كان مدرسًا و إداريًّا و مربياًصالحاً و ها أنا كاتب هذه السطور تلمذت عليه سنتين، رأينا أنه ركّز جهوده في تربية الطلاب و كانت تربيته ممتزجة بالترهيب والترغيب لأنهما من العوامل الأساسية لتنمية السلوك وتهذيب الأخلاق وتعزيز القيم الإجتماعية. هكذا كانت تربيته للطلاب،ممتزجة بمعاني الأبوة، والحرص على الإصلاح،و وآثار هذه التربية لم تقتصر على الطلاب فقط، وإنما تجاوزتهم إلى زملائه الأساتذةأيضا.

وعلى هذا المنهج كان يقوم بتربية التلاميذ ويدرس أبناءه الطلاب في الفصول الدراسية وفي الإجتماعات العامة، وكان يرحب بعمل علمي قام به أحد من الطلاب. وقد بذل الراحل رحمه الله جميع مؤهلاته العلمية والتربوية

[برتر] نفس المرجع: ص: 12.

وراء تصقيل أذهان الناشئين من الطلاب، وتهذيب قلوب الشباب وتزيينهم بزينة العلم والمعرفة في النوادي الأسبوعيّة لحفلة الخطابة.

ولغرض تربية الطلبة كان الأستاذ الأزهري يدوّن ملاحظات متنوعة في قطع الأوراق الصغيرة، و كان يشير إلى سمات بارزة للثقافة الإسلامية، فيركز على أهمّيّة الطّهارة والنَّظافة، وطهارة الجسم واللباس، وطهارة الفكر والبيان،ويشدد على حسن السلوك و معاملة مع المسؤولين وغيرهم، والالتزام بآداب المجلس و حسن الاستماع والمحادثة و حسن المعاملة مع الأساتذة و عاملي الجامعة، والمحبة من الثقافة الإسلامية، فهو كان يغضب على عمل يبدو منه أي شئ يخالف طبيّعة الإسلام مثلا التجوال بغير قصد في السوق، مشاهدة الأفلام،سوء المعاملة مع الإداريين والمسؤولين وخلاف ضوابطهم وغيرذلك. و يأكّد على قراءة و كتابة، و اللعب من العصر حتى المغرب، والمحافظة على الصلوات الخمسة، وقدر الكبار، التعاطف على الصغار،و الإجتهاد في القراءة، وحضور في الدروس، والالتزام بالمطالعة، وإعادة الدروس،الاهتمام بالكتب غير الفصل الدراسي، والتمرين على الترجمة،والمحادثة باللغة العربية وكتابتها وغيرذلك[1].

وإذا كان من بنى حصنا أو قاد جيشا عُدّ من العظماء،فالدكتورالأزهري بَنى للإسلام من نفوس تلاميذه حصونا أقوى و أمتن حصون الحجر و بنى أمة صغيرة من العلماء الصالحين و الدعاة المعلمين المنتشرين في انحاء العالم يخدمون الدين والعلم. كان يربي ـ رحمه الله تعالى ـ أبناءه الطلاب، فكانت تربيته ذات أسلوب حضاريّ راقٍ، مستمدة من مفاهيم الشريعة، مستنيرة من مشكاة النبوة، فكان ـ رحمه الله ـ يتّخذ أساليب متعدّدة لتربية الطلاب، ويركّز

---

[1] عبد الكريم عبدالعظيم (مرتب): "ڈاکٹر مقتدی حسن ازهری : حیات اور علمی نقوش"،(مقالة لمولانا أسعد الأعظمي، الأستاذ بالجامعة السلفية، بنارس،)ص:399.

على بعض المسائل المهمة التي تعم و تنتشر، ثم يقدم لها تحليلا، فيقدم بذلك مفتاحا أونموذجا يمكن أن يحتذى.

التفرقة بين التعليم والتربية:

هناك فرق واضح بين عمليّة التربيّة من جهة والتعليم من جهة أخرى، فالتعليم يمثل جزءاً من التربية، والتربية تشمل التعليم، والعكس غير صحيح.

فالتربية هي عمليه تنمية متكاملة لكافة قوى وملكات الفرد، بمختلف الأساليب والطرق، ليكون سعيدًا وعضوًا صالحًا في مجتمعه، وهي تشمل جميع جوانب شخصيته الروحية والعقلية والخلقية والاجتماعية والوجدانية والجمالية والبدنية.

أما عملية التعليم فهي – جزء من العلمية التربوية الكاملة – هدفها تنمية عقل الفرد وتمكينه من اكتساب المعرفة والمهارات اللازمة لحياته، ودرايته بعلم ما، أو فن ما، أو حرفة أو مهنة ما ونحو ذلك.

ميادين التربية:

التربية ضرورة عظيمة لكل من الفرد والمجتمع سواء كان طفلا أم عجوزا أو طالبا أم عامة الناس والمربي يركز عنايته بجوانب التربية والدكتور الأزهري تكلم بهذا الصدد بالتوضيح كلتالي:

- **تربية الجسد:** وتكون بتوفير الغذاء والكساء والمسكن من كسب حلال، والعناية بالصحة والنظافة والنشاط، وهذه يقوم بالدور الأعظم فيها الوالدان.
- **تربية القلب:** وتكون بتغذيته بالإيمان والاعتقادات الصحيحة.
- **تربية الروح:** وتكون بتزكية النفس، والدعوة للأخلاق الحسنة والسلوك الحميد، والقيام بالعبادات والتكاليف الشرعية.

- **تربية العقل:** وتكون بتغذيته التصورات والرؤى الصحيحة، والدلالة على طرائق التفكير.

التربية الخلقية: مجموعة من القيم الموجهة لسلوك الطفل لتحقيق أهدافه في الحياة.

- **التربية الإجتماعية:** أن يتخلق الفرد في المجتمع المسلم بالأخلاق الحميد وسلوكيات الآخرين بأساليب يمكن أن تفيد نظم إيكولوجية اجتماعية. تتيح السياقات الإجتماعية المختلفة للأفراد باكتساب سلوكيات جديدة من خلال مراقبة ما: من صدق، وأمانة، وإخلاص مراعاة حقوق الآخرين و الأخوة،والتقوى والايثار وآداب الإجتماعية العامة الخ....[يرتر]

مصادر التربية الإسلامية:

تستمد التربية الإسلامية أسسها من القرآن الكريم وهو المنبع الأساسي الذي يحتوى على الميادين العامة. والسنة الشريفة وهي ما ينسب إلى رسول الله محمد صلى عليه وسلم من قول أوفعل أو تقرير أو وصف. ويقول الدكتور الأزهري: "أكد علماء الإسلام على أن المواد التربية يجب أن تكون مبنيّة على الكتاب والسنة النبويّة كما يجب أن تكون طريقة النبي صلى عليه وسلم والأسوة الحسنة معيارًا في هذا الباب، لأن العمل العظيم الذي قام به الرسول صلى الله عليه وسلم في مجال التربية لا مثيل له[سمتر]"

تربية البنات:

وعندما نتصفح أوراق كتاب "المرأة المسلمة" للدكتور الأزهري وغيره من المقالات (باللغة الأردية)، نجد أن الدكتور رحمه الله ناقش فيها موضوع

[يرتر] الدكتور مقتدى حسن الأزهري، **المرأة الإسلامية**، باللغة الأردية، تم طبعه من "إدارة البحوث الإسلامية" بالجامعة السلفية، بنارس، أترابراديش، الهند، الطبعة الأولى 1973م،صفحة: 244-258.

[35] المجلة " محدث" الأردية (مقال للدكتور مقتدى حسن الأزهري) الجامعة السلفية ، بنارس، أغسطس 2005م،ص: 8 – 10.

تعليم البنات. وهذا أمر جدير بالتفكير. فبالرغم من وجود عدد كبير من المعاهد والكليات لتربية البنات لا نجد الفتيات في مجال العمل واسهاماتهن في مجتمعنا. وتعليمهن ينقطع بعد الحصول على شهادات العالمية والفضيلة. ولا تزال هناك عراقل ومشاكل في طريقهن لتحقيق رغباتهن في الحصول على الدرجات العليا في الدراسة، يمنع مجتمعنا موضوعات معينة لأنها لا توافق طبيعتهن. فالمجتمع في بلادنا لا يسمح لفتح المجال أمامهن للتقدم إلى الأمام ومنافسة إخوانهن في ميادين البحث والتحقيق والعلمي. وكيف يتقدم المجتمع إذا أهمل نصف أعضائه من المساهمة في تطويره ولم يوفر له المجال للعمل البناء؟ هذا شئ يحتاج للتفكير من قبل أصحاب الرأى والسلطة والماسكين بزمام الأمور.

الموازنة بين مبادئ التربية الإسلامية وغير الإسلامية:

تكلم الدكتور الأزهري بهذا الصدد بشكل شامل،وبحث بحثا علميا على هذه النقاط بالدّلائل والبراهن العصريّة، ويذكر مزايامبادئ التربية الإسلامية التي هي عصارة الارشادات المنزلة من الله ويشير إلى نقائص مبادئ التربية الغربية الوضعية.

فمنهج التربية الإسلامية يتميز عن غيره من المناهج التربوية القديمة والحديثة بشموله لمختلف أبعاد حياة الإنسان الدينية والدنيوية، وعنايته الكاملة بجميع جوانب النفس البشرية، في تكامل وتوازن غير مسبوقين.

وأثبت الدكتور الأزهري أن التربية الإسلامية اعتنت بجميع جوانب النفس البشرية المتمثلة في الأبعاد الرئيسة الثلاثة(الروح، والعقل، والجسم) دون ما اهمال أو مبالغة في حق أحد منها على حساب الآخر ولكن التربية الوضعية الجديدة ركّزت اهتمامها على الجسم والعقل، في حين أهملت الجانب الروحي إهمالاً كاملاً.

وهو يذكر: ماهرو الغربيين للتربية جعلوا أساسا على الحرية ويعتقدوا أن الأخلاق الدينية والأحكام النبيلة الإسلامية عقبات للتقدم والرقى ولكن الإسلام أعلن أن الضوابط الأخلاقيّة ليست بعُقبة على التقدم والرقى للفرد بل لها مكانة عالية في حياة الإنسان وبها يتعرف الفرد حقوق الآخرين.

ويقول:

"وإني لست من الملتزمين الجامدين الذين ينقمون كل جديد بمجرد أنه جديد، ويحرمون على الشباب الاستمتاع بطيبات الحياة و زينتها الّتى أحلت لهم ويحاولون التضييق عليهم باسم الدين تضييقا يعارض روح الدين ويحملهم على الاستخفاف والتبرّم به. ولكن ليس معنى ذلك أن نشجع الشباب على الانحلال ونجرّهم إلى التَّخلِّى عن الفضائل والآداب باسم التحرر والتقدُّم. إن الاتجاه الذي يؤدي إلى الانحلال والإباحية ويشجع الشباب على الخروج على مبادئ الدين وقيم الأخلاق ليس من التَّقدُّم في شئ، بل هو أقبح من التَّخلُّف، وضرره على الأمة بالغ الغاية، والتَّقدُّم الذي يجرد الشباب عن روح الدين والأخلاق ويلهيهم عن الشعور بمسؤلياتهم في ميدان الحياة هو تقدُّم معكوس مزيف لا يغترّ به إلا المنخدعون"[شمتر].

ويذكر أيضا "أن أشخاص آخرين يختصون هدف التربية بأن يجعلوا انسانا يخدمون الوطن ويحبونه والإسلام يركِّز على هدفه الخاص للتربية أن يجعل إنسانا صالحا بدون نظر إلى اللون والعنصر والوطن"[لهتر].

[شمتر] الدكتور مقتدى حسن الأزهري، **"إلى الأخلاق يا شباب"** مجلة صوت الجامعة، السنة الخامسة، العدد الثاني، ديسمبر1973م و تصدر عن دار الترجمة والتأليف والنشر بالجامعة السلفية، بنارس، الهند.

[37] للتفصيل راجع إلى مقدمة للدكتور الأزهري في **كتاب التربية الإسلامية**، باللغة الأردية لمولانا عبد الوهاب الحجازي، تم طبعه من "إدارة البحوث الإسلامية" بالجامعة السلفية، بنارس، أترابراديش، الهند، و الطبعة الأولى عام 1986م،ص:13 – 18.

ويؤكد الدكتور الأزهري على التربية الإسلامية التي يثبت المجتمع بعملية تطبيقية ويتبلور الفساد فيه كما ملاحظ في بلاد الغرب والشرق الإسلامي وغير ذلك من الأماكن، ويقول:

"وما يحدث كل يوم في بلاد الغرب، وما أخذ يحدث في الشرق الإسلامي من مآس وفواجع وشرور وآثام وانفعالات تؤدى إلى محرج المواقف وإزهاق الأرواح وهتك الأعراض وانهدام كيان الأسرة من جراء الغلو والإفراط في التبرج والتبذل والاختلاط الواسع المنكر، يمكن أن يكون شاهدا صادقا على الحكمة السامية الخالدة التى تضمنتها الآداب والتلقينات والمبادئ القرآنية، التى تمنح كل ذى حق حقه، وترسم لكل أمر نطاقا يدور فيه من غير إفراط وتفريط، ولا تترك العناصر الشريرة تدوس الآداب والمثل بالرجل وتنشر الإباحية والفوضى باسم الحرية[تر]".

هدفه نحو التعليم والتربية:

ولقد أمرنا تبارك وتعالى بوقاية أنفسنا وأهلينا نارًا وقودها الناس والحجارة، ولكن كيف تتحقق هذه الوقاية من النار بغير تربية صالحة ومن دون توجيه سليم؟ إن ذلك يحتم علينا أن نطهّر بيئتنا من جميع العوامل والعناصر السلبية ويتحلى أعضائها بصفات عالية من الطهر والسمو والعفاف والأمانة، فذلك هو السبيل الأجدى والأجدر بالتقليد إلى انشاء جيل مسلم يتميز بالعقيدة السليمة والإيمان القوى والخلق الكريم والعادات الطيبة، ويمثل القدوة الصالحة في حياته وأعماله وفي نشاطه وتفكيره ونظرته إلى الحياة الإنسانية وفي علاقته مع الله والناس وفي معاملاته. ويقول:

[تر] مقتدى الأعظمي، عنوان المقال" في **التربية الخلقية**"مجلة صوت الجامعة الصادرة عن دار الترجمة والتأليف والنشر بالجامعة المركزية،بنارس، الهند، السنة الثانية، العدد الثالث والرابع، يوليو 1971م،ص3.

"(والخطوة الأولى والمهمة في مجال التربية هى تربية الفرد، ولقد أعار القرآن هذه الناحية عناية عظيمة، حيث احتوى فصولا وآيات كثيرة جدا في الحدود التي ينبغى للمسلم أن يسير في نطاقها، والأخلاق والصفات التي يجب أن يتحلى بها، والمواقف التي ينبغى أن يقفها في مختلف أدوار حياته، وقد توخى في كل ذلك ان يكون المسلم، كفرد، على أفضل ما يجب أخلاقا واستعدادا للقيام بواجبه نحو نفسه ونحو غيره ونحو مجتمعه، ليضمن لنفسه ولغيره ولمجتمعه معا القوة والسعادة والطمأنينة والاحترام[بيتر]".

يركز الدكتور الأزهري علي كل مُربّ ومعلم أن يتعرف على جميع النقاط اللطيفة التي يحتاج إلى تطبيقها في إجادة أى نوع من التربية والتعليم،علمية أو فكرية، بدنية أو عسكرية، سياسية أو ثقافية، كما يجب أن يتحلى كل معلم خبير ومربّ بارع بمنهج جديد يميزه من الآخرين ويجعله فريدًا في مجاله يتصف بصفة العلم، والأمانة، والقوة، والعدل، والحرص، والحزم، والصلاح، والصدق، والحكمة.

التعليم والتربية عنده فريضة مقدسة وهدفها بناء السيرة الصالحة ومعرفة الثقافة ومعرفة رب العالمين ومعرفة الذات، ويتحقق هذا من العلوم الشرقية وخابت الغرب بهذا الصدد، ويؤكد الدكتور الأزهري على طلب العلوم العصرية نظرا لمتطلبات العصر الراهن،

ويرى الغلو في التعليم وهو تقسيم العلوم إلى الدينيّة والدنيويّة وهذا ليس بصحيح وكل العلوم لها أهمية في مواضعها.

التركيز بالتمسك بالعقيدة الصحيحة:

---

[39] مقتدى الأعظمي، عنوان المقال" **في التربية الخلقية**" مجلة صوت الجامعة الصادرة عن دار الترجمة والتأليف والنشر بالجامعة المركزية،بنارس، الهند، السنة الثانية، العدد الثالث والرابع، يوليو 1971م.ص2.

لاتتم التربية الإسلامية إلا بالتمسك بالعقيدة الصحيحة ويتحدث الدكتور الأزهري في بعض مقالاته،عن التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة والعمل بها في الحياة الإنسانية وهي مغزى الإسلام.وإشارة إلى ذلك يقول:

" من سمو الإسلام وكماله أن ينتهج طريقة فطرية سليمة في تربية الأفراد والجماعات على فضائل الأعمال ومكارم الأخلاق وعلى العقيدة الحقة والسلوك القويم، فيركز على العناية بأمور العقيدة والإيمان، ويطالب العبد بالإخلاص في تحقيق توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات وبالاجتناب عن الشرك والبدع والخرافات التى تحبط الأعمال وتزدي إلى الخسران، ثم يرشد إلى التحلّى بفضائل الأعمال ومحاسن الأخلاق "[لحير].

خاتمة البحث:

يعد الدكتور الأزهري -رحمه الله- أكثر انتاجا و تأليفا بين اقرانه، لقد صنف كتبا جمة ورسائل عديدة واعتنى بالتصنيف والترجمة والتحقيق التي وصلت إلى (44)كتابا، وهي قوية الأسلوب، جيدة السبك،عظيمة الأثر، شديد المفعول، تدل هذه المؤلفات على فهمه العميق ومقدرته الفائقة على التعبيرعما يجيش في خاطره من أفكار إيمانية وفي قلبه من عواطف جياشة، ومن شأنه أن يترك أثرّا بالغًا في نُفُوس القرّاء.

وله إنجازات في فهم الإسلام والتعريف به وكان يفكر في نواحى الإسلام المختلفة، ويعرض أمام الناس مفاهيم العلوم الإسلامية بمواهبه الفطرية ومعلوماته الواسعة وكانت عادته في تفكير خصائص الإسلام المتنوعة الذي لا يعبر عن عبادات وتقاليد وعادات فقط بل هو عبارة عن دين كامل وثقافة

---

[40] الدكتور مقتدى حسن الأزهري، عنوان المقال: " **مواجهة التحديات المعاصرة لا تتيسر إلا بتربية الأمة المسلمة على العقيدة الصحيصة**" 1 مجلة صوت الأمة، الصادرة عن دار التاليف والترجمة ، بنارس، الهند، المجلد الأول، العدد الخامس، يوليو1988م، ص6.

مستقل يهدي الإنسان إلى طرق الحياة المستقيمة. وتعاليمه تتناول مسائل الحياة العامة إلى حاجة المجتمع الانسانيّ من الإقتصاديَّة والسِّياسيَّة والخلقيَّة والفكريَّة والعبادات والعقائد والمعاملات ونظام العلاقات الدولية وما إلى ذلك.

وأما أسلوب الدكتور الازهري فهو أسلوب عربي حديث، لا يقل من أساليب الأدباء العرب درجة وفخامة وسلاسة، وهو أسلوب يتميز بالبساطة والجذاجة والاستطراد والفصاحة، والمتانة وقوة البحث كما تبدو بالغة الأثر في نفوس القراء واضحة. فهوأسلوب عصريّ ممتاز.

المراجع والمصادر:

1. مجلة "أفكار عالية" العدد الخاص في الدكتور مقتدى حسن الأزهري، ابريل 2012م . يونيو 2013م.
2. موقع الويب، الموسوعة الحرة: اللغة الأردية www.hindonline.com، تاريخ تصفح: 30-08-2019.
3. مخلص الرحمن:الدكتور "مقتدى حسن الأزهري: حياته ومساهماته في نشر اللغة العربية والدراسات الإسلامية" مارك بُكس، دهلي الجديدة، 2013م.
4. مجلة " صوت الأمة" الصادرة من الجامعة السلفية،بنارس، يوبي، الهند، المجلد 41، العدد الحادي عشر، نوفمبر 2009م.
5. عبد الكريم عبدالعظيم (المرتب): "ڈاکٹر مقتدى حسن از هرى : حيات اور علمى نقوش" ،روشان پرنٹرس، ايجو كيشنل ببلشنك هاؤس، الطبعة الأولى، دهلي الجديدة، مارس عام 2017م.
6. مجلة " صوت التيمي" الصادرة من جامعة ابن تيمية بمدينة السلام، بيهار، الهند، نوفمبر 2009م.

7. مجلة " صوت الأمة" الصادرة من الجامعة السلفية بـ بنارس، يوبي، الهند، المجلد 33، العدد السابع، يوليو 1989م.

8. الدكتور مقتدى حسن الأزهري، الشاب المسلم و التربية الإسلامية، باللغة الأردية، تم طبعه من "إدارة البحوث الإسلامية" بالجامعة السلفية، بنارس، أترابراديش، الهند، الطبعة الأولى، عام 2002م، نقلا من لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، ج /14،دار صادر، بيروت،الطبعة الثالثة،1414هـ،ص107،مادة (رب ب)، ومادة (ر ب و).

9. الراغب الأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، الدمشق ط 1997م.

10. نشرة الجامعة السلفية،الصادرة عن إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء، بالجامعة السلفية، بنارس، الهند فبراير 1987م.

11. الدكتور مقتدى حسن الأزهري، عنوان المقال"مشاكل اليوم" صوت الجامعة، السنة الخامسة، العدد الثالث، الصادرة من إدارة البحوث والإسلامية والدعوة والإنشاء بالجامعة السلفية، بنارس، الهند، مارس 1974م.

12. الدكتور مقتدى حسن الأزهري،المرأة المسلمة، باللغة الأردية، تم طبعه من "إدارة البحوث الإسلامية" بالجامعة السلفية، بنارس، أترابراديش، الهند، الطبعة الأولى 1973م.

13. مولانا عبد الوهاب الحجازي، التربية الإسلامية، باللغة الأردية ، تم طبعه من "إدارة البحوث الإسلامية" بالجامعة السلفية، بنارس، أترابراديش، الهند، والطبعةالأولى عام 1989.

14. مجلة "محدث" الأردية الصادرة عن الجامعة السلفية، بنارس، الهند، مايو 1992م.

15. المجلة " محدث" الأردية (مقال للدكتور مقتدى حسن الأزهري) الجامعة السلفية ، بنارس، أغسطس 2005م.

16. الدكتور مقتدى حسن الأزهري،" إلى الأخلاق يا شباب" مجلة صوت الجامعة، السنة الخامسة، العدد الثاني، ديسمبر1973م و تصدر عن دار الترجمة والتأليف والنشر بالجامعة السلفية، بنارس، الهند.
17. مقتدى الأعظمي، عنوان المقال" في التربية الخلقية"مجلة صوت الجامعة الصادرة عن دار الترجمة والتأليف والنشر بالجامعة المركزية،بنارس، الهند، السنة الثانية، العدد الثالث والرابع، يوليو 1971م.
18. مقتدى الأعظمي، عنوان المقال" في التربية الخلقية" مجلة صوت الجامعة الصادرة عن دار الترجمة والتأليف والنشر بالجامعة المركزية،بنارس، الهند، السنة الثانية، العدد الثالث والرابع، يوليو 1971م.
19. الدكتور مقتدى حسن الأزهري، عنوان المقال" مواجهة التحديات المعاصرة لا تتيسر إلا بتربية الأمة المسلمة على العقيدة الصحيحة،مجلة صوت الأمة، الصادرة عن دار التاليف والترجمة ، بنارس، الهند، الجلد الأول، العدد الخامس، يوليو1988م.
20. مجلة "محدث" الأردية الصادرة من الجامعة السلفية، بنارس، ستمبر 2005م.



شاعر المديح عبد المنان الميواتي الدهلوي

محمد عارف الميواتي[*]
arifkhannadwi@gmail.com

ملخص البحث:

أنجبت منطقة ميوات[1] عديدا من العلماء والدعاة والكتاب الذين خدموا اللغة العربية من خلال كتاباتهم الأدبية والعلمية والإسلامية، ولهم إسهامات قيمة في ترويج اللغة العربية في هذه المنطقة. ونالوا مكانة مرموقة في الأوساط العلمية والأدبية، ولهم دور كبير في تطوير الأدب العربي وأنواعه المختلفة. لا يستطيع أحد أن ينسى جهودهم وفضلهم في مجال ترويج اللغة العربية وآدابها في هذه المنطقة. ومن بين هؤلاء العلماء والكتاب والأدباء الشاعر الأستاذ عبد المنان الميواتي الدهلوي الذى قرض الشعر باللغة العربية في أغراض متعددة منها شعر الوصف والمديح والرثاء والحكمة والفخر.

ولد الشاعر في بيئة علمية. حفظ القرآن الكريم في سنّ مبكر. تعلم العلوم الإسلامية من أبيه الداعية والأستاذ عبد السبحان الميواتي والفقيه الكبير المفتي محمد كفايت الله الملقب بالمفتي الأعظم للهند. قرض الشاعر عبد المنان الشعر باللغة الفارسية والأردية والعربية مع القدرة الكاملة. ويوجد عدد كبير من شعره باللغة الأردية والفارسية أيضا، ولكنه فضل بأن يعبر عن أحاسيسه ومشاعره بلسان عربي مبين بدلا من اللغة الفارسية والأردية.

الكلمات المفتاحية: ميوات، عبد المنان، حركة الدعوة والتبليغ، الدر المنضد، جمعية العلماء، عبد السبحان الميواتي.

---

[*] باحث في الدكتوراه بمركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

1: منطقة ميوات، هي منطقة تقع في الجهة الجنوبية لمدينة دلهي عاصمة الهند، وتبعد من العاصمة حوالي 60 كلومتر. تسكن في هذه المنطقة جالية كبيرة تدعى ب"ميو" فنسبت هذه المنطقة إلى هذه الجالية، وسميت ب"ميوات". تشتمل هذه المنطقة على ثلاث ولايات هندية منها ولاية هاريانة وراجستهان واترابراديش. جالية "ميو" هي من أقدم الجاليات الهندية.

نبذة عن الشاعر:

ولد الشاعر عبد المنان الميواتي الدهلوي عام ١٩٢٢م، وتربّى في كنف والده الأستاذ عبد السبحان الميواتي- مؤسس مدرسة زينة العلوم المعروفة بالمدرسة السبحانية في دلهي عاصمة الهند- في وسط علمي إسلامي وفي أسرة علمية تمتاز بتمسكها بالشريعة الإسلامية، وبذل الجهد في نشر العلوم الإسلامية وخدمة الإسلام والإنسانية. وكان أبوه من كبار العلماء الربانيين والمصلحين وأحد من كبار دعاة حركة الدعوة والتبليغ بالهند، ويعتبر من أول الأساتذة للعلوم الإسلامية في منطقة ميوات. نشأ وترعرع الشاعر في أحضان العلم والأدب والدين الخالص. حفظ القرآن الكريم في صغر سنه، زاول التعليم الابتدائي في بيته حيث بدأ بدراسة اللغة العربية، وقرأ مبادئ الصرف والنحو والكتب الابتدائية باللغة الفارسية عند أبيه الأستاذ عبد السبحان الميواتي. قرأ الأدب العربي على الأستاذ الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي[2]، كما تلقى تفسير القرآن الكريم ودروس المنطق والفلسفة من الفقيه الكبير والمفتي محمد كفايت الله الملقب بالمفتي الأعظم بالهند. قضى فترة من الزمن ما بين 1942 و1943م في المدرسة العزيزية الواقعة بالجامع الكبير في مديرية سارغودا (حاليا في باكستان)[3].

كان الشاعر في الحقيقة عالما وعاملا بالدين ومتضلعا من العلوم والفنون، كان ورعا تقيا بالله، ومحبا صادقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم. كان يتذكر قصائده الطويلة بظهر قلبه إلى مدة طويلة. كان موهوبا بالذكاء

---

[2]: هو الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي (1317-1394ه) المحدث، والمؤلف والشاعر، ولد في مدينة بهوبال، ولاية مادهيا براديش، الهند. باشر التدريس بالمدرسة الأمينية بدلهي حيث تعلم منه الشاعر الأدب العربي. وبعده عين أستاذا بجامعة دار العلوم الإسلامية بديوبند.

[3]: شبير أحمد خان الميواتي، مجلة "نقوشِ ميوات" الأردية الصادرة من مدينة لاهور باكستان، العدد 3، عام 1993م.

والفطنة وقوة الحفظ والإدراك، وبذاكرة فقيدة المثال حيث يكتفي له نظرة واحدة على كتاب أو بيت حتى يحفظه إلى طول الحياة. انخرط في سلك التدريس في العلوم الإسلامية بمدرسة والده في دلهي، وكان درسه مشهورا بين طلبة العلوم الإسلامية، فاشتهر بمهارات التدريس في دلهي وخارجها. فكان أستاذا ماهرا يحبه طلابه، وينتظرون لدروسه بفارغ الصبر. كان الشاعر يتميز بأقرانه بسبب موهبته الشعرية وعلاقاته الودية مع كبار العلماء الربانيين آنذاك. والعلماء الكبار كانوا يحبونه لموهبته الفطرية أيضا. ومن هؤلاء العلماء الكبار كان العلامة شيخ الإسلام حسين أحمد المدني[4]، والشيخ محمد إلياس الكاندَهْلَويّ مؤسس حركة الدعوة والتبليغ بالهند[5]، والأستاذ أحمد علي اللاهوري[6]، والمحدث الشيخ محمد زكريا الكاندَهْلَويّ[7]، والعلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي[8]، والعلامة محمد يوسف البنوري[9].

شعره:

قرض الشعر باللغة الفارسية والأردية والعربية، ولكنه مال إلى قرض الشعر باللغة العربية أكثر من لغته الأم. منح الأستاذ عبد المنان موهبة شعرية فذة، لايجد عناء وتعبا في نظم القصائد الطويلة، وكان يقرأ الشعر ماشيا و جالسا بين أصحابه وأساتذته. كان ذا حسّ لغويٍّ مرهف، وفطرة موسيقية رائعة. كان يقرأ شعره بلحن صافٍ تلتفت إليه القلوب والآذان. قرض الشعر في المديح

4: هو العالم والمجاهد ومن قادة حركة التحرير، كان من كبار العلماء في الهند. قام بتدريس الحديث الشريف في جامعة دار العلوم ديوبند الإسلامية، وكان رئيسا لجمعية العلماء في الهند.

5: كان من أكابر الدعاة الذين عرفهم العالم الإسلامي في القرن العشرين

6: كان من كبار المفسرين آنذاك في شبه القارة الهندية.

7: هو الإمام المحدث محمد زكريا الكاندهلوي (1898-1983م) صاحب المؤلفات العديدة منها: أوجز المسالك إلى مؤطا مالك، تعليقات على بذل المجهود شرح سنن أبي داؤد.

8: هو العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي، الداعية والمفكر والأديب الأريب صاحب المؤلفات القيمة في الفكر الإسلامي (1914-1999م)

9: هو الفقيه والمحدث والأديب الأريب العلامة محمد يوسف بن محمد زكريا الحسني البنوري، (1908-1977م)

النبوي والرثاء والوصف والحكمة والفخر. ونظم القصائد الطويلة في مدح الشخصيات العلمية والفكرية والدينية.

نماذج من قصائده في عشرة أغراض مختلفة

قصيدة في المديح النبوي:

محمدٌ صاحبُ الآياتِ معجزة – حديثه كزبيبٍ نطقه عَسلُ

عفوٌ وسمحٌ واغضاء ومرحمةٌ – خصاله وبحُسنِ الخُلقِ مُشتملُ.

مَأوى الضِعافِ ملاذُ الخلقِ قاطبةً – غَوثُ الأراملِ غيثٌ وابلٌ هطلٌ.

خاتمُ الأنبياءِ الحقُّ بعثَتُه – إلى الخلائقِ فانهدَّتْ بها الدُّوَلُ

تَزلزل القَصرُ والأيوانُ منصدِعاً – بصِيتِه و زمامُ الملك مُنتَقِلُ

كِسرى يُخَوِّفُه أعرابُ بادِيَةٍ – وجَيشُه كلُّ فَردٍ في الوَغى بَطَلُ[الخلخ]

وجودُه رحمةٌ للناس سائرةً — بلِ العوالمِ مهداةٌ لمن غفلوا

جَبينُه مطلعُ الأنوارِ مشرقُه — فالشمسُ آفلةٌ والبدرُ مختجل

قد نال من شرفٍ لا فوقه شرفٌ — ملقبٌ بحبيبِ اللهِ مُمتثِلُ[الخلخ]

وقال في قصيدة مديحية أخرى عن الأوضاع السائدة قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الجزيرة العربية:

ومن قبلُ كانوا يعملون فَواحشا	كبائرَ إثمٍ من أمور مخيلة
وحربُ فجارٍ فتنة مد لهمّة	واضرمت النِّيران كلّ قبيلة
ووأد بنات لا لذَنْب شقَاوة	قساوتهم جرت بواعث لعنة

[10] : نشرت هذه القصية بمجلة "أنوارِ مدينة" الأردية، الصادرة من مدينة لاهور باكستان في شهر ذي الحجة 1390هج، فبراير 1971م.

[لخلخ]: محمد إسحق قريشي، بر صغير باك و هند مين عربي نعتية شاعري، ص 917. مركز معارف أولياء، ط1، 2002

فهاك حياة الجاهلية يا أخي ... كعيشة أنعام بغير رؤية

حبيب إله العرشِ لم ير مثله ... نبيا و لاعبدا مقرب حضرة

يعلّم قرآنا ويدرس حكمة ... وما فيه من سِرٍ يبين ونكتة

شفاء لما في الصدر يذهب زيغه ... له من أسام دوب ذاك عديدة[برلخ]

قصيدة في رثاء الشيخ حسين أحمد المدني:

ومن قصيدة قالها الشاعر في رثاء بطل الحرية الكبير العلامة حسين أحمد المدني معبرا عن مهجة محترقة وحزن عميق وحنين لا ينفد رصيده. جاء الشاعر بالتفاعل الداخلي والروح النابضة والعاطفة الجياشة في هذه القصيدة، فكتب القصيدة التى جاءت في ثلاثة وأربعين بيتا، وسماها "عبرات وزفرات" فاستهلها قائلا:

شمس الهدى والدين والعرفان ... غابت وما طلعت فيا حرماني[ترلخ]

لأفولها الخضراء سود وجهها ... بتمامه وتغير الملوانِ

وقال عن العلامة بوجدانية جميلة ملأها الحزن والألم:

كيف العزا وقد تعذر أمره ... هجر الحبيب خلاصة الأحزانِ

هذا الذى هدّ الجبال وزعزع ... القصر الرفيع وشامخ البنيانِ

وبكت عليه ملائك إذ قيل فاظ ... حسين أحمد زبدة الأقرانِ

أنت الذى بجماله منهوبة ... البابنا وبجفنه الفتّانِ

وينعى الشاعر إلى سجن مالطة وفاة هذا البطل الكبير الذى اعتقل ونفي إليه بسبب دوره الفعال في حركة الحرية الوطنية ضد الإنكليز:

يا سجن مالطة تطائر صيتها ... أنعى إليك إمامنا ذا الشانِ

[12]: مجلة " أنوارِ مدينة" الأردية، الصادرة من مدينة لاهور باكستان، حمادى الأولى 1393هج، يونيو 1973م.

[13]: صحيفة " الجمعية" الصادرة من دلهي. ص 269، 271، 272 العدد الخاص عن حياة الشيخ المحدث حسين أحمد المدني: 15 فبراير 1958م. كانت الصحيفة يوميا آنذاك، ولكن أصبحت أسبوعية بعدها

قد كنت ممتحنا بد الأئمة أوذوا بغير جريمة العدوانِ
أ حِماية الوطن القديس جريمة يا ربنا خذ قادة الطغيانِ

وقال عن خسارة لجامعة دار العلوم ديوبند الإسلامية بوفاة الشيخ المدني حيث كان رئيسا للجامعة آنذاك:

دار العلوم يتيمة بوفاته آمالها مقطوعة وأماني
فسلام ربّي غير منقطع ورحمته على مثواه كلّ أوانِ
يا من يحب حسين أحمد حسبكم ما جاء في الآثار والقرآنِ
لله ما أعطى وما هو آخذ بقضائه في عالم الإمكانِ

قصيدة في رثاء الشيخ عبد القادر الرائبوري:

كان الشاعر يقوم برحلات إلى الشيخ عبد القادر الرائبوري[14](1873-1962م) حيث تلقى التربية الروحية من الشيخ، واستفاد من مجالسته وصحبته في التزكية والإحسان. فقد كتب قصيدة جميلة بوفاة الشيخ، وتفرد بالتعبير الصادق عن الخوالج النفسية والعاطفة الجياشة. وجاء الشاعر بأروع المشاعر التى يسجلها شاعر في رثائه، حيث تتدفق أحاسيسه بلا حواجز. وتتميز هذه القصيدة بالتماسك، وقوة التأثير والإقناع، فيها جزالة اللفظ، وتقديم خصال الشيخ الإصلاحية مع إبراز الخدمات الدينية. تحتوى القصيدة على مأة بيت، وسماها "عبر وبصائر بوفاة الشيخ عبد القادر الرائبوري.

ومن أروع ما قال الشاعر في الرثاء:

حنّت إلى روح المحبة مهْجتي فبكتْ واسبلت المدامع مُقلتي[15]
وغدت تذكّرنا مجالسه التى تجري الرياح خلالها من روضة
باتت تحدثّ كَي تغلل نفسها عن ذكره لَزِيادة في نشوة

---

[14]: هو الشيخ المصلح والداعة الكبير عبد القادر الرائبوري من أشهر الشيوخ في التزكية والإحسان الذى يشار إليه بالبنان.

[15]: مجلة "خدام الدين" الأردية، الصادرة من مدينة لاهور باكستان، ص 10، مايو 1963م.

وجرت حكاية هجره فتسلسلت ... عبراتها وطوت صحيفة عشرة

وعلى هذا المنوال تتوالى أبيات القصيدة التى تفيض بلوعة الحزن الملتهب، وتدل على أنها صادرة من شاعر قادر على تصوير الأحزان وتجسيد المآسي والآلام. ويتحدث الشاعر عن زاوية الشيخ وبيئتها الروحية ومناظرها الخلابة قائلا:

في رائبور كان مسكنه وفي ... حسن المناظر قرّتي ومسرّتي

أنهارها تجري وصفوة ماءها ... كانت وكان وكنت أحسب جنتي

هي بلدة معمورة لكنها ... بفراق عامرها تزيد أذيتي

تبكي وحُقّ لها البكاء لأنها ... فقدت بروضتها إمام أئمة

كنا نخال حياته ووجوده ... حصنا حصينا من مفاسد فتنة

كان الشيخ عبد القادر كثير الترحال ويقوم بجولات دعوية داخل البلاد وخارجها، ومنها جولاته إلى المدارس الإسلامية الهندية ورؤسائها. ومعظم من هؤلاء العلماء كانوا يتلقون التربية الروحية على يد الشيخ، فيذكر الشاعر هؤلاء الشخصيات في الأبيات التالية قائلا:

أفلا تعزّ مدارسا بإقامةٍ ... فيها تشريف بواسع فرصة

أفلا تعزّ مظاهراً وإمامها[شملخ] ... شيخ الحديث ذريعتي ووسيلتي

أفلا تقيم بها وتصلح حالها ... بدعاءك الصبّاغ أحسن صبغة

دار العلوم ترى قدومك عزّة [لهلخ] ... وترى قيامك عزّة في عزّة

أفلا تشرّف ندوةً ومديرها[□لخ] ... من فرقة المحبوب ساكب دمعةٍ

أفلا تشرّف يوسفاً ورفيقه[بيلخ] ... يقفان حولك حاضرَين بخدمةٍ

---

[16] : إشارة إلى جامعة مظاهر العلوم سهارنفور، أترابراديش الهند

[17] إشارة إلى جامعة دار العلوم ديوبند الإسلامية، قرية ديوبند، أترابراديش الهند

[18] : إشارة إلى دار العلوم التابعة لندوة العلماء، ورئيسها العلامة السيد أبي الحسن علي الندوي آنذاك.

[19] : إشارة إلى الشيخ إنعام الحسن والداعية الكبير الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (1917-1965م) وهوابن الشيخ محمد إلياس لكاندهلوي مؤسس حركة الدعوة والتبليغ

والصبر عينُ رضى الحبيب وأجره - جنّات عدنٍ يا مواضع غبطةِ

قصيدة في مدح حبيبه وزميله في الدرس الشيخ نياز محمد القاسمي الميواتي:

ومن أشهر القصائد التى كتبها الشاعر في مدح صديقه وزميله في الدرس الشيخ نياز محمد القاسمي الميواتي[20] (1919-1993) بمناسبة إطلاق سراحه يوم 10 مارس 1966م بعد قضاء ستة أشهر في السجن بعدما اعتقلته الحكومة. كان الشيخ نياز محمد الميواتي ذا عزيمة وهمة قوية، وكان لا يخاف لومة لائم في سبيل الدين. لمّا تحرّر من السجن استقبله العلماء ببالغ الفرحة والسرور. فقال الشاعر عبد المنان في مدح حبيبه هذه القصيدة الطويلة التى تشتمل على زهاء مائة بيت، وأبدى فيها الجوانب العديدة من حياته مع ذكر مؤلفاته وشخصيته:

باللّه مولانا نيازُ محمد	علم الهداية، قامع البدعات[21]
فضلا و إحسانا وجودا سائلا	كالبحر يقذف لجّة الدرّات
والوجه نور والجبين منور	كالبدر يكشف نور العتماتِ
ولخدمة الدين القويم مقامه	فيما نراه كقائد الغزواتِ
صدر الصدور صدارةً وإمامةً	لجماعة العلماء والقاداتِ[22]

ويقول معبرا عن شخصيته ومكانته العلمية مع ذكر كتابه الشهير "الدرّ المنضد في شرح الأدب المفرد:

مفتٍ، فقيه، عالم متورعٌ	متواضع يمتاز بالميزاتِ
ومفسِّرٌ، ومعلمٌ. متكلم	أفلا تشاهد جامع الأشتاتِ

[20]: هو الأستاذ والفقيه والمحدث نياز محمد بن موج خان (1919-1993م) ولد في بلدة ميوات ، وتخرج من جامعة دار العلوم الإسلامية بديوبند. اشتهر بمؤلفاته في علم الحديث وشرحه، منها "الدرّ المنضد في شرح الأدب المفرد".

[21]: نشر هذه القصيدة حافظ أبو الطيب محمد يسين مع الذكر الموجز لمنطقة ميوات وأهلها وتاريخها. تاريخ النشر غير موجود.

[22]: إشارة إلى "جمعية العلماء بالهند" حيث كان الشيخ نياز محمد الميواتي رئيسا لجمعية العلماء بمديرية جورجاوان ولاية هاريانه الهند.

وكلامه الدرّ المنضد لو سمعت | وجدته كجوامع الكلماتِ[23]
أدب يشرحه ويوضح مفردٌ | ببيانه المضمون حلّ نكاتِ
تشريح معضلة وكشف عويصة | وبيان إجمال وضبط لغاتِ
في لفظه معنىً يروعُك حسنه | كاللؤلؤ المكنون في الصدفات

كان الشاعر وصديقه الأستاذ نياز محمد القاسمي ينتميان إلى منطقة ميوات، ففي نفس القصيدة يوصف الشاعر لخصائل وعادات أهل منطقة ميوات فقال مفتخرا بالشعب الميواتي:

إنّا بني الميَوات أهلُ بداوة | وبَذاذة ومروءة و اَناةِ
ومحبة ومودة وضيافة | وسخاوة بعشية وغداةِ
لكننا عند اللقاء كصخرة | صمّاءَ دون مخافةٍ وتقاةِ
أسُدٌ نرى الأَعداء مثل بعوضةٍ | ونشِنُّ غاراتٍ من الغاراتِ
قومٌ نفوسُهم الكريمة للقتا | ل حريصةٌ بسُيوفِها وقناةِ
ثبتَتْ على الدهر الخؤون نقوشُنا | يا ضربَة الفِتيان والفَتياتِ

وقال عن السجن والمدة التى قضاها الشيخ نياز محمد الميواتي في السجن دون جريمة:

كرماً يزيدك رفعةً وفضيلةً | في السجن عزّك منتهى الغاياتِ
روحي فداك بلا اقتراف جريمة | حبستك فيه جبابر السلطة
وقضيت باسم الله ستة أشهر | وذكرت ربّك ساكبا دمعاتِ

وقال ترحيبا بصديقه الحميم عند إطلاق سراحه:

فأتيت مبتهجا، وجئت مكرّماً | وحصلت مجدا فزت بالعزاتِ
أهلا وسهلا لا تزال مرحّباً | بألوف إعزازٍ وتسليماتِ
بتمام شوقٍ وانجذاب قريحةٍ | حيّاك أسعد[23] سيد الساداتِ

[23]: إشارة إلى الكتاب " الدرّ المنضد في شرح الأدب المفرد" للشيخ نياز محمد القاسمي الميواتي. صدر الكتاب من أكاديمية شيخ الهند دار العلوم ديوبند، الهند.

لقد قرض الأستاذ عبد المنان الميواتي الشعر في أغراض متنوعة من المدح والحب والوصف والرثاء، ولكن المدح يحوي معظم قصائده.

كان الشيخ عبد المنان شاعرا مطبوعا وموهوبا من الناحية الإبداعية والمعاني الخيالية. كان يقرض الشعر ارتجالا، فيتمتع شعره بجزالة اللفظ وبلاغة المعاني وروعة الأسلوب والبيان.

إشادة العلماء بالشاعر عن شعره وشخصيته:

يقول العلامة محمد يوسف البنوري "كان الشيخ عبد المنان شاعرا موهوبا وعالما تقيا بارعا، ولا يوجد مثيله في هذه الأيام في شبه القارة الهندية في قرض الشعر باللغة العربية والأردية والفارسية"[25].

يقول عنه الأستاذ اجتباء الندوي في مقاله المنشور في مجلة معارف "كان فطينا يتذكر آلافا من الأبيات، واستفاد من الأستاذ عبد الحق المدني في العروض والقوافي، وله ديوان غير مطبوع"[26].

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي " عبد المنان الدهلوي الذي وهبه الله لحنا صافيا يتذكر الأشعار الكثيرة باللغة العربية والفارسية الأردية"[27].

هذه الصورة الرائعة عن شعر الأستاذ عبد المنان الميواتي الدهلوي الذى يتمتع بكثرة المعاني وجزالة اللفظ. فأسلوبه في شعره هو أسلوب الشعراء العرب المتقدمين من العصر الجاهلي والإسلامي.

---

[24]: إشارة إلى الشيخ السيد أسعد المدني رئيس منظمة "جمعية العلماء".

[25]: مجلة "نقوش ميوات" الأردية الصادرة من مدينة لاهور باكستان، ص 52، العدد 3، عام 1993م.

[26]: د. إجتباء الندوي، مجلة معارف الأردية الصادرة من دار المصنفين بأعظم جراه بالهند، ص 366، مايو 2007م

[27]: السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي، سيرة الشيخ عبد القادر الرائبوري المسمى ب" سوانح حضرت رائبوري" ص 121-122. مكتبة إسلام لكناؤ ط6، عام 2005.



خاتمة البحث:

قد قرض الأستاذ عبد المنان الدهلوي الشعر في معظم أغراض الشعر منها: المديح، والغزل، والرثاء، والفخر، والحكمة. قرض القصائد الطويلة التى تصل بعض منها زهاء مأة بيت في مدح الشخصيات الإسلامية الكبيرة في شبه القارة الهندية. وكذلك له عدد كبير من القصائد في المديح النبوي حيث يصل عدد الأبيات في قصيدة واحدة حوالي مأة بيت. نشرت معظم قصائده في المجلات الباكستانية أكثر من المجلات الهندية منها: مجلة *خدام الدين* الصادرة من مدينة لاهور، ومجلة *أنوارِ مدينة* الصادرة أيضا من مدينة لاهور، ومجلة *بيّنات* الصادرة من مدينة كراتشي الباكستانية. كتب الأستاذ الدهلوي عددا كبيرا من الشعر حتى صارت له مجموعة كاملة، ولكن لم يتم نشرها حتى الآن.

توفي الشيخ عبد المنان يوم 22 يناير عام ١٩٧٤م بعد مرض عاني منه في آخر أيام حياته.

المصادر والمراجع:

1- الميواتي، شبير أحمد خان: مجلة "نقوشِ ميوات" الأردية الصادرة من مدينة لاهور باكستان،عام 1993م.
2- صحيفة " الجمعية" الصادرة من دلهي. ص 269، 271، 272 العدد الخاص عن حياة الشيخ المحدث حسين أحمد المدني: 15 فبراير 1958م.
3- مجلة "خدام الدين" الأردية، الصادرة من مدينة لاهور باكستان.
4- مجلة " أنوارِ مدينة" الأردية، الصادرة من مدينة لاهور باكستان.

5- الندوي، محمد إجتباء، مجلة معارف الأردية الصادرة من دار المصنفين، أعظم جراه، الهند.
6- الندوي، السيد أبو الحسن على، سيرة الشيخ عبد القادر الرائبوري " سوانح حضرت رائبوري".
7- الندوي، حبيب الرحمن خان الميواتي، تذكرة صوفياء ميوات.
8- قريشي، محمد إسحاق، بر صغير باك و هند ميں عربي نعتية شاعري(أردو) ص 917. مركز معارف أولياء، ط1، 2002.

...................❖❖❖❖❖ ....

صورة الرجل في روايات سحر خليفة

محمد عبد الرب *

abdurrabjnu91@gmail.com

توطئة:

سحر عدنان خليفة هي روائية وكاتبة وناشطة نسوية فلسطينية، ومن أهم الروائيين الفلسطينين الذين عالجوا موضوعات واقعية واجتماعية في كتاباتهم ورواياتهم، وهي من أكبر المدافعات عن حرية المرأة وحقوقها. وكتاباتها تعالج صورة المرأة الاجتماعية والسياسية وقضاياها المختلفة من الشقاء، والشعور بالمأساة، والظلم والقهر والطغيان، والفوضى والاستغلال، والثورات وبطولاتها وغير ذلك من الموضوعات الاجتماعية، كما تتناول وعي المرأة السياسي، ونضال المرأة الفلسطينية، والمحن التي تمرّ بها.

وكتاباتها هي انعكاس للقضيتَين الأساسيتين: الأولى هي قضية تحرير المرأة من تبعية الرجال والتقاليد الاجتماعية القديمة التي تسلب حرية المرأة الاجتماعية (في رأي الكاتبة). والثانية هي قضية المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي.

وإن الأسرة الاجتماعية تتألف من الرجل والمرأة وهما يشكلان العمود الفقري في النظام الأسري، وقد قدمت الروائية صوراً مختلفة لهذين العنصرين وشتى النماذج لشخصيات روائية تتباين في تعاملها داخل العلاقة الأسرية التي تتمحور حول العلاقة التي تتبادل بين الرجل والمرأة.

---

* باحث بمركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، الهند

ولكن هذا المقال الوجيز يهدف إلى إبراز زاوية قلما تطرّق إليها الدارسون والباحثون خلال دراستهم لروايات سحر خليفة وكتاباتها وهي صورة الرجل (إيجابية أو سلبية) ونظرة المرأة للرجل، فسأحاول تسليط الضوء على هذه الزاوية مستقرءًا صورة الرجل ومبرزًا نماذجها من رواياتها التي تتحدث عن تركيبات الرجل وأبعاده وأفكاره وانطباعاته المختلفة وتعامله مع الأسرة بما فيها المرأة، حيث يمثل الرجل داخل الأسرة عضوًا مركزيًا بين أعضائها فيتحكم فيها ويسطير عليها.

الكلمات المفتاحية: صورة الرجل، سحر خليفة، الروايات العربية، الموضوعات الاجتماعية.

صورة الرجل الإيجابية:

1- **صورة الرجل المناضل:**

إن الكاتبة سحر خليفة تُعتبر رائدة في تصوير النضال الفلسطيني من جوانب شتى، فأدّتْ دورًا مهمًا في صياغة تاريخ النضال والكفاح للشعب الفلسطيني من خلال كتاباتها ورواياتها القيمة التي تصور واقع الشعب الفلسطيني ومعاناته وهمومه ونضاله من أجل تحرير الوطن من أيدي براثن الاحتلال الإسرائيلي، فسجلت تصدى الفلسطيني للاحتلال سواء من "خلال تنفيذ عمليات تستهدف جنودهم، أو مواجهة مواقع استراتيجية لهم، كما صورته وهو يقاوم الاحتلال بالحجارة، ويصفّي العملاء حتى داخل السجون"[1].

ولكنها أولت الاهتمام بالرجل المناضل العادي وتجاهلت دور الرجل المناضل الذي يقوم بدور رئيس في سبيل النضال، بل همشته في رواياتها، فلم توجه

[1] السويطي، ماجدولين ماجد عبد الهادي، صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية "سحر خليفة أنموذجًا"، (رسالة الماجستير 2012م)، جامعة الخليل، فلسطين، ص:3.

العناية إلى وجوده في غالب الأحيان، وعلى الرغم من كل ذلك، فإنها قامت بتصوير الرجل المناضل الفلسطيني في عدة مواقف لم تستطع الكاتبة التغاضي عنها؛ لأنها كانت كبيرة التأثير في الساحة الفلسطينية.

فمن نماذج الصورة الإيجابية للرجل التي نجدها في رواياتها هي صورة "أسامة الكرمي" في رواية "الصبار"، فطرحت الكاتبة في هذه الرواية تفاصيل الحياة اليومية لفلسطينين في الضفة الغربية بعد ما مضت خمس سنوات على "هزيمة حزيران" مما أدى احتلال إسرائيل للأراضي الفلسطينية الباقية، ففي هذه الرواية تبرز لنا صورة المناضل "أسامة الكرمي" الذي يعود إلى وطنه الحبيب فلسطين من اغترابه خارج وطنه بعد خمس سنوات.

فلم يرجع أسامة كرجل عادي، بل "عاد حاملًا مهمة أوكلها إليه تنظيمه السياسي المقيم خارج الأرض المحتلة، سعيًا منهم في تنظيم الفلسطينين للدفاع عن أرضهم واستردادها، ومنذ اللحظة الأولى التي يصل فيها أسامة جسر العبور إلى الضفة يساق إلى التحقيق من قِبَل جند إسرائيلي أظهر له رصد المخابرات الإسرئيلية لتحركات الفلسطينين في الخارج، وفي أثناء التحقيق معه يرى أصنافاً مختلفة من إساء للمجندات الإسرئيليات للناس الذين لم يحركوا ساكنًا، فتأثر كثيراً من هذا الوضع الذي آلوا إليه"[٢]، كما يتجلى ذلك في المقطوعة الآتية من الرواية:

ولماذا عدت الآن وليس قبل سنتين؟ ارفع صوتك.

كنتُ بانتظار لمّ الشمل.

وتوقف صوت البولدوزر، استراحت أسارير البولندي وعاد يسأل وهو مازال واقفاً وراء الطاولة الصغيرة وكوب برتقال في يده.

وماذا ستعمل في شخيم؟

---

[2] نفس المرجع والصفحة.

سأبحث في نابلس عن وظيفة.

وارتفع صوت الصراخ ثانية، وبدأت الفتاة تشهق والجندية الإسرائيلية تصيح.

افتح رجليك، افتح رجليك، لازم أشوف جوه، لازم أشوف جوه، افتح رجليك.

وتلاحقت الفرقعات. يا كلاب يا كلاب... آ... أ...

ونزل حاجب الضابط نحو أنفه، ومسح شاربه الأشقر وعاد يسأل.

وماذا فعلت خلال تلك المدة؟

تماسك قليلًا وأجاب بإعياء:

كنت أعمل في شركة تأمين. هذه أوراقي.

وأين ذهبت خلال السنوات الخمس؟ هل ذهبت إلى الجزائر؟

نعم.

ولماذا ذهبت إلى الجزائر؟

وتجمركون الجزائر أيضًا؟

ماذا قلت؟

لا شيء."[3]

ويمكن لنا أن نرى في المقطوعة السابقة إرهاصات نضال الرجل في سبيل الوطن، والذي هي صورة الرجل الإيجابية في هذه الرواية.

وتتقدم أحداث الرواية، حيث يشرع أسامة في تنفيذ مهمة عاد من أجلها، منذ اللحظة الأولى بعد وصوله إلى وطنه، ولكن يرى فجأة أن كثيرًا من المعالم في أرضه قد تغيرت بعد الاحتلال، فأصبحت الأرض مهجورة، واستُبدلت بالمصنع الذي ظل حلمًا من أحلام كل عامل فلسطيني، فلما رأى أسامة أحوال الفلسطينين واتجاهاتهم شعر بسذاجتهم، حيث اعتقدوا أن

[3] خليفة، سحر، الصبار، (بيروت، منشورات جاليليو، مطبعة الشرق التعاونية، 1976م)، ص:16.

استقلال فلسطين سيتحقق لا محالة، وهنا يشعر أسامة بأن المهمة التي فُوِّضت إليه ليست بسهلة كما كان يظن من قبل.

ومن النماذج الأخرى للرجل المناضل، التي برزت بوضوح خلال الانتفاضة، هي صورة الرجل المطارد "الذي ينام ليلا في خارج منزله، خوفاً من اقتحامه من قبل جنود الاحتلال ويعود إليه في ساعات النهار، ليرتاح من عناء الليل، وسهره، فينام قليلا، وتعود الدائرة من جديد"[4]، وها هي تصوّر الكاتبة لنا هذا المطارد قائلة:

"من الجبل تبدو نابلس كانون نار، والمصابيح تألقت كحبات الدق، لكن العتمة والآهات ونداءات الشباب. وحسام المطارد أين ينام؟ يجيء مع شقشقات الفجر، وآذان الصبح، ينقر شباك العلية ويقول وهو ما زال خلف القواطع : "صباح الخير عمتي " " يسعد صباحك ويطلق جناحك ويجعل نهارك نوراً وسروراً، فوت يا عمتي فوت خذلك غفوة، وتقوم من فراشها فيندس فيه، وينام حتى قبل الظهر"[5].

وإن حياة المطارد تكون في خطر دائم ويحمل روحه على راحته، فلا يعرف نهايته، متى أو كيف أو أين تكون؟ فـ"ذات يوم جاءها (عمته) برفيق له. كانا جائعين كالقطط الضالة، فأكلا الخبزات واستقرضت المزيد .وبعدها بأيام جاءها بالرفيق نفسه وفي صدره صلية دمدم. ومات الشاب بين يديها، وحسام يبكي في العتمة. وقف على السطح وصفر، وجاءوا كالجن من الليل. حملوه ودفنوه في لحظات دون أن تعلم أمه"[6]، فهذه هي حياة الرجل المطارد، يفرّ من

[4] السويطي، صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية "سحر خليفة أنموذجًا"، ص:15.
[5] خليفة، سحر، رواية: باب الساحة، ط1، (بيروت، دار الآداب، 1990م)، ص:14.
[6] نفس المصدر، ص:14- 15.

العدو ولكن يكون الموت بالمرصاد له فيلقى حتفه فيكون ضحية في سبيل تحرير وطنه الحبيب حاملاً حلم تحريره في صدره.

صورة الرجل الشهيد:

إن الشهادة هي أفضل أمنية للمناضلين على الرغم من المبدأ الأساسي في الحروب بين الدول المتقدمة في العصر الحديث والراهن هو "إن أثمن شيء يمتلكه مقاتل العصابات هو جسده الذي يجب أن يحافظ عليه"[7].

وإن الكاتبة قد قدمت لنا عدة صور للشهداء الذين ضحوا بأرواحهم ودمائهم في سبيل تحرير أرضهم فلسطين، منها صورة الشهيد أسامة الكرمي الذي يعود إلى الضفة الغربية من فلسطين، "يحمل آمالا نضالية، لتحرير الأرض والإنسان من براثن الاحتلال ينفذ عملية فدائية، ضد باصات العمال العرب إلى إسرائيل، لم يكن الهدف من العملية قتل العمال العرب، بل كان الهدف إرهابهم لعلهم يتوقفون عن العمل في إسرائيل، وفجراً كان العمال في الباصات"[8]، "يلقون برؤوسهم على أكتاف بعضهم ويغطون في نوم متقطع"[9].

فحينما تكون الشاحنة الأولى قريبة من أرض إسرائيل يبدأ الفدائيون إطلاق الرصاص ببنادقهم، ويكون أسامة الكرمي معهم، فأخذ العمال يصرخون ويقفزون من الشاحنات، وبما أن قوات عسكرية إسرائيلية تكون موجودة في ذلك المكان، تحدث الاشتباكات بينهم وبين الفدائيين، فيصاب أسامة بالجروح الشديدة، "فتهاوى أسامة على الأرض مبقور البطن. واندلعت

[7] أبو هدروس، محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة (1967- 1993م)، رسالة ماجستير، (نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 1996م)، ص:59.
[8] السويطي، صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية "سحر خليفة أنموذجًا"، ص:32.
[9] خليفة، رواية "الصبار"، ص:192.

أمعاؤه فوق الأرض.مدّ يده يلمس التراب الممزوج بالدم والدموع. الأرض. الدم. الشعر. وأحلام الهوى"[10].

وحينما يلفظ أسامة أنفاسه الأخيرة يفكر بأمه ويريد أن يرسل سلامًا لها مع رفيقه الفدائي الذي قد أصيب أيضًا أثناء الاشتباكات نفسها، فيقول أسامة له: "سلم على أمي يا زهدي... أنت يا أمي يا ملاك. وأنا سبع السباع يمه. قولي مات شهيدا.قولي فدا القضية. فدا الأرض معبوده. الطابون. عبير الزبل المحروق. شبابة. مناديل. أعراس. عروس. نوار. صالح. أعراس. لم تولد بعد"[11].

هذه هي من نماذج الصورة الإيجابية للرجل في روايات سحر خليفة على الرغم من أن نظرتها هي سلبية تجاه الرجل في معظم كتاباتها ورواياتها.

صورة الرجل السلبية:

إن الروائية هي من أبرز الكاتبات اللاتي وجهن انتقادات لاذعة للمجتمع الذكوري الذي تعاني المرأة فيه من كبت الحرية وقمعه، وأنواع من الظلم القهر على أيدي الرجل، فمعظم رواياتها تتمحور حول القضيتين الأساسيتين: تحرير المرأة من سيطرة الرجل، وقضية الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، فلذلك نرى صدى القضيتين جنبًا إلى جنب في رواياتها، ونتيجة لذلك قلما رسمت الكاتبة الصورة المرضية والحسنة للرجل، فحاولت الكاتبة تشويه صورة الرجل وقدمت الصورة السلبية له أكثر من الإيجابية له، منها ما يلي:

صورة العميل:

[10] المصدر السابق، ص:196.
[11] المصدر السابق، ص:158.

إن قضية العملاء والمساندين للاحتلال والمتعاونين معه تُعتبر أهم قضية نسمع صداها في الرواية الفلسطينية كثيرًا جدًا، و"هي قضية لم تنشأ لوجود المحتل الذي يسعى إلى الكشف عنها، والتعامل معها فحسب وإنما بحكم البنية الاجتماعية والسياسية التي تعيش فيها الدول العربية وفلسطين المحتلة جزء منها"[12]، "فأينما وجد الاحتلال يوجد له عملاء، يسقطون في شباكه لسبب أو لآخر، وتظل هذه قضية إنسانية لا بد من النظر إليها بأبعاد مختلفة"[13].

ولكن لم تبحث الكاتبة سحر خليفة عن الأسباب التي يدفع أي شخص إلى سقوطه في هاوية العمالة، بل "اكتفت بالحديث عن شريحة صغيرة من العملاء لا تمثل الكم الموجود، ولهذا ترى الدارسة أن الحديث عن العملاء اقتصر على روايتين من رواياتها، مع العلم أن الموضوع يحتاج إلى روايات للحديث عنه، ففي روايتها (باب الساحة) تسلط سحر الضوء على عاصم المربوط، الرجل الذي أسقط نزهة وتمت إدانتها أما هو فقد بقي حرا طليقا"[14]، وإن الكاتب حسين المناصرة قد استخدم تعبير الرجل المومس للرجل يسهم في إسقاط النساء أو يجرهن إليه.

فمن نماذج الصورة السلبية للرجل في رواية سحر خليفة، شخصية عاصم الذي أحب نزهة فأرسل خطبة الزواج إليها، لكي ينفّذ مخططاته بيسر وسهولة، وعاصم المربوط هو الذي أوقع بنزهة، ولكن لم يتعرض لاتهام من أحد أو لعقاب، و"عاصم المربوط بإيش طلع ؟ وهاي هو ماشي عرضين وطول.

---

[12] عبد الغني، مصطفى، نقد الذات في الرواية الفلسطينية،(القاهرة، سينا للنشر، 1994م)، ص:154.
[13] أبو هدروس، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967-1993م، رسالة ماجستير، ص:73.
[14] السويطي، صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية "سحر خليفة أنموذجًا"، ص:50.

صدق اللي قال: أمرين مرين ما حدا دريان فيهم: موت الفقير وتعريص الغني"سملخ.

وحينما يتم اكتشاف أمر نزهة وأمها اللتَين عانتا من المساءلة، ثم تُقتل أمها بمرآها، لم يتهم أحد عاصماً به، بل أعتبره الناس بطلاً، على الرغم من أنه يلعب بنزهة وجعلها لعبة بأيديه، ويستخدمها لقضاء رغباته الجنسية فحسب، فقد رسمت الكاتبة شخصية عاصم المربوط بشكل سلبي، وصوّرته شيطاناً "استطاع أن يؤثر على نزهة، ويسيرها حسب رغباته، لم تفعل شيئاً إلا؛ لأنها تحبه لم تأبه بالوطن، لقد سيطر عليها وجعلها ألعوبة بيديه، تنفذ أوامره دون تردد"16.

والجدير بالذكر أن الكاتبة لم تذكر في هذه الرواية نهاية شخصية عاصم ماذا كانت؟ فهل تمت محاكمته ونال عقاب أعماله السيئة أم بقي يصيد فتيات جديدة بشبكة حبه ويلعب بها في كل مرة، فلذلك يرى الباحث أن الكاتبة بأحداث شخصية عاصم وأنشطته السلبية، إنما تؤيد مبدأ "الغاية تبرّر الوسيلة"، يعني أن كل الأفعال والأعمال السلبية التي قام بها عاسم هي لم تكن إلا في سبيل خدمة القضية الفلسطينية والانتفاضة، وإلا سكوت الكاتبة وامتناعها عن ذكر نهاية شخصية عاصم وبيان حقيقته يبعد كل البعد عن الفهم، وأيضاً لماذا تركت الكاتبة باب نهاية الرواية مفتوحاً؟ فيُفهم من ذلك أن الكاتبة قد صورت واقعاً حقيقياً يحدث في المجتمع الفلسطيني الذي يعيش في ظل الاحتلال، حيث يعمل فيه رجل فلسطيني عميلاً حتى لعدوه.

---

15 خليفة، رواية "باب الساحة"، ص:74.

16 السويطي، صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية "سحر خليفة أنموذجاً"، ص:51.

هذا هو نموذج من نماذج صورة الرجل السلبية في روايات سحر خليفة، وهناك نماذج أخرى لها، منها صورة الرجل الشهواني الذي يبحث دائماً عن اللذة الجنسية وقضاء الشهوة غير آبه بالنتائج والعواقب، وكذلك صورة الرجل الانتهازي، وما إلى ذلك من الصور السلبية الأخرى للرجل.

ملخص المقال:

بعد ما قام به الباحث من الدراسة المتأنية لبعض روايات سحر خليفة، يصل إلى أن الكاتبة قد صورت المجتمع الفلسطيني صوراً واقعية تتمثل بتحولات القضية الفلسطينية الشهيرة وانعكاساتها على الشعب الفلسطيني بالعموم والرجل بالخصوص.

وأما عن صورة الرجل في رواياتها فيلاحظ الباحث أن الكاتبة قد صوّرت الرجل الصورتين: إيجابية، منها صورة الرجل المناضل والرجل الشهيد والرجل المثقف وما إلى ذلك. وسلبية منها صورة الرجل العميل والرجل الشهواني وما إلى ذلك. ويلاحظ الباحث أن الأخيرة هي غالبة في روايات خليفة، حيث تقدم الرجل لا يهمه إلا العشق والحب والزنا وممارسة الجنس بأي طريقة كانت، فيدخل الرجل بيوت النساء سراً خوفاً من اكتشاف أمره، فالرجل هو حر طليق في المجتمع يفعل ما يشاء، في حين لا يسمح لأخته بإقامة علاقات مع أي شخص.

المصادر والمراجع:

1. أبو هدروس، محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة (1967- 1993م)، رسالة ماجستير، (نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 1996م).
2. خليفة، سحر، الميراث، 2007م.

3. خليفة، سحر، رواية: الصبار، (بيروت، منشورات جاليليو، مطبعة الشرق التعاونية، 1976م).
4. خليفة، سحر، رواية: باب الساحة، ط1، (بيروت، دار الآداب، 1990م).
5. خليفة، سحر، صورة وأيقونة وعهد قديم، 2002م.
6. خليفة، سحر، عباد الشمس، 1980م.
7. خليفة، سحر، لم نعود جواري لكم، 1974م.
8. خليفة، سحر، مذكرات امرأة غير واقعية، 1986م.
9. السعداوي، نوال، الأنثى هي الأصل، (بغداد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، من منشورات وتوزيع المكتبة العالمية).
10. السويطي، ماجدولين ماجد عبد الهادي، صورة الرجل في الرواية النسوية الفلسطينية "سحر خليفة أنموذجًا"، (رسالة الماجستير 2012م)، جامعة الخليل، فلسطين.
11. الصمادي، صورة المرأة في روايات سحر خليفة.
12. طه، وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، ط1، (القاهرة، مركز كتب الشرق الأوسط، 1973م).
13. عبد الغني، مصطفى، نقد الذات في الرواية الفلسطينية،(القاهرة، سينا للنشر، 1994م).
14. عبيدات، أروى، صورة المرأة في الرواية الأردنية، ط1، (عَمّان، وزارة الثقافة، 1995م).
15. يارد، إيفلين، نجيب محفوظ والقصة القصيرة، ط1، (عَمّان، دار الشروق).



القضية الفلسطينيّة في أعمالِ يُوسف السّباعي

عبد المتين *
imatinabdul@gmail.com □

ملخص البحث:

إنّ القضية الفلسطينيّة من تلك القضايا التي دائما ما شغلتنا، ونالت الكثير من العطف والأسى من مشاعر العرب والعالم الأجمع، لكن لا يخرج الأمر عن كونه مشاعر عطف، فقد انشغل كلٌّ بقضيته الشخصية تاركًا القضية الفلسطينيّة في مهبِّ الريح. هذه الدراسة ستتمحور حول القضية الفلسطينيّة التي تنكشف في الأعمال الأدبية ليوسف السباعي. وسنكشف عن تلك المعالم الفلسطينيّة من خلال تحليل أعماله المعروفة؛ لأنّها مكثفة بالأفكار النضالية التي تتناسب مع فلسطين وأهلها الأبرياء. وتُعد أعماله الأدبية التي كتبت في سبيل التعريف بالقضية الفلسطينيّة، في مواجهة الظلم الصهيوني، الطمس الهُوياتي الذي يُمارَس في حقِّ الفلسطينيين.

لقد سعى الكاتب لأنْ تكون أعماله فلسطينيّة مُدافعة عن الهُويّة الفلسطينيّة، أكثر من تعريفها بالقضية والدفاع عن حقوق الفلسطينيين في أرضهم وتاريخ أجدادهم، تصور الأعمال الإنسانيّة وتنطلق من الأرض لتكشف رحلة الإنسان الفلسطيني بين الشعوب العربية والعالمية، فشخصية البطل في أعماله هي شخصية كل الفلسطينيين، ومعاناتها هي معاناة شعب بأكمله وجد نفسه خارج حدود التاريخ والهُويّة والأرض، لقد وجد نفسه الكائن المُجرَّد من كلِّ ما يملك وعليه أن يصارع القدر من أجل العيش والبقاء على رقعة صغيرة من أرضه التي حُرِمَ منها. وأرجو أن تكون هذه الدراسة المتواضعة مُقنِعة للجمهور

---

* باحث في الدكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة العالية، كولكاتا، الهند.

بأنَّ يوسف السباعي أديب كبير التزم بمحبته ومسؤوليته بقضيۃ فلسطين، خلافًا لما يبرزه موته المأساوي.

الكلمات المفتتاحية: يوسف السباعي، القضيۃ الفلسطينيّۃ، الأعمال الأدبيّۃ.

التمهيد:

كما نعلم أنّ الروائي الكبير يوسف السباعي قد دافع عن القضايا الوطنيّۃ المتنوعۃ، وعلى رأسها القضيۃ الفلسطينيّۃ حتّى يُلاحظ أنّ معظم أدبه أدب قضيۃ أكثر منه أدب إبداع. وأعلن عدد من نقاد أعماله، أنّ يوسف السباعي "هو الوطني المشارك في ثورة الضُّباط الأحرار وقبل ذلك في حرب فلسطين، كان غالبًا ما يقمع موهبته الإبداعيّۃ على مذبح رغبته في التعبير – في أدبه – عن القضايا الوطنيۃ الساخنۃ"[1]. سلك يوسف السباعي مذهب رموز ومعالم متعددة بين آونۃ وأخرى ليتناول قضيۃ فلسطين والقضايا الأخرى المحوريّۃ. الجدير بالذكر أنّ (شجرة الليمون) مثل من أهم الرموز التي تُسلِّط الضوء على الروايات الفلسطينيّۃ؛لأنّ لها دورًا كبيرًا في قضيۃ فلسطين، و يُكرِّر كاتبنا يوسف السباعي كلمۃ (شجرة الليمون) عدّة مرّات، كما يأتي بها في موقف من مواقف روايۃ (ابتسامۃ على شفتيه): **"انتهى الصديقان من تناول الطعام ... وجلسا في استرخاء تحت شجرة الليمون"**[2] يُثير انفعالات وطنيّۃ قوميّۃ في قلوب الجمهور والقُرّاء ومن خلالها[3].

نبذة عن حياته:

[1] إبراهيم العريس، "السقا مات" ليوسف السباعي، الحوار المدهش بين الحياة والموت، الحياة، الأربعاء، 1 نوفمبر، 2017م.

[2] يوسف السباعي، ابتسامۃ على شفتيه، ص 73.

[3] محمد رياض. ك، الانعكاسات الفلسطينيۃ في روايۃ يوسف السباعي، مجلۃ كاليكوت، المجلد التاسع، العدد الثاني، مايو 2019م.

ولد يوسف السباعي في القاهرة عاصمة مصر عام 1917م، وتوفي والده وهو في الرابعة عشر من عمره فأصابه حزنٌ شديد.

بدأ حياته الأدبيّة في عام 1934م ونشَرَ قصته الأولى بعنوان (فوق الأنواء) في (مجلة مدرسة شبرا الثانوية) وهو في السابعة عشر من عمره، ونُشِر قصته الثانية عام 1935م بعنوان (تبت يدا أبي لهب وتب) في المجلة التي كان يصدرها أحمد الصاوي باسم (مجلتي). وكتب كثيراً من الكتب في موضوعات شتّى من أهمها:

- طريق العودة وهو من أهم مؤلفاته وقد نُشِرَ في عام 1956م.
- ابتسامة على شفتيه، و هي من أهم رواياته وقد عكسَ المُؤلِّف في هذه الرواية قضية فلسطين، بشكل جيِّد، وطُبِعَتِ الرواية في عام 1971م.
- العمر لحظة، نُشِرَتْ هذه الرواية في عام 1973م.
- نحن لا نزرع الشوك، طبعت في عام 1969م.
- خبايا الصدور، نُشِرَتْ عام 1948م.

وقد كتبَ يُوسف السّباعي (22) مجموعة قصصيّة و (16) رواية أدبيّة شهيرة. وقد أصبح وزير الثقافة عام 1973م، وبقي في هذا المنصب إلى أنْ اغتيل في قبرص في عام 1978م ؛بسبب دعمه لمبادرة الرئيس السادات لتحقيق السلام مع إسرائيل بعد زيارته القدس عام 1977م، وفي السَّنة نفسها أصبح أيضًا رئيس مؤسسة الأهرام ورئيس نقابة الصحفيين المصريّة.

وكان كاتبًا فريدًا وسياسيًّا متطورًا وعلى قدر عالٍ من الذكاء، ومن أجل ذلك، إنّه حاز جائزة الدولة في الفنون سنة 1973م إضافة إلى عدد كبير

من الميداليات. وعمل كرئيس تحرير في بعض المجلات المصريّة من أهمها: (الرسالة الجديدة) و (آخر ساعة) و(المسار) و(الأهرام).

رواية (ابتسامة على شفتيه):

تناول الكاتب الشهير يوسف السباعي في هذه الرواية قضية فلسطين بأسلوب جميل؛ ليُذكّرنا بمعركة الكرامة التي دارت بين القوات الفدائية والصهيونية في الأردن عام 1967م من خلال حبكتها[4]. بالرغم من موتِ بطل الرواية، إلا أنّ ابتسامته على شفتيه ونضاله في سبيل الوطن تُثير التفاؤل والثقة وضمائر الجمهور. والمجموع يحيا من خلال موت أفراده.

ونلحظُ أنّ هذه الرواية حافلة بالأفكار التي تعكس قضية الأمة ومظاهرها والتي تظهر في حركات الحبكة الروائية من الحوار والنقاش والقص فينة بعد فينة كما فوجئنا بالتهابها في الحوار الذي كان يجري بين شخوص الرواية والذي يُركّز على ابتسامة (عمّار) وعدمها وذلك الحوار هو:

"وصاح خالد معترضًا:- مي لا تضحك يا أبي، لقد رسمت اليوم في المدرسة صورة لأخي عمّار وهو يرتدي ثياب جندي وممسك بندوقية.

وقالت مي معقبة:- لم تكن صورة عمار. لقد كنت أحاول أن أرسم صورة لمقاتل فلسطيني كنموذج يرسمه الأولاد في الفصل. وفجأة سمعت خالد يهتف من وسطهم بأعلى صوته ويقول لي "هذا أخي عمّار يا أبلة مي". ولم أكن أدرك أنّ ملامح المقاتل تشبه عمارًا حتى صاح بي خالد. وعندما عدتُ

[4] محمد رياض. ك، الانعكاسات الفلسطينية في رواية يوسف السباعي، مجلة كاليكوت، المجلد التاسع، العدد الثاني، مايو 2019م.

أتأملها وجدت بها بعض الشبه فعلًا من عمّار"[5] وهذا ما نسمع في الحوار بين مي وعمّار عن صباح يوم في طفولته – استيقظ على انفجار مروع "اليهود يهاجمون البلدة".

ولكن عمّار لا يبتسم كأن المأساة الفلسطينيّة تهمّه أكثر ممّا يمكنه الابتسامة. وهو لا يستعد أن يقف أمام مي فتعلن أنّها ترسمه من ذاكرتها. وبينما تتمحور الرواية حول قضية فلسطين، تتطور معها، قضية الحب من شخصية الرواية (مي) تجاه (عمّار). وفي معظم الوقت من تطور الرواية يبدو هذا الحب سرًّا أو من جانب واحد – ذلك من مي. وعندما يتضح في صفحات الرواية نرى الكاتب يُصوِّر بهذه الذكرى التجارب المؤلمة والمؤسفة للغاية لأهل فلسطين من قبل الجنود الإسرائيليين. ها هو ذا تتعرض خالة عمّار الحامل لهمجيّة وحشيّة إسرائيليّة: **"وصرخت أم مي واندفعت إلى الرجل غاضبة تحاول أن تمسك بخناقه. وببساطة تلقاها الرجل بطرف السكوني مصوبا إلى بطنها المنتفخ وبكل ما يملك من قوة دفعه إلى داخل بطنها وهو يقول في استخفاف: "لا داعي للمزيد من نسلكم. لستُ أدري لماذا تتكاثرون بمثل هذه السرعة. وبقر السكوني بطن المرأة الحامل وسقطت المرأة تتلوى وقد خرج كل ما في باطنها"**[6].

وقد تناول الناقد الكبير علاء وحيد في مقالته (المأساة الفلسطينيّة بين طريق العودة وابتسامة على شفتيه) منهج يوسف السباعي في معالجة قضية فلسطين، بشكل ملحوظ. ويتابع علاء وحيد من خلال دراسة هاتين الروايتين تطوّر رواية يوسف السباعي من رواية إلى أخرى. كانت المعركة بين اليهود

[5] يوسف السباعي، ابتسامة على شفتيه، ص 17.
[6] يوسف السباعي: ابتسامة على شفتيه، ص 26.

بشمول اللفظة في الرواية الأولى، وهي معركة استعادة حق أو عاطفة أو ثار، في حين أصبحت المعركة في الرواية الأخيرة معركة الحضارة العربية والمصير العربي كلّه. وهذه الرؤية السامية تجمع شخوصها سواء في الحياة المدنية أو الحياة المقاومة[7]. أمّا الحال الذي يُقدّمه يوسف السباعي لقضية فلسطين في الرواية الأخيرة فهو المساواة بين الجانبين وهذه الرواية تقوم بعملية توازن ضرورية لحياة الكفاح الخشنة التي يعيشها المجتمع الفدائي. وأهدى الأديب السباعي هذه الرواية إلى الشهيد الذي ضحَّى بروحه من أجل بعث الروح الفلسطينيّة والذي جعل من جسده الطاهر معبراً للعودة.

وقد ينتقد الكاتب بعضًا من مواقف الناس على شاكلة السخرية الممتزجة بالغضب والغيظ ومن الطبيعي أن يطمئن الناس إلى تسمية الأماكن التي شهدت مذبحة بأسماء مختلفة كأنهم بمجرد تسميتها أدّوا مسؤليتهم تجاه الشهداء الذين ضحّوا بأرواحهم لصالح الوطن. وهنا تلتهب عاطفة الكاتب وغضبه فيما يعبر في السطور التالية: "**ولكنّه عاد يسمع صوت القهقهة ... قهقهة الجمع ... الذين يشاهدون المسرحية الهازلة**" ويردُّ الكاتب قائلًا في الصفحة التالية خلال حديثه عن عمَّار: "**سمّاها الناس بعد ذلك: مذبحة دير ياسين قريتهم الهادئة الطيِّبة، ووصفوا فظائعها. ولكن أحدا لم يراها كما رآها هو. لم ير طرف السكوني يغرس في بطن خالته كما تغرس السكين في البطيخ ويخرج منها الجنين كقلب البطيخة**"[8] وتوجد في الرواية نداءات إلى ميدان المقاومة والمقاومة هي الوسيلة الوحيدة للخلاص من فخ الظلم والاضطهاد، يُدرك المواطن الفلسطيني أنّ ليس هناك نهاية لهذا الوضع

---

[7] محمد رياض. ك، الانعكاسات الفلسطينية في رواية يوسف السباعي، مجلة كاليكوت، المجلد التاسع، العدد الثاني، مايو 2019م.

[8] يوسف السباعي: ابتسامة على شفتيه، ص 26.

المأساوي إلا بالمقاومة. وقد وجدنا عددًا من الكُتّاب العرب، كانوا يدعون بأقلامهم المناضلين الفلسطينيين إلى المعركة ضد الجيش الصهيوني كما لاحظنا في روايات غسّان كنفاني مثل: (رجال في الشمس) و(عائد إلى حيفا) و(تبقى لكم) و(أم سعد) وغيرها من أعماله الروائية الرائعة. أمّا في رواية (ابتسامة على شفتيه) فنجدُ جملًا وكلمات تتضمن نفس النداءات إلى ميدان المقاومة ضد العدو اللدود الإسرائيلي. ونسمع يحيى يتحدث لصديقه عمّار وتلك الكلمات تُلقي الضوء على أهمية المقاومة والمناضلة في سبيل الوطن وتدعوه إلى النضال المباشر مع الأعداء. "..... **إنّ علينا نصنع المستقبل بأيدينا ... نحن شعب ضائع يا عمّار ... شعب مسروق ... منهوب... مظلوم ... شعب من اللاجئين" نتجول إلى شعب من المقاتلين ... هذه هي مهمتنا الأولى ... نمسك بالسلاح ... ونقاتل"**[بي].

جديرٌ بالذكر أنّ الأديب يوسف السباعي يُعالج قضية اللاجئين في رواياته التي تتناول قضية فلسطين قضية فرعيّة هامّة؛ لأنّها نتيجة مهمة للأولى. تخلف قضية فلسطين المأساوية في كل لحظة عددًا كبيرًا من اللاجئين بما فيهم الرجال والنساء والأطفال. وأيضًا تتجلى قضية فلسطين شدتها في تذكرة عمّار لأمه حيث تتحدث معه عن الزواج **"وشرد ذهن عمار برهة. زوجة وأولاد. ومزيد من المشردين واللاجئين والضائعين في الأرض. لماذا؟"**[لحلخ] فالزواج بالنسبة إلى عمّار في هذا الوضع المأساوي لوطنه مجرد خلق اللاجئين والمشردين والضائعين ليس غير. استطرد عمار يتمتم كأنّه يُحدِّث نفسه: "نحن شعب ضائع، مُمَزّق، مُشرَّد، شعب بلا وطن ولا أرض. إذا كُنّا لا

[بي] يوسف السباعي: ابتسامة على شفتيه، ص 37.
[لحلخ] يوسف السباعي: ابتسامة على شفتيه، ص 78.

نجد مكانًا على الأرض فهل سنجد لأولادنا مكانًا؟ ماذا يمكن أن نمنحهم؟ الضياع؟"[11].

رواية (طريق العودة):

إنّ قضية فلسطين من أهم القضايا في روايات يوسف السباعي، أمّا رواية طريق العودة التي نُشِرَتْ في عام 1956م فهي تعالج قضية فلسطين وتصورها ببساطة واقعيّة وصورة نضالية وإنّ العودة المنشودة كما نجد في العنوان (طريق العودة) تُوحِي بعودة العرب إلى هذه الديار المقدسة من حيث تتنبأ بها. و تُسلِّط السطور الأولى من هذه الرواية نفسها الضوء على هذه الفكرة "**في خريف عام 1948م، وقبل المعارك الحاسمة التي انتهت بها عمليات القتال الأولى في فلسطين**"[12]. وهذه الرواية المليئة بالأعمال النضالية والحروب الدامية تذكرنا بالرواية الأمريكية (وداعًا للسلاح) لأرنست هيمنغواي التي ترسم الحملة الإيطالية في الحرب العالميّة الأولى.

رواية (العمر لحظة):

تتشدقُ هذه الرواية بالحديث عن العمليات الفدائيّة بين الفينة والفينة. وهي تثيرُ في قلوب الفدائيين الشجاعة والجرأة والإخلاص والاتفاق في ميادينهم الحربيّة. يتكون العمر من اللحظة، يبدأ بلحظة ويترعرع بلحظة ثمّ ينتهي بلحظة فكل لحظة من اللحظات ذات قيمة عالية ومُهمّة جدًا. ها هي الفكرة المحوريّة لهذه الرواية الجميلة. ورواية (العمر لحظة) آخر ما كتب من مؤلفات السباعي الروائيّة. وهي تثري كثيراً شجاعة الفدائيين، فالفدائيون لا

[11] يوسف السباعي: ابتسامة على شفتيه، ص 81.
[12] محمد رياض. ك، الانعكاسات الفلسطينية في رواية يوسف السباعي، مجلة كاليكوت، المجلد التاسع، العدد الثاني، مايو 2019م.

يجدون الفرص حتّى للتفكر والتدبر في شأن الخوف من الموت؛ بل يواجهون الموت مباشرة[ترلخ]. والفدائيون في جبهة القتال **"الذين يموتون منا ... لا أظنهم احتاجوا إلى شجاعة وهو يواجهون الموت ... إنّ الموت هنا لا يمنحنا حتي فرصة الخوف منه، وسط الضجيج والدوي والغبار والدخان تفلت شظية أو رصاصة لتنفيذ في أحدنا. فيسقط ثم ينتهي"**[يبرلخ].

وإذا أنعمنا النَّظر من زاوية أخرى إلى العبارات المذكورة آنفاً نكتشف أنّ الروائي لا يشجع الأعمال الفدائية إلا في المناسبات الضرورية ويتحدث بإسهاب عن تغلب الموت وهو يتابع أحاسيس الخوف بل ليس على حياته بل الخوف على فشل عمليته الفدائية[يسملخ]. يحاول المُقدّم محمود وجنوده كل المحاولة على تأدية مهمته الفدائية. يأتي الخوف إليهم في صورة الموت، فإذا مات أحد منهم فيؤثر في عمليتهم فللحياة قيمة كبيرة في هذه اللحظات الحاسمة.

ومع ذلك، لا يهمل هنا العامل الروحي، فنرى في هذه اللحظات، المُقدّم محمود عبد الله يتلو الفاتحة وهذه لحظات تتصل فيها شعرة بين الحياة والموت وبين الانتصار والهزيمة. وعندما يستشهد (عبد العزيز) أحد شخصيات الرواية وعدد من زملائه خلال عمليتهم الفدائية نفهم أنّ للانتصار ثمنًا يجب أن يُدفع. وإلى جانب ذلك، لم يكن عبد العزيز يخاف الموت، لكنّه كان يريد ألا يموت حتّى يتزوج (سعدية) التي تحمل جنينها منه.

---

[13] محمد رياض. ك، الانعكاسات الفلسطينية في رواية يوسف السباعي، مجلة كاليكوت، المجلد التاسع، العدد الثاني، مايو 2019م.

[يرلخ] يوسف السباعي، العمر لحظة، ص 178.

[سملخ] محمد رياض. ك، الانعكاسات الفلسطينية في رواية يوسف السباعي، مجلة كاليكوت، المجلد التاسع، العدد الثاني، مايو 2019م.

ولا عجب في أنْ نرى الحوار والنقاش بين نعمت بطلة الرواية ومعشوقها المُقدّم محمود عن أسباب نكسة 1967م إلى أن سألت نعمت **"هل يمكن أن يحدث ما حدث ثانية"؟** والجواب الذي يُقدّمه يوسف السباعي على لسان محمود بهذا الصدد غزير الأفكار في قضية فلسطين. وهو المجيب **"لا ... لا أظن ... ليس هناك بالطبع من يستطيع أن يضمن نتيجة عمله مائة في المائة وكلّ عمل مُعرَّض للنجاح أو الفشل ولكن الفشل شيء والضياع شيء، والفشل يجب أن يكون داخلًا في الحسبان ... محسوب ضمن النتائج المتوقعة ومردود عليه بحسابات الخطة الأشمل ... وإذا لم نفعل فخيرًا لنا ألا نتحرك"**[16]، وفي هذه الكلمات القيمة يُعبّر الكاتب عن فلسفة النجاح والفشل في ميدان المعركة فلا بد أن نستعد قلبًا وقالبًا أن نستقبل النجاح أو الفشل في العمليات الفدائية. ونُجهز أنفسنا لئلا نعاني من الفشل بإعداد الخطة الشاملة. أمّا إذا كُنّا لا نحتمل نتيجة الفشل فالأفضل ألا نتحرك ولا نتقدم للمواجهة مع العدو.

وعن طريق تناول الميادين الفدائية، يلفت الكاتب يوسف السباعي انتباهنا إلى العمليات الفدائية التي لا تزال تجري في الأماكن المختلفة من فلسطين ويعرض لنا مشاكل المناضلين هناك ومشاعرهم. ويعلن الكاتب عبر هذا البيان الصريح أنّه يجب التكاتف والتعاون مع المقاتلين الكرام في فلسطين المحتلة[17]. وطريق السباعي الفريد يتضح بشكل جميل في تنبئه بطول المعارك الشعبيّة الفلسطينيّة فقد قال: **"يجب أن نحذر الضربة القاضية، يجب أن نحول المعركة إلى معركة نفس طويل، ولكن ليس إلى معركة صمت ... يثبت فيها أقدامه بارتياح وبغير قلق ... شعبنا يحتمل كل ما هو ما حتمي، لكنّه**

---

[16] يوسف السباعي، العمر لحظة، ص 245.

[17] محمد رياض. ك، الانعكاسات الفلسطينية في رواية يوسف السباعي، مجلة كاليكوت، المجلد التاسع، العدد الثاني، مايو 2019م.

يسخر من كل ما لا مبرر له، شعبنا يحتمل معركة طويلة"[18] وتتضمن فلسفة يوسف السباعي أفضليّة العمل على القول في ميدان المعركة فهو القائل على لسان البطلة نعمت **"لقد آن لنا أن نُركّز على ما يجب أن نفعل، فإن ما يفعل أهم مائة مرّة ممّا يُقَال".**

رواية "نحن لا نزرع الشوك":

إنّ هذه الرواية الطويلة لم يتمكن لها الانفلات من تناول قضية فلسطين في صفحاتها؛ لأنّ ذاكرة الكاتب كثيفة بأفكارها فحبكة الرواية تذكرنا حينًا وحينًا قضية الأمّ مثلما نقرأها في العبارات التالية:

"وفي اليوم التالي جلس جودة يقلب الأهرام قبل أن يبدأ ورود الزبائن للعبادة... وقلب الصفحات الأولى وتمتم في ضيق: أوقف القتال ... بعد أن وصل اليهود إلى العريش... لو تركنا أول مرة لوصلنا إلى تل أبيب...[19]**؟".**

الخاتمة:

وفي الاختتام يمكننا أن نقول إنّ الروائي المصري يوسف السباعي قد تناول في أعماله الأدبية لا سيّما في رواياته الرئيسة قضية فلسطين أكثر من أي كاتب عربي آخر. وكان تركيزه في الأعمال التي عالجت هذه القضية، على حقوق الشعب الفلسطيني. وقد التزم بالموقف نفسه في كلّ مقالاته التي كتبها بعد زيارته القدس في عام 1977م، ولا تخلُ أيّة مقالة من مجموعة مقالته في هذه المدّة من الدفاع عن الحق الذي اغتالوه غدرًا. وأنّه أيضًا يخوض في مناحي قضية فلسطين من زوايا مختلفة. يتناول من خلالها رؤى الساسة

[18] يوسف السباعي، العمر لحظة، ص 246.
[19] يوسف السباعي، نحن لانزرع الشوك، دار مصر للطباعة، ص 725.

المصريين مثل: الرئيس السابق جمال عبد الناصر وتارة يمزج بين معالجۃ قضيۃ فلسطين ومعالجۃ القضايا الأخرى من القضايا السياسيّۃ أو الاجتماعيۃ، وتارة يمزج قضيۃ فلسطين ومواقف القيادة السياسيّۃ المصريّۃ. ونجد أفضل مثال لهذا الأمر في روايۃ (العمر لحظۃ) ؛ إذ يشرح (محمود) سؤاله المهم الذي طرح إلى الجمهور فيقول: **"لقد كنّا نعدُّ لمعركۃ خلاص ... ولكن كما قال عبد الناصر... لأحد الوفود الفلسطينيۃ ... ليس لديَّ حل جاهز لاستعادة فلسطين ... ولكني أبني من أجل إعداد لمعركۃ الخلاص ... ولكن المعركۃ التي خضناها ... فرضت في وقت لم نعدّ له بأسلوب لم نرده"**[لحبر].

المصادر والمراجع:

1. علاء الدين الوحيد، يوسف السباعيين الأيام والليالي، الكتاب الذهبي، روز اليوسف، 1979م.
2. لمعي المطيعي: موسوعۃ هذا الرجل من مصر، دار الشرق، القاهرة، 2005م.
3. لوسي يعقوب، يوسف السباعي فارس الرومانسيۃ، الدار المصريۃ اللبنانيۃ، القاهرة، 2007م.
4. محمد رياض. ك، الانعكاسات الفلسطينيۃ في روايۃ يوسف السباعي، مجلۃ كاليكوت، المجلد التاسع، العدد الثاني، مايو 2019م.
5. الموقع الرسمي لجريدة الأهرام.
6. نبيل راغب، فن الروايۃ عند يوسف السباعي، مكتبۃ الخانجي، القاهرة، 1980م.
7. يوسف السباعي في ذكراه الأولى: مجموعۃ من الكتاب.
8. يوسف السباعي، العمر لحظۃ، مكتبۃ مصر، القاهرة. 1969م.

[20] يوسف السباعي، العمر لحظة، ص 243.

9. يوسف السباعي، طريق العودة، مكتبة مصر، القاهرة.
10. يوسف الشاروني، دراسات في الرواية والقصة القصرة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1987م.

....................❖❖❖❖❖ ....



المجلد – 2 العدد -1

انعكاس المرأة في ثلاثية "أطياف الأزقة المهجورة" لتركي الحمد

إرشاد مرزا*

ersadmirja4@gmail.com

ملخص البحث:

إن ثلاثية "أطياف الأزقة المهجورة" لتركي الحمد تتكون من ثلاث روايات مستقلة، وهي على التوالي: العدامة، والشميسي، والكراديب، المحددة في الحقبة ما بين أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن الماضي في السعودية. وهذه الثلاثية مرآة صافية نرى من خلالها المجتمع السعودي بكل جهاته، ومع ذكر القضايا والمشاكل المختلفة والتحديدات الشتى التي يعيش المجتمع فيها. ولكن المسألة المهمة التي عالجتها الثلاثية هي التابوهات ممنوعة التحدث عنها في السعودية، وهي السياسة والدين والجنس. ومن جانب كل هذه المشكلات والمسائل ركزت الثلاثية بدقة ووضوح على تصوير أحوال المرأة السعودية. وتهدف هذه الورقة البحثية إلى أن تسلط الضوء على صورة المرأة كما عكستها الثلاثية.

الكلمات المفتاحية: تركي الحمد، العدامة، والشميسي، والكراديب، أطياف الأزقة المهجورة، قضية المرأة.

المقدمة:

كتب المفكر والأديب الليبرالي والروائي السعودي الشهير تركي الحمد عدة روايات تحمل في طيها كثيرا من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية وما إلى ذلك، ومن رواياته أيضا ثلاثية "أطياف الأزقة المهجورة"، وهي مشهورة جدا، واتسع بها صيته في العالم العربي كروائي باهر.

---

* باحث بقسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة العالية، كولكاتا، الهند.

وقد عالج الكاتب في هذه الثلاثية من الأحداث التي تدور فيما بين الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي في السعودية. وفي الحقيقة، هذه الثلاثية تعتبر مرجعا من المراجع في معرفة أحوال الشعب السعودي في تلك الأيام. وألقى الكاتب أيضا الضوء على الأوضاع العائلية التي تعيشها المرآة السعودية، وكذلك عالج سلوك الرجال مع النساء وسلطة الأهل عليها آنذاك، مع ذكر القضايا والمسائل التي قد تحدث في ذلك المجتمع الذكوري.

تحتوي هذه الورقة البحثية على قضايا المرأة السعودية في تلك الأيام مع ذكر جوانبها المختلفة كما عالجها الكاتب من خلال ثلاثيته "أطياف الأزقة المهجورة".

وقبل أن أدخل في صلب الموضوع، أرى من المناسب أن أقدم بعض الجوانب المهمة من حياة الكاتب الشهير بالإيجاز، وذلك لإفادة القارئ عن ترجمته ومساهمته الأدبية.

نبذة عن المؤلف:

الدكتور تركي الحمد هو المفكر والمحلل السياسي والصحفي والأكاديمي والروائي السعودي، وأحد رموز ما يصطلح على تسميته بالتيار الليبرالي في المملكة العربية السعودية. واشتهر بثلاثيته "أطياف الأزقة المهجورة" التي نشرت لأول مرة عام 1997م. وهو يحمل الآن الجنسيتين-السعودية والأمريكية.[لخ]

ولد الدكتور الحمد في العاشر من مارس من العام 1952م، في "مزار الكرك" بالأردن لأسرة قصيمية سعودية. وأبوه حمد كان يعمل في شركة

[لخ]. البرغوثي، سمير، تركي الحمد سقط، صحيفة الوطن، 3 أكتوبر 2018.

الزيت العربية الأمريكية- أرامكو البترولية[2]. وانتقلت عائلته عندما كان طفلا إلى الدمام، في المحافظة الشرقية بالسعودية.

وقد عاش تركي الحمد مرحلة شبابه ومراهقته في الستينات والسبعينات الميلادية بالدمام. وهي المرحلة التي عاش فيها العالم العربي تحولات فكرية وسياسية متضاربة وأحزاب قومية متناقضة من القومية والناصرية والبعثية إلى الاشتراكية والشيوعية وغيرها من الأحزاب طوال القرن الماضي في العالم العربي[3]، التي تسيد فيها القوميون الحياة السياسية والاجتماعية: عبد الناصر في مصر، والبعثيون في سوريا والعراق، وحالة حراك واسعة تؤيد الفكرة بكل الأقطار العربية.

كان له اهتمامات كبيرة، منذ حياته المدرسية في الدمام، في قراءات الكتب الفكرية المختلفة مثل البعثية والقومية والناصرية والشيوعية وغير ذلك، التي أدت به في النهاية إلى الانضمام لحزب البعث العربي الاشتراكي وهو في الثانوية العامة. وعلى الرغم من حداثة عمره إلا أنه تدرب على كل تكتيكات العمل السري. وبعد اكمال الدراسة الثانوية في عام 1971م، أنتقل إلى الرياض للالتحاق بجامعة الرياض (جامعة الملك سعود حاليا[4]). وأُلقي القبض عليه وهو في السنة الأولى الجامعية، وذلك بعد كشف التنظيم الذي انضم به خلال الدراسة الثانوية في الدمام، وبقي في السجن السياسي[5] ما يقرب من سنتين، وهي مرحلة تركت على ملامحه الفكرية والنفسية تغيرات لن تمحى. وعلى أي حال، أنه قضى أربعة أعوام من أجمل حياته في هذه الجامعة،

---

[2]. المصدر نفسه.

[3]. https://bit.ly/3xPMQen.

[4]. الحمد، تركي، جامعتي التي كانت..وإلى أين كنت...، مجلة الفيصل، 3 مارس 2019.

[5]. فريق التحرير، تركي الحمد..مثقف بدرجة ذبابة في خدمة أجندات السلطة، ن بوست، 15 نوفمبر 2020م.

وتخرج بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى في الاقتصاد والعلوم السياسية عام 1975م.

وسافر الدكتور الحمد بعد سنة إلى الولايات المتحدة للحصول على الماجستير والدكتوراه. فأكمل دراسة الماجستير في العلوم السياسية في جامعة كولورادو عام 1979م، ثم انتقل إلى كاليفورنيا وحصل على درجة ماجستير ثانية لاستكمال متطلبات الدكتوراه متوجها رحلته الأكاديمية[6] بنيله لدرجة الدكتوراه في النظرية السياسية من جامعة جنوب كاليفورنيا عام 1985م. وتخرج منها متخصصا في النظرية الصهيونية.

وقضى تركي الحمد في أمريكا أكثر من تسع سنوات[7]، وهذه المرحلة أثرته فكريا وثقافيا بشكل لا يقارن بما اكتسبه خلال عمره كله، والأهم من كل ذلك، تحرر الحمد من أسر الأيديولوجيا إلى حد بعيد.

وبعد رجوعه من أمريكا عُيّن أستاذاً في قسم العلوم السياسية في جامعة الملك سعود في عام 1985م، وظل مدرّساً لمدة عشر سنوات[8]، من 1985م إلى 1995م، ثم تفرغ للتأليف والكتابة بعد طلبة للتقاعد المبكر عام 1995م، في كل صحف السلطة المقربة من الأسرة الحاكمة.[9] وسألت مجلة "الفيصل" في مقابلتها تركي الحمد عن سبب طلبه للتقاعد المبكر من الجامعة وتفرغه من الكتابة، فقال: "لأني شعرت أنا أستطيع أن أنتج فكرياً خارج

---

6. https://bit.ly/3ruLbKj.
7. المصدر نفسه.
8. السيرة الذاتية لتركي الحمد وأهم انجازاته، مجلة رجيم، 17 نوفمبر 2020.
9. فريق التحرير، تركي الحمد..مثقف بدرجة ذبابة في خدمة أجندات السلطة، ن بوست، 15 نوفمبر 2020م.

الجامعة أكثر مما لو بقيت داخل الجامعة، والجامعات العربية بشكل عام تحولت إلى نوع من القيد على الفكر..."[لحلخ] .

وقد بدأت مسيرته ككاتب في "جريدة الرياض"، ثم انتقل إلى جريدة "الشرق الأوسط"، والآن هو يكتب في "صحيفة الوطن". وله مؤلفات كثيرة فكرية وسياسية وروائية، فألف ست روايات. وقبل الروايات سبق له تأليف عدة كتب مثل: "الحركات الثورية المقارنة"، و"دراسات أيديولوجية في الحالة العربية"، و"كتاب الثقافة العربية أمام تحديات التغيير"، و"عن الإنسان أتحدث". ثم جاءت ثلاثيته "أطياف الأزقة المهجورة"، وبعد ذلك صدر له كتابان، "الثقافة العربية في عصر العولمة"، و "السياسة بين الحلال والحرام"، ثم عاد إلى الكتابة الروائية، فصدر روايتين هما "شرق الوادي" و"جروح الذاكرة". ثم أصدر عملين غير روائيين، "ويبقى التاريخ مفتوحا"، و"من هنا يبدأ التغيي"ر. وأما آخر أعمال الكاتب هو روايته "ريح الجنة".

ثلاثيته:

الدكتور تركي الحمد من أشهر الروائيين السعوديين، وله عديد من المؤلفات الشهيرة في الفكر والسياسة والثقافة بجانب رواياته الست. ولكن ثلاثيته الموسومة بـ"أطياف الأزقة المهجورة" أشهر وأفضل ما كتبها الحمد بعدُ، واتسعت شهرته بهذه الثلاثية حقا في العالم العربي وخارجه كروائي بارع وباهر. والثلاثية تتكون من ثلاث روايات مستقلة، وهي: العدامة، والشميسي، والكراديب، التي قامت بالنشر من دار الساقي ببيروت، سنة 1997م، 1998م و 1998م على التوالي. وتحكي الثلاثية تفاصيل حياة شاب اسمه هشام بن إبراهيم العابر الذي عاش في الدمام (العدامة)، ثم انتقل إلى الرياض

10 . الخراشي، سليمان بن صالح، تركي الحمد في ميزان أهل السنة والجماعة.

(الشميسي) للحصول على الدراسة الجامعية هناك، وينتهي به المطاف إلى السجن في جدة (الكراديب) بسبب دخوله في تنظيمات سياسية معارضة.

فالجزء الأول من الثلاثية هو "العدامة"، وهو حي مشهور في مدينة الدمام. ويسرد فيها الكاتب أحداث حياة هشام العابر أثناء فترة شبابه ومعايشته لأجواء الحياة الاجتماعية والسياسية في الدمام والرياض في نهاية الستينات إلى منتصف السبعينات. وهذه الرواية أيضا غنية بتفاصيل الحياة البسيطة للسعوديين في ذلك الوقت.

والجزء الثاني من هذه السلسلة هو "الشميسي"، وهو حي مشهور في الرياض. في هذا الجزء، بطل القصة هشام العابر ينتقل من الدمام إلى الرياض لمواصلة دراسته الجامعية هروبا من شقاوة جعلته تحت شبهة سياسية. وفي الرياض يعيش حياة أخرى، حاول في البداية أن يستثمر فرصة دراسته الجامعية ليطوي صفحة الماضي، ولكن سرعان ما انحرف لأخطاء ما كان يتصور أن يقترفها في يوم من الأيام. كان طيش الشباب وغروره سببا لارتكاب الكثير من المحرمات والخطايا، على الرغم من وجوده في بيئة تقليدية ومحافظة امتازت بها السعودية خلال سبعينات القرن الماضي. ويقدم الكاتب لمحة عن ظروف الحياة السياسية والاجتماعية في السعودية خلال ذلك الوقت ومحاولة الشباب المتخبطين لاعتناق فكرة تخالف السائد في مجتمعهم.

والجزء الثالث من سلسلة "أطياف الأزقة المهجورة" هو "الكراديب"، ويقصد بها السجون. في هذا الجزء الثالث، بطل القصة هشام العابر ينتقل من الرياض، حيث كان يدرس في الجامعة، إلى جدة كمعتقل سياسي في سجن الكراديب. ويمر بظروف عصيبة بين حرمانه من الحرية ورعبه في جلسات التحقيق وانفصاله التام عما يجري خارج السجن من تغيرات اجتماعية واقتصادية، وأهمها الأحداث المتسارعة التي مرت بها دول عربية آنذاك كالنكسة في زمن جمال عبد الناصر، وحروب السادات في السويس بعد ذلك.

وكذلك كان مغيبا عن أحداث أخرى مرت به بلده السعودية. والرواية تحفل بكثير من الحوارات الفلسفية والدينية والتاريخية بين بطل القصة ورفاق السجن من ذوي التوجهات السياسية المختلفة نحو البعثيين والشيوعيين والإخوان والقوميين.

القضايا المتعددة في الثلاثية:

لا شك في أن كل مجتمع صغيرا كان أو كبيرا يعاني مشاكل عديدة تؤثر فيه وتحيط به من كل جانب أو فيه أوضاع يعدها الجمهور كمشكلة ويجدها ضد القيم العامة المقبولة من قبل المجتمع ويعترف بأنها مصدر قلق صحيح.

هكذا عكست الثلاثية صورة أحوال المملكة العربية السعودية من جهات شتى مثل الإشكالية الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والدينية، والعلاقة الجنسية بين الشعب. وبجانب كل هذه الجهات والقضايا انعكست الثلاثية على أحوال المرأة السعودية بشكل خاص.

فنجد أن الثلاثية تتناول عديدا من المشاكل والمسائل والقضايا التي يعانيها المجتمع السعودي على وجه الخصوص، والعالم العربي بصفة عامة، مثلا تحدث فيها عن المفارقات الاجتماعية الموجودة في المجتمع، والعادات والتقاليد الشتى المنتشرة فيه مثل الضيافة والطعام الذي يتناول الشعب العربي في مناسبات شتى، واللباس الذي يرتديه الرجال والنساء، والبيئات المختلفة التي يعيش فيها المجتمع السعودي، وسلوك الناس الذي يتنوع باختلاف المكان. وكذلك القضايا مثل الطبقات الاجتماعية وانتشار تعاطي المسكرات في أوساط جيل الشباب. وهكذا عكست الثلاثية قضايا أخرى مثل التحولات السياسية والقمع السياسي كالخوف من السلطة السياسية، ونشأة التنظيمات السياسية السرية في ستينيات القرن الماضي، وتوجهات مختلفة نشأت في الخفاء، بعيدا عن عيون السلطة السياسية. والثلاثية مفعمة أيضا بمناقشة المضمون الديني

والإنساني، مثل الاختلاف بين الشعب في فهم الدين ووصوله، والطائفية المذهبية، والمعاناة الإنسانية في السجن الكراديب والمتناقضات العديدة التي تحملها الشخصيات في أعماقها، وما إلى ذلك. ولكن القضية الأخرى ذات الأهمية الكبيرة التي ركزت عليها الثلاثية هي البيئة التي عاشتها المرأة السعودية في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، وتحدث أحوالها من جهات شتى. فنجد أن الكاتب تناول في الثلاثية عديدا من القضايا المهمة المتعلقة بالنساء، على سبيل المثال: حالة تعليم المرأة الضعيفة، وسلطة الأهل على البنات، والحياة الزوجية للمرأة والفظاظة والهجيمة من الزوج، وخيانة الزوجة مع الزوج، ورغبات الجنس لدى الشباب المجاورين وما إلى ذلك.

انعكاس المرأة في الثلاثية:

موضوع المرأة في ساحة الفكر والأدب السعودي موضوع غير متداول، ولم يحتل مساحة واسعة في الفن الروائي. وقد قدم الدكتور تركي الحمد صورة المرأة في ثلاثيته "أطياف الأزقة الهجورة" كلها تقديما واقعيا، بتسلط الضوء على زوايا مختلفة، وذلك وفقا لموقعها الوظيفي المتغير داخل إطار الأسرة وخارجها. وبهذا المنطلق، تناولتها الثلاثية بوصفها أمّاً، وبنتا، وعاشقة، وتصور الثلاثية أحيانا المرأة بواقعية مؤلمة وهي في صورة الزوجة بدون طفل أو الزوجة المطلقة أو الفتاة العاهرة التي تتكسب بجسدها.

سيطرة الأسرة على المرأة:

وردت في ثلاثية "أطياف الأزقة المهجورة" بضعة أسر، أهمها: أسرة هشام في القصيم التي تتكون من ثلاثة أعضاء، هو وأبوه وأمه؛ وأسرة صديقه عدنان الكبيرة التي تشتمل على 17 أعضاء[11]؛ ثم أسرة عاشقته نورة تشتمل فقط على أربعة أعضاء، ثم أسرة خاله في الرياض الكبيرة التي تتكون من

[11]. الحمد، تركي، العدامة، دار الساقي، بيروت،ط 4، 2003م، ص 150.

ثمانية أعضاء، ثم أسرة عمته شريفة، وأسرة جارة خاله سوير في الرياض. وفي معظم الأسر نجد المرأة كأنها الجزء المهمل أو المضطهد في الأسرة، وهي تعاني شدة السيطرة من الأب أو الأخ، وحينا آخر تعاني من الحرمان والإهمال، وعدم مراعاة مشاعرها العاطفية.

وفقا للثلاثية، هذا واضح أن المجتمع لا يعتبر المرأة بأنها عضو مهم في الأسرة، ولا هي تستحق الاحترام والحب من أفراد المنزل، حتى ليس لها حق أيضا أن تشارك في المائدة مع الرجال معا، بل الرجال يأكلون أولا، ثم يأتي دورها في تناول ما تبقى بعدهم.

ويمكننا أن نتعرف على أحوال المرأة في البيوت السعودية جيدا في الجزء الثاني من الثلاثية "الشميسي"، حيث نرى حالة سارة أو سوير التي وافقت على الزواج في حوالي السادسة عشرة من عمرها من عليان الذي كان قد تجاوز الخامسة والأربعين عندئذ، لتجنب المشاكل العائلية، وتتخلص أخيرا من استبداد الأب وقسوة الأم وأوامر الأخوة، ويكون لها بيتها الخاص وجنتها الخالصة، وستنال حريتها واستقلالها أخيراً"[12]، ولكن النتيجة كانت بعكس تصورها.

فالواقعة المذكورة تشير إلى أن المرأة السعودية تعيش تحت ظلام المنزل وسيطرة أفراده الشديدة. هكذا، عكست الثلاثية أيضا صورة أخرى، وهي أن المرأة ليست لها الفرصة للاستراحة في المنزل، بل من واجباتها أن تعمل طوال اليوم في تدبير جميع شؤون المنزل وتدبير أفراده بدون تهاون، من طبخ الطعام وتقديمه للضيوف ولأهل المنزل في المائدة قبل أن يعودوا من المسجد إلى البيت، حتى من واجباتها أن تغسل الأطباق بعد فراغ الطعام، وتغسل اللباس لجميع أفراد المنزل ثم تكنس المنزل. ومن واجباتها أيضا أن تحلب وتحضن. ونشاهد هذا

---

[12]. الحمد، تركي، الشميسي، دار الساقي، بيروت، ط3، 2001م، ص 117.

المنظر عند مسألة موضي[13] في بيت خال هشام في الرياض، إذ هي تحمل هذه الأعباء وحدها.

وصورت رواية "العدامة"، صورة المرأة كجزء مهمل أو مضطهد في الأسرة. إذ نرى في معظم البيوت السعودية أن ذكور الأسرة يتحلقون حول المائدة بترتيب خاص حسب الترتيب العمري لكل منهم[14]، لكنهم يستقلون عن إناثها في تناول الطعام[15]. وبعد فراغهم ما يبقي من الطعام إلا قليلا، وهذا هو الوجبة للمرأة. وهذه هي الحالة عند وليمة كبيرة أيضا حيث يحضرها الرجال والنساء معا. فالرجال يأكلون أولا، ثم يأتي دور النساء في تناول ما تبقي بعد الرجال، وهذا إذا حالفهم الحظ في أن يبقى منه شيء. وجاء في الرواية هكذا: "عندما انتهى الرجال من العشاء، كان قد تبقى القليل، ولاسيما اللحم، ولكنه كان كافيا للنساء[16]." وهذه العادة وهذا التقليد نشاهده في شهر رمضان أيضا[17].

وتشير "العدامة" إلى منظر آخر، هو أن الرجل لا يجئ لتخفيف المرأة من أعبائها بمشاركتها في أعمال المنزل، ولو يرى أنها بحاجة مساعدة أحد في عملها، وليس هناك أحد من الفتيات في البيت لتساعدها. وهذا واضح من مسألة موضي في بيت خال هشام[18]. ولكن نرى المشهد كان مختلفا قليلا في بيت هشام العابر في الدمام وفي بيت عمته شريفة في القصيم حيث يتعامل رجل المنزل مع المرأة تعاملا جيدا، ويعتبرها عضوا مهما في البيت. كما نجد هناك أفراد المنزل هم يشاركون المرأة في أعمال المنزل حتى في طبخ الطعام وتقديمه

[13]. الحمد، تركي، العدامة، دار الساقي، بيروت، ط 4، 2003م، ص 94-95.
[14]. المصدر نفسه، ص 81.
[15]. المصدر نفسه، ص 94.
[16]. المصدر نفسه، ص 266.
[17]. المصدر نفسه، ص 70.
[18]. المصدر نفسه، ص 94-95.

في المائدة. وتشير "العدامة" إلى هذه الصورة في منزل هشام في الدمام، قائلة: "كانوا يجتمعون، هو وأبوه وأمه، على مائدة الطعام، حيث يأكلون ويمازحهم الوالد أحيانا. وكان أبوه يطهو طعام الغداء أحيانا..."[19] وعكست صورة أخرى في بيت عمة هشام شريفة في القصيم، هكذا: "كان سليمان قد أتى بالسماط ووضعه في منتصف المجلس، ونهض هشام لمعاونته في جلب الطعام. تعاون الاثنان على جلب الطبق الرئيس[20]." ولكن المنظر كان مختلفا تماما في منزل جدة هشام أيضا، حيث أفراد المنزل يستقلون عن إناثها في تناول الطعام[21].

هكذا نرى في معظم البيوت السعودية أن حالة المرأة مثل ما كانت في بيت الخال لهشام في الرياض، حيث تعيشه المرأة بين سيطرة أفراد الأسرة الشديدة وعدم احترامهم لها.

صورة المرأة في مجال التعليم:

التعليم هو قضية ذات أهمية كبيرة، ألقى الضوء عليها الكاتب تركي الحمد في ثلاثيته "أطياف الأزقة المهجورة" بصفة خاصة. إذ التعليم هو أقوى سلاح لتغيير مصير أمة ومجتمع، ولكن المجتمع السعودي في الحقبة ما بين الستينات والسبعينات من القرن الماضي لم يكن مهتما بتعليم الفتيات على الإطلاق.

ومن جميع المسائل والقضايا النسائية التي تناولتها الثلاثية أهمها تعليم المرأة، لأن المرأة ما كان لها حق التعليم، وإن تعلمت فليس من حقها إكمال تعليمها بعد سن معينة، وبجانب آخر أفراد المجتمع لديهم خوف من تعليم البنات بسبب غير معين. في الحقيقة، التعليم للمرأة في تلك الحقبة كان مثار جدل كبير؛ وإذا ما تمت موافقة ولي أمرها على تعليمها الابتدائي فلن

19. المصدر نفسه، ص 96.
20. المصدر نفسه، ص 271.
21. المصدر نفسه، ص 263.

يكون من السهل عليها، إقناعه بمواصلة بقية المراحل الدراسية[22]. فاعتبر الكاتب هذه القضية مؤلمة وخطيرة عظيمة تؤدي إلى هلاك الأمة، وصورها بكامل دقتها ووضوحها في ثلاثيته.

ويمكننا أن نتعرّف على تلك الصورة عن حالة تعليم المرأة السعودية الضعيفة، وعدم اهتمام الآباء وأولياء الأمور لإصلاحها وتحسينها في تلك الأيام. كما انعكست رواية "الشميسي" على هذه الحالة، مقتبسةً الكلمات التالية من موضي: "لو تركني الوالد أكمل تعليمي لكنت اليوم مثلك... ولكن الحمد لله... أستطيع القراءة على الأقل... معي الابتدائية... مسكينة أختي منيرة... لم تدخل المدرسة على الإطلاق... سامح الله الوالد... كل شيء فيه زين إلا خوفه من تعليم البنات..."[23].

والمرأة التي تدرس لم تكن بذلك المستوى من الثقافة والاطلاع، وذلك لأن المجتمع معظمه لم يكن مشجعا لدراستها. ونشهد هذا المنظر حينما هشام يراسل نورة، فنلاحظ ركاكة خطها وبساطة الكلمات التي تعبر بها عن الحب، بخلاف هشام. وهذه الصورة تشير أيضا إلى أن الفتاة تدري أن تعليمها لا جدوى له. والمنظر نفسه نراه في بيت سوير أيضا، حيث تشير "الشميسي" إلى أن المدرسة انقطعت عنها بعد السنة السادسة[24]، وأصبحت هي أن تكدح في البيت منذ الصباح وحتى المساء.

المرأة في صورة الأم:

الأم هي الموجهة والمربية للأبناء، ولها دور مهم في تشكيل شخصيتهم وعاداتهم وتحسين خلقهم. وتناولت الثلاثية صورة أم حنون جانب الرحمة والعطف، من حيث اهتمامها بالولد، ورغبتها في التهدئة، والتزامها بالقيم

---

22. آل حشيش، فارس حترش محمد، المضامين والتشكيل في أعمال تركي الحمد الروائية: الثلاثية نموذجا، رسالة الدكتوراه، جامعة مؤتة، 2011م.
23. الحمد، تركي، الشميسي، دار الساقي، بيروت، 1997م، ص 10.
24. المصدر نفسه، ص 117.

والأخلاق. كما نرى أن أم هشام تخاف على ولدها وتخشى عليه الانحراف وإفساد أخلاقه وضياع مستقبله، فعلّمته على وفق ذلك طوال حياته.

كما يقال، لتكون أمّا جيدة، يجب أن تكون على علم بكل ما يأتي أولادك حوله، وبكل الأخطار العظيمة لعل يقعوا فيها. فنجد "أم هشام" في هذا النوع من الأمهات، وهي على علم بجميع تلك الأشياء التي تحدث في المجتمع، والأماكن التي يأتي فيها فئة الشباب سويا، والأمور التي تحدث في مثل هذه الأماكن، وكانت تمنع ولدها هشام وتحذره وفقا لذلك. وهي تحذر ولدها ألا يكذب أبدا، لأن هذا أمر لا تكرهه فقط، بل يجعلها غاضبة إلى أقصى الحد. فنرى في الرواية أن هشام اشترى عصفورا من زميله في المدرسة بمصروفه اليومي، وبعد أن عاد إلى المنزل، وكذب على أمه بأنه اصطاده بحجر في طريق العودة من المدرسة. وفكر هشام بأن قصته مقنعة لأمه، ولكن الأم أخذت العصفور وأخذت تقلّبه بين يديها، وحينما لم تر أثر جرح في العصفور، ألقته جانبا فأخذ العصفور يرفرف في السماء. فصفعته أمه بشدة اهتز لها كل جسده[سمبر]. ولكن بعد انضمامه في الحزب، هو بدأ يكذب بسهولة ويسر وسلاسة[شمبر] دون إحساس بتأنيب الضمير ووخزه المؤلم.

وبجانب آخر، تصور الثلاثية شخصية الأم في صورة أم حنون تقوم بوقاية أولادها من كل خطر. كما كان اختطاف الأطفال من الحوادث العامة في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي في المجتمع السعودي، فنرى أم هشام تكون على حذر، وتمنعه ولدها هشام ألا يرافق أحدا في طريق عودته من المدرسة إلى البيت، ولا أن يركب مع أحد[لهبر]، على الرغم من أن المسافة بين المدرسة والبيت أقل من مائتي متر. ونجد أم عبد الكريم من هذا النوع من

---

[25]. الحمد، تركي، العدامة، دار الساقي، بيروت، ط4، ص 126.
[شمبر]. المصدر نفسه، ص 167.
[27]. المصدر نفسه، ص 124.

الأمهات أيضا، حيث نراها مهتمة بصحة ولدها، وخائفة من أن يصاب بالبرد، إذ وجدته جالسا مع هشام بملابس النوم فقط في صباح الشتاء؛ فعادت بثوب صوفي وألقته إليه ليرتداه، ثم تدعو له ولهشام أيضا بالصحة والسلامة، وأن يجنبهما الله أولاد الحرام ورفاق السوء[28].

وعكست الثلاثية شخصية الأم في صورة أم مهتمة أيضا، إذ نرى أم هشام تمنع ابنها من مصاحبة مع الأطفال والفتيان أكبر منه سنّا، لأنها كانت تثق بأن يرافق ابنه بهؤلاء الفتيان فتفسد أخلاقه ويضيع مستقبله. فتمنع ابنها من الذهاب في النوادي الرياضية والرحلات المدرسية التي يبيت فيها التلاميذ ليلة أو ليلتين، لأن لديها علم على جميع الأمور السيئة التي تحدث في مثل هذه الأماكن[29]، وهي تخاف أن لا يقع ولدها فيها. وكانت هذه النصائح والتعليمات لها لولدها هشام إذ كان صغيرا في بداية الدراسة الإبتدائية.

ووردت في الثلاثية بضعة الأسر السعودية، ولكن شخصية الأم جاءت قليلة جدا سوى أم هشام. كما عائلة عدنان، صديق هشام، من العائلات الكبيرة المذكورة في الثلاثية مشتملة على 17 عضوا تقريبا، ولكن لم تركز الثلاثية على شخصية أم عدنان لدرجة حتى نتعرف على كيفية دورها في تشكيل أخلاق أولادها، كما لا نرى شخصية أم عبد الرحمن أو زوجة[30] خال هشام تؤدي هذا الدور المهم لتحسين خلق أولادها أيضا، على الرغم من أن أسرته ثاني أكبر من حيث أفراد المنزل واحتلالها المكان في الثلاثية. لكن ذكرت الثلاثية شخصية أم أبي هشام أي جدته، في صورة أم معنية سلبية، حيث نراها قلقة

---

[28]. الحمد، تركي، الشميسي، دار الساقي، بيروت، 1997م، ص 130.

[29]. الحمد، تركي، العدامة، دار الساقي، بيروت، ط4، ص 124.

[30]. أنظر: صورة المجتمع في الرواية السعودية لإبراهيم بن علي الدغيري، رسالة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العام الجامعي 1426-1427هـ (إذ الكاتب يتحدث عن أم أو زوجة في آن، فأفصل الأحد عن الآخر هكذا: إذا كان الكاتب يتحدث عن تلك المرأة وعلاقتها بزوجها فتلك هي الزوجة، وإذا كان يتحدث عن المرأة من خلال تماسها مع أبنائها وبناتها فتلك هي الأم).

بشأن مستقبل ابنها عمن يحمل اسمه واسم أسرته بعده، وإن لم يرزق الله له ولدا آخر سوى هشام؟ لأنه تبين أن أم هشام غير قادرة على الإنجاب، فكانت تريد لولدها أن يتزوج إمرأة أخرى[31]، لترزق له الأولاد، وهم يحملون اسمه بعده. وبسبب هذه الأحاديث، تفاقمت العلاقة بينها وبين كَنّتها أم هشام.

صورة المرأة العاشقة:

تناولت الثلاثية الحديث عن قضايا عديدة مثيرة الجدل مثل المحرمات الثلاث: السياسية والدين والجنس وما إلى ذلك. فقضية المرأة العاشقة من القضايا التي تسلط الثلاثية الضوء عليها بشكل خاص، واحتلت مكانا واسعا من حيث الحضور والتأثير، وذلك لأن أحداث الثلاثية تدور حول الشباب السعوديين وحياتهم لا تخلو من الحب على الإطلاق. فنرى كثيرا من الشباب وهم في حب مع فتاة ما أو باشتهاء ما. كما نجد أن بطل الثلاثية "هشام العابر" لديه ثلاثة نساء في حياته وهو في السنة الأولى الجامعية. كذلك نرى عبد الرحمن ابن خال هشام في الرياض، وهو أصغر منه في السن، فلديه أيضا فتاة يتضاجعها أحيانا[32]، وعبد المحسن شاب من عزبة الشباب في الرياض، لديه أيضا فتاة نراها هشام متضاجعة مع عبد المحسن[33] في يوم من الأيام.

وعكست الثلاثية صورة العاشقة غالباً كوسيلة رغبات الجنس للفتيان، كما أشارت إليها علاقة هشام مع ثلاثة نساء، وعلاقة عبد الرحمن مع رقية، حتى علاقة عبد المحسن مع فتاة مجاورة في الرياض.

وقبل أن يجئ هشام إلى الرياض لمواصلة دراسته هناك بكلية التجارة (كلية العلوم الإدارية حالياً[34]) من جامعة الرياض (جامعة الملك سعود

[31]. الحمد، تركي، العدامة، دار الساقي، بيروت، ط4، ص 264.
[32]. المصدر نفسه، ص 79.
[33]. الحمد، تركي، الشميسي، دار الساقي، بيروت، ط3، 2001، ص 33.
[34]. الحمد، تركي، جامعتي التي كانت.. وإلى أين آلت...، مجلة الفيصل، 3 مارس، 2019م. (https://www.alfaisalmag.com/?p=15065)

حالياً[35])، كان لديه عاشقة في الدمام تسمى "نورة"، وهي بنت الجيران، التي تأتي منزله كل يوم بوعاء اللبن. وهي فتاة واحدة، يحبها هشام ولا يسمح لنفسه باشتهائها[36]. ولكن أشارت "العدامة" إلى أن علاقة هشام مع نورة أصبحت عميقة جدا مع مرور الأيام، حتى ذات يوم عندما كانت أمه في زيارة لأحد نساء الجيران، وجاءت نورة في موعدها بعد المغرب باللبن، أنه أدخلها في الغرفة وأغلق الباب، ولثمها على وجنتها الملتهبة، ثم طبع شفتيه على شفتيها[37]، وألصق شفتيه حتى أحس بأسنانه تصطدم بأسنانها. وكانت هذه هي أول قبلة من فم الحبيبة، بل أول قبلة في حياته. واستمرت السلسلة، حتى جاء وقت في حين دخل هشام في منزلها ليلةً حسب أمرها، وتمارس التجربة نفسها هناك في ركن قصي من حديقة منزلها[38]. واستمرت هذه السلسلة بينهما حتى أن تم إصلاح زواجها مع فهد.

ولكن في الرياض، ارتبط هشام بعلاقة مع فتاتين أخريين، حتى تمارس التجربة الجسدية معهما أيضا، واكتشف مذاقتها المختلفة رغم أن الفعل واحد[39]. لكن واحدة يشتهيها هشام ولا يشعر بالحب معها[40]، وهي رقية الفتاة المطلقة صغيرة السن في الرياض يتضاجعها ابن خاله عبد الرحمن عدة مرات من قبل؛ وثانيهما يحبها هشام ويشتهيها معا[41]، وهي سارة أو سوير جارة خاله في الرياض.

ووفقا لرواية "الشميسي"، في المدة التي كان فيها هشام في بيت خاله في أوائل أيامه الجامعية في الرياض، كان ابن خاله عبد الرحمن أقرب منه. وذات

35. المصدر نفسه.
36. الحمد، تركي، الشميسي، دار الساقي، بيروت، ط3، 2001، ص 101.
37. المصدر نفسه، ص 134-136.
38. الحمد، تركي، العدامة، دار الساقي، بيروت، ط4،2003م، ص232.
39. الحمد، تركي، الشميسي، دار الساقي، بيروت،3، 2001، ص 100.
40. المصدر نفسه، ص 101.
41. المصدر نفسه.

يوم أنه أخبره عن رقية وعلاقته بها، وقدّم له أنه يستطيع أن يرتب له موعدا معها إن كان يريد، لكن هشام رفض. ولكن بعد أيام قليلة، ذهب هشام إلى عزبة الشباب في الرياض، فوجد عبد المحسن هناك مع فتاة مجاورة[42]، وأثارت فيه هذه المغامرة لعبد المحسن شهوة غريبة، وملكت عليه شهوة طاغية. وذكرت رواية "العدامة"، بعد هذه المغامرة طلب هشام من عبد الرحمن أن يرتب له موعدا مع رقية، وفي اليوم التالي، تمارس هشام التجرة الجسدية الأولى في حياته معها في الرمال الحمراء[43] قرب الرياض. وبعد خمسة أشهر، وعندما انتقل إلى غرفة مستأجرة في شارع عسير، كان يأتي هو وعبد الرحمن برقية أيضا إلى ذلك المنزل[44].

وحسب رواية "الشميسي" المرأة الثالثة التي ارتبط بعلاقة معها هشام، ومارس الجنس معها، حتى جعلها حاملاً[45] أيضا، هي سوير المتزوجة مع عليان[46] جار خاله[47] في الرياض. ولكن سوير ليست بسعادة مع زوجها، لأنه لا يحترمها ولا يحبها كزوجة، بل يأتي إليها فقط لتلبية احتياجاته الجسدية. في حالة ما رآها هشام ليلةً في حالة التحام مع زوجها. وذات ليلة أنها رأته أيضا يتلصصها من النافذة. فحاولت بعد ذلك أن تتبادل معه الكلمات، حتى ذات مرة أنها أشارت إليه. وفي يوم ذهب هشام إلى منزلها ومارس الجنس معها في أول يوم ما. وبمرور الأيام، توطدت علاقته بسوير، حتى أهداها زجاجة عطر غالية بخمسة وعشرين ريالا[48]، وهو يذهب إليها كثيرا، ويتحدثان كثيرا،

42. المصدر نفسه، ص 33.
43. الحمد، تركي، العدامة، دار الساقي، بيروت، ط4، 2003م، ص 172.
44. الحمد، تركي، الشميسي، دار الساقي، بيروت، 3، 2001، ص 160.
45. المصدر نفسه، ص 170.
46. المصدر نفسه، ص 117.
47. المصدر نفسه، ص 53.
48. المصدر نفسه، ص 101.

ويتحولان إلى جسد واحد كثيرا، حتى جاء يوم حينما أعلنت سوير لهشام: "ألا تعلم أني أحملك في أحشائي؟[49]"، مشيرة إلى أنها تحمل ابنه في رحمها.

المرأة في صورة الأخت أو البنت[50]:

احتلت الأخت أو البنت مساحة قليلة في الثلاثية، ولكنها مؤثرة جدا. فصورت الثلاثية الأخت أو البنت بأنها الجزء المهمل أو المضطهد في الأسرة السعودية، فهي حينا تعاني تسلط الأب، أو الأخ، وحينا آخر تعاني من إهمالهم لها، وانصرافهم إلى أعمالهم بعيدا عن مشاعرها العاطفية.

حسب الثلاثية، المجتمع السعودي متهم بأن تبدأ البنت في أن تتحجب مع بلوغها في المراهقة فقط، ولكن لا يهتم بأن تشجع الأخت أو البنت للتعليم العالي، ولا هو يعتبرها بأنها تستحق التعليم أيضا، حتى لا يعتبرها بأنها عضو مهم في المنزل، بل يعاملها كخادمة المنزل العادية. وأشارت الثلاثية إلى هذا المنظر في رواية "العدامة"، حيث ذكرت أن موضي بدأت أن تحجب منذ أن بلغت الحلم[51]، وفي رواية "الشميسي"، أن نورة "قد كبرت وبدأت أن تحجب، ولا يجوز لها الخروج لوحدها، ولا يجوز أن تترد على البيوت[52]." ولكن كانوا غافلين تماما عن تعليم البنات، كما نرى في مسألتي موضي ومنيرة[53]،وفي مسألة سوير[54]، ونورة أيضا[55]. وفي معظم البيوت السعودية تعيش البنت أو الأخت تحت سيطرة أفراد العائلة أي تحت استبداد الأب، وقسوة الأم، وأوامر

---

49. المصدر نفسه، ص 170.
50. إذا الكاتب يتحدث عن تلك المرأة وعلاقتها بأخوتها فتلك هي الأخت، وإذا يتحدث عن المرأة من خلال تماسها مع والديها فتلك هي البنت.
51. الحمد، تركي، العدامة، دار الساقي، بيروت، ط4، 2003م، ص 72.
52. الحمد، تركي، الشميسي، دار الساقي، بيروت،3، 2001، ص 135.
53. المصدر نفسه، ص 10.
54. المصدر نفسه، ص 117.
55. المصدر نفسه، ص 144.

الأخوة، كما صورت "الشميسي" مثل هذه الحالة لسوير[56]، وموضي[57]، حيث نراهما تعيشان بين سيطرة أفراد المنزل، تحملان جميع أعباء المنزل.

المرأة في صورة الزوجة:

احتلت الزوجة مكانة متوسطة في الثلاثية من حيث الحضور والتأثير، لأنها تعد الجزء الثاني المكمل لنظام الأسرة بعد الزواج، ولأنها الشخصية الحيوية التي تقوم بدور الربط بين الأب وبقية الأعضاء. والزوجة في مواضع عدة تمثل الشخصية الأضعف، لأن ليس لها حق في اختيار زوجها، كما في حالة سوير[58]، ونورة[59]، وحتى منيرة[60]، حيث نرى أنهن واقفن في الزواج من رجال اختارتهم الأسرة؛ وبجانب آخر يقع عليها بأس الزوج، وصورت رواية "الشميسي" هذا المنظر بكل دقة ووضوح في حالة سوير مع زوجها عليان، الذي هجم عليها في أول ليلة ما، وافتضها بعنف، غير آبه بصراخها ومعاناتها تحت جسده الثقيل، وعندما قضى وطره منها، أدار ظهره ووقع في النوم العميق، تاركا إياها في حالة من الرعب والخوف[61].

صورة المرأة العاقر:

ألقت الثلاثية الضوء على المرأة العاقر بشكل خاص، وبينت مشاكلها ومعاناتها بكل وضوح. ووردت في الثلاثية ثلاثة مثل هذه النساء العاقر، هن: عمة هشام شريفة المتزوجة من سليمان، وسوير المتزوجة من عليان جار خال هشام في الرياض، وأم هشام نفسها التي لم ترزق ولدا بعد هشام.

---

56. المصدر نفسه، ص 117.
57. المصدر نفسه، ص 94-95.
58. المصدر نفسه، ص 117.
59. المصدر نفسه، ص 143.
60. الحمد، تركي، العدامة، دار الساقي، بيروت، ط4، 2003م، ص 74.
61. الحمد، تركي، الشميسي، دار الساقي، بيروت، 3، 2001، ص 117.

وأشارت الثلاثية إلى المشاكل التي تواجهها النساء المذكورة في المنزل بسبب عدم قدرتهن على الإنجاب. كما عكست رواية "العدامة" حالة أم هشام لسبب عدم قدرتها على الإنجاب بعد أن تولّدت هشام فقط. فصورت الرواية أن العلاقة بين الحماة وكنتها أم هشام أصبحت متوترة لهذا السبب، لأن الحماة أي جدة هشام حيناً قالت لإبنها إبراهيم أن يتزوج إمرأة أخرى، لأن لديه ولد واحد، وامرأته لا تستطيع أن تنجب ولدا آخر، فماذا لو حدث له شيئا؟ ومن يحمل اسمه بعده؟ ومن حيث الشريعة ليس فيها عيب أيضا أن يتزوج المرء بأربع نساء، فعليه أن يتزوج إمرأة أخرى. ووصلت هذه الأحاديث إلى أذن أم هشام، ونتيجةً أصبحت العلاقة بينهما متوترة شديدة[62].

وعندما نلقي النظر على حالة عمة هشام شريفة، نجد أن زوجها كان راغبا في الأطفال، وأنها لم تستطع أن تنجب ولدا له. ولكن ما كانت هي عاقرا في الحقيقة، بل تركتها القدرة بدون طفل، لأنها حملت وولدت عدة مرات، لكن لا يعيش منهم أحد. ومع الأيام رغبة زوجها في الأطفال ازدادت بشدة، وهذه الرغبة له أدتها إلى الضغط النفسي الشديد، وجعلتها أن طلبت من زوجها الزواج بأخرى[63]، حتى أبدت هي استعدادا للبحث له عن هذه الزوجة، لكنه أبى وقال: إن الأطفال ليسوا دائما مصدر السعادة، ولا يهمه أن يحمل أحد اسمه من بعده[64].

ولكن عكست رواية "الشميسي" أن حالة سوير كانت مختلفة تماما، بل حظها كان سيئا منذ البداية؛ لأنها ليست بسعادة قبل الزواج في منزلها ولا بعد الزواج من عليان أيضا، فازداد بأس الزوج بعد سنتين من الزواج، عندما لم تستطيع أن تنجب له ولدا يحمل اسمه بعده. فأخذ زوجها يعيرها بعمقها

[62]. الحمد، تركي، العدامة، دار الساقي، بيروت، ط4، 2003م، ص 264.
[63]. المصدر نفسه، ص 267.
[64]. المصدر نفسه، ص 268.

الواضح، ويهددها بالزواج من أخرى، لكنه لم يفعل. وظل يعاملها مثل أول ليلة. وهذه هي المعاملة من زوجها أدتها إلى أن ترتبط بعلاقة غير شرعية مع هشام[65]، كما كانت مسئلة رقية المطلقة وصغيرة السن مع عبد الرحمن وهشام أخيراً[ششم].

الخاتمة:

الدكتور تركي الحمد من الأدباء القلائل الذين تجرّأوا على استكشاف صورة المجتمع الحقيقية لدى العالم مع معالجة القضايا السلبية والإيجابية في المجتمع السعودي خلال رواياته. ومن أهم القضايا التي تناولها تركي الحمد في رواياته هي شخصية المرأة والعلاقة الجنسية. ولا تخلو رواية من رواياته من معالجة قضية المرأة كما لا تخلو تجربته العاطفية من لقاءات غرامية. فكان له دور كبير في إبراز قضية المرأة وفي دعم حقوقها المسلوبة في المجتمع الذكوري. فقد عرض تركي الحمد المرأة في صورة مختلفة ورائع في نماذجها الحية.

المصادر والمراجع:

1. الحمد، تركي، العدامة، دار الساقي، ط3، بيروت، 2000م.
2. الحمد، تركي، الشميسي، دار الساقي، بيروت، ط3، 2001م.
3. الحمد، تركي، الكراديب، دار الساقي، بيروت، ط2، 2002م.
4. الخراشي، سليمان بن صالح، نظرة شرعية في كتابات وروايات تركي الحمد، ص7، ط1، 1433هـ.
5. الخراشي، سليمان بن صالح، تركي الحمد في ميزان أهل السنة والجماعة.
6. الحازمي، منصور، موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث، ط1، ج5.

[65]. الحمد، تركي، الشميسي، دار الساقي، بيروت،3، 2001، ص 118.
[ششم]. الحمد، تركي، العدامة، دار الساقي، بيروت، ط4،2003م، ص 79.

7. آل حشيش، فارس حترش محمد، المضامين والتشكيل في أعمال تركي الحمد الروائية: الثلاثية نموذجا، رسالة الدكتوراه، جامعة مؤتة، 2011م.
8. صورة المجتمع في الرواية السعودية لإبراهيم بن علي الدغيري، رسالة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العام الجامعي 1426-1427هـ.
9. الحمد، تركي، جامعتي التي كانت.. وإلى أين آلت..، مجلة الفيصل، 3 مارس، 2019م. (https://www.alfaisalmag.com/?p=15065)

...................❖❖❖❖❖ ....

دراسة تحليلية للكتابين "مفتاح العربية" و"نفحة الأدب" لتعليم اللغة العربية في المرحلة الثانوية في الهند

محمد سعود الأعظمي*
saudazmi2010@gmail.com

ملخص البحث:

لا يختلف اثنان في أن اللغة العربية احتلت في الهند بين المسلمن وغيرهم مكانة مرموقة يعتبرها الناس لغة دينهم وبالتالي قاموا بتأليف كتب دراسية أدبية لتعليم الطلاب الناشئين الهنود اللغة العربية. وقامت هذه الكتب الدراسية بدور مهم في نشر اللغة العربية وتدريسها في عصرما، ولكن بدأت المشكلة حينما اعتبر الأخلاف هذه الإسهامات مساهمة نهائية وعدوها خارجة عن النقد والإصلاح، ولم يقبلوا الانتقادات الموجهة إليها من قبل الباحثين والنقاد بل جعلوا يعتبرونها مؤامرة ضد الإسلام والمسلمين.

لذلك صارت الكتب التي تدر نفعا في زمن لا تنفع الآن في زمننا هذا في تعليم الطلاب اللغة العربية، وإنما تحتاج بعض الكتب الدراسية إلى تغيير بسيط وبعض الكتب إلى تغيير هائل، وبالتالي حاولت في هذه الورقة تسليط الضوء على كتابين دراسيين مهمين وهما "مفتاح العربية" و"نفحة الأدب"، وهذان الكتابان يُدرسان في دار العلوم بديوبند وفي المدارس الأخرى التي تتبع المناهج الدراسية لدارالعلوم بديوبند.

الكلمات المفتاحية: مفتاح العربية، نفحة الأدب، نور عالم خليل الأميني، مدارس، مقررات دراسية.

* باحث بمركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

مفتاح العربية

من الكتب الدراسية العربية في دار العلوم بديوبند كتاب "مفتاح العربية" في جزئين ألفه فضيلة الأستاذ نور عالم خليل الأميني رحمه الله، وقامت بنشره مكتبة دار العلوم بديوبند، وكان الهدف وراء تأليف هذا الكتاب أن مجلس الشورى لدار العلوم بديوبند اقترح تأليف كتاب عربي يكون على منهج جديد يتساير مع ركب الزمان ويلبي حاجة العصر بالإضافة إلى أنه لا يخلو من فكرة إسلامية، وحمل مجلس الشورى مسئولية الكتابة على عاتق الأستاذ الأميني، فقبله وأعد كتابا باسم "مفتاح العربية" للطلاب الناشئين في السنة الابتدائية الأولى وأجاد فيه[لخ].

إطلالة على محتوى الكتاب:

يتكون الكتاب من جزئين: الجزء الأول يشتمل على عشرين درسا والجزء الثاني يحتوي على ثلاثة وثلاثين درسا، وفي مستهل كلا الجزئين للكتاب كتب المؤلف فاتحة الكتاب والملاحظة التعليمية: ذكر فيها أهمية اللغة العربية ودور العلماء الهنود في نشر اللغة العربية واعتناء علماء دار العلوم بها اعتناء شديدا وأهداف هذا الكتاب. كما بين في الملاحظة التعليمية بعض خصائص الكتاب وأصول تعليم هذا الكتاب وقواعده الخاصة ولفت أنظار المعلمين إلى القواعد الضرورية التي يجب على معلم اللغة العربية أن يراعيها في تدريس أي لغة أجنبية.

يبدأ **الجزء الأول** من الكتاب بدرس عن الكلمات وأسماء الإشارة للواحد المذكر والمؤنث من القريب والبعيد، ثم ذكر أسماء الإشارة في عمود واحد وذكر أسماء الأشياء أمامه، وبين في آخر الصفحة قاعدة ذكر فيها مسئولية المعلم، وقال "على المعلم أن يعلم الطلاب هنا أن جميع الكلمات التي يأتي في

[لخ] مفتاح العربية، للشيخ نور عالم خليل الأميني، (الفكرة ملخصة من فاتحة الكتاب المكتوبة في الأردية).

آخرها التاء المدورة يستعمل لها هذه وتلك والكلمات التي تخلو من التاء المدورة يكتب لها هذا وذلك.

ثم أتى بعده بتمرينين يشتملان على الترجمة من الأردية إلى العربية.

ثم تقدم إلى الدرس الثاني وعلم فيه الطلاب الضمائر، وأوضح فيها جميع الضمائر من المذكر والمؤنث والواحد والمثنى والجمع والحاضر والغائب والمتكلم، ثم قدم عدة تمارين من الأسئلة والأجوبة والترجمة وملأ الفراغات، وخلال تمرين الأسئلة حث على التكلم. ثم بين في الدرس الخامس المعرفة والنكرة، وفي الدرس السادس الجملة المبنية على المبتدأ والخبر، ثم تحدث في الدروس القادمة عن الموصوف والصفة والمضاف والمضاف إليه. وينتهي الجزء الأول للكتاب بالدروس ذات العبارات المترابطة المتماسكة أكثر من قبل . ويريد المؤلف أن يعود الطالب على مثل هذه العبارات لأنه سيقدم في الجزء الثاني الدروس من العبارات الطويلة المترابطة بعضها ببعض. وبعد انتهاء جميع الدروس يعلم الطلاب بعض القواعد الضرورية من قواعد النحو والصرف والإملاء وهكذا يتقدم بتدريج إلى الأمام.

وأما **الجزء الثاني** للكتاب فهو أيضا يبدأ بالدرس عن أسماء الإشارة ولكن هذا الدرس يختلف عن الأول هنا علم المؤلف استعمال هذه وتلك مع جمع المكسر، ثم بين في الدروس التالية حتى الدرس التاسع الجمل الاسمية المتكونة من المبتدأ والخبر، وهنا يتكون المبتدأ والخبر من المضاف والمضاف إليه والموصوف والصفة، ومن الدرس العاشر بين الفعل الماضي ثم المضارع ثم الأمر ثم النهي، وجاء في آخر الكتاب بعض الدروس المبنية على آيات من القرآن الكريم ونصوص من الأحاديث المباركة.

إيجابيات الكتاب:

ومما يثنى على هذا الكتاب أن المؤلف اهتم بالتدريج في تقديم الدروس، فلم يذكر في الجزء الأول للكتاب أي جملة فعلية بل اكتفى بالجملة الاسمية في أشكال متعددة، ومن الدرس العاشر في الجزء الثاني خاض المؤلف في موضوع الفعل وهنا أيضا راعى التدريج بدأ من الفعل الماضي ثم المضارع ثم الأمر والنهي، ولم يذكر الأفعال إلا الثلاثي المجرد والصحيح وغيرالمعتل والمهموز إلا كلمة قال، ولكن منع المعلمَ أن يناقش هذا الموضوع في الدرس الابتدائي أعني: ما هو الأجوف والصحيح والمعتل في الدروس، وعلم المؤلف بعد انتهاء جميع الدروس بعض القواعد الضرورية من النحو والصرف والإملاء.

ومن أكبر ميزات الكتاب أنه حافل بالتمارين المتنوعة التي تساعد الطلاب في فهم الدروس وتشوقها لديهم، وتزيد الصور من روعة هذا الكتاب، وهذا شيء محمود أن الكتاب لا يخلو من الصور. مع أن الصور في هذا الكتاب تكون في لون أسود، والألوان المتنوعة تنفع أكثر من لون أسود دون غيره.

وأما بالنسبة لمواد الكتاب فهي أيضا تجدر بالثناء، اهتم المؤلف بنفسية الطلاب وخلفية مجتمعهم، وهذه المواد تحتوي على المفردات التي يحتاج إليها الطالب في حياته اليومية مع أنها قليلة ولكن لا بأس به، وهكذا اعتنى المؤلف في ذكر الشخصيات والمدن والمآثر بنفسية الطالب وخلفياتهم إلى حد ما.

سلبيات الكتاب:

والشيء الذي يقلل من أهمية الكتاب هو أن الكتاب يهتم في التمارين بالترجمة كثيرا وهذا لا يحمد في تدريس اللغات الأجنبية بل تضع كثرةُ الاهتمام بالترجمة العراقيلَ في استخدام اللغة مباشرة لأن الطالب يتعود على أن يفكر حول الموضوع في اللغة الأم ثم ينقلها إلى اللغة المستهدفة. فالترجمة

تكون ضرورية في بعض الأحيان ولكن لابد أن تجتنب مهما يمكن الاجتناب من الترجمة.

وإذا كان أي كتاب مدرسي عربي يكثر العناية بالترجمة والقواعد يأتي تحت قائمة الكتب المؤلفة على طريقة النحو والترجمة، وهذه الطريقة فشلت تماما في تدريس اللغات الأجنبية. وهكذا في بعض التمارين لم يشر المؤلف ماذا يجب على الطالب أن يفعل في التمرين كما يمكن الملاحظة في الدرس الرابع.

ومما يؤخذ على هذا الكتاب أن المؤلف لم يحط بالمواضيع الكثيرة في الدروس، وهذا الأمر يؤدي إلى عدم تخزين كثرة المفردات والجمل والعبارات، والطالب في المراحل الابتدائية يحتاج إلى المفردات والجمل والعبارات ويشكو دائما عن قلتها. والثاني أن المؤلف لم يقم بعنونة الدروس مع أنه كان يستطيع ذلك في كلا الجزئين وخاصة في الجزء الثاني، والعنوان في أي درس يقوم بدور مهم في فهم الدرس وحفظ مفرداته. والثالث أن المؤلف وإن كان قد اهتم بالتمارين وتفنن فيها ولكنه في بعض الدروس اكتفى بالترجمة والأسئلة العديدة كما في الدرس السابع والعشرين والثامن والعشرين.

ومن الضروري أن يقدم المعلم أو المؤلف التمارين السهلة المفهومة، ويقدم فيها تلك الألفاظ التي جاءت في الدرس، ولو أعطى لفظا جديدا لم يرد في الدرس فعليه أن يكتب المعنى أو يشير إليه في الهوامش وإلا يرتبك الطالب ولا يستطيع أن يكتب التمارين، وفي التمارين لطلاب السنة الابتدائية لا ينبغي أن تطرح الأسئلة التي تتعلق بالمعلومات الدقيقة الخارجية التي تكون فوق مستوى الطالب على سبيل المثال : أنظر الدرس الرابع للجزء الأول و تمارينه.

الدرس الرابع:

ديوبند مدينة	بنغلاديش دولة	محمد رسول	عمر صحابي
دهلي عاصمة	الهند دولة	خالد طفل	نبيل طالب

محمود جندي	سعاد قارئة	ساجدة بنت	رشيدة لاعبة
موسى نبي	عائشة صحابية	راشد طبيب	سليمة صائمة
كشمير جميلة	هملايا جبل	القرآن كتاب	الإسلام دين

التمرين (مشق):

(**الف**) باكستان	النيل	الطائف.............
التوراة...........	زينب.............	فاطمة.............
عيسى..........	عثمان.............	حامد ....
حراء..........	الدوحة............	قرطبة...........
أبو حنيفة.......	الترمذي..........	مومباي..........

(ب) صحيح اور غلط جملے کی نشاندہی کیجئے: (فرق بين الجمل الصحيحة والجمل الخاطئة)

مكة دولة	مكة مدينة	كراتشي مدينة	كراتشي دولة
صفية صحابية	صفية تابعية	ساجد طالبة	ساجد طالب
كالكوتا شجرة	كالكوتا مدينة	الصين دولة	الصين قرية
الداعي مجلة	الداعي مدرسة	يوبي ولاية	يوبي مدينة
الأردن نهر	الأردن دولة	الهند مدينة	الهند سوق

(ج) عربي مين ترجمه كيجئے:[*] (ترجم إلى اللغة العربية)

وإذا تأمل الباحث في الدرس يجد فيه أن المؤلف استخدم بعض أسماء الشخصيات والبلدان والمدن ثم أتى بصفات مناسبة لها، وهكذا فعل في التمرين أيضا، ولكنه استخدم في التمرين الكلمات الجديدة غير المستخدمة في الدرس، ولم يشر في التمرين الأول إلى أي شيء: ماذا على الطالب أن يفعل وماذا على المعلم أن يعلم الطلاب عن هذا التمرين، وكذلك في التمرين الثاني إنه أتى ببعض الأسماء مثلا : "كراتشي مدينة، كراتشي دولة، صفية صحابية،

[*] مفتاح العربية، للشيخ نور عالم خليل الأميني، ج1 ص 18-17-16

صفية تابعية، الأردن نهر، الأردن دولة " فيمكن للطالب الهندي المبتدئ أن لا يعلم عن كراتشي وصفية والأردن شيئا فكيف يستطيع أن يرد على الأسئلة، وهذا يسبب الصعوبة للطالب المبتدئ الهندي في إكمال التمرين.

والشيء الثاني أن المؤلف استخدم في الدرس أن الهند دولة وفي الحقيقة أن الهند دولة، ولكن كتب في التمرين أن "الهند سوق والهند مدينة" فمن الممكن أن يجيب الطالب عن كلتا الجملتين بالغلط لأن الهند ليست بسوق وليست بمدينة بل إنها دولة. فعلى المؤلف أن يهتم بنفسية الطلاب وخلفياتهم التعليمية خلال إعداد التمارين.

وإذا كان التمرين السابق يخلو من الكلمات الصعبة لكان أحسن تمرين أو كان على الطراز التالي لكان أنفع.

قسّم الكلمات الآتية في ثلاث مجموعات: الأمكنة، الشخصيات، والصفات:

(ديوبند، محمد، لاعبة، بنغلاديش، عمر، صائمة، دهلي، الهند، خالد، طفل، نبيل، قارئة، عائشة، كشمير،)

ومن عيوب هذا الكتاب أن المؤلف استخدم بعض الكلمات في السياق والجملة التي لا تستعمل فيها مثلما استعملها، يكتب المؤلف" ... وسألنا الموظف في مكتب الاستعلام عن موعد قيام القطار إلى "بنكلور" وأخذنا التذاكر وركبنا القطار..."[تر] هنا استخدم المؤلف كلمة "القيام إلى" بمعنى الوصول إلى[ير]، وهذا لا تستعمل عند العرب كما يعتقد الباحث بعد تصفح القواميس واستفسار بعض العرب الأكاديميين.

[تر] المرجع السابق ج2 ص 65

[ير] أنظر مقاييس اللغة، والمعجم الوسيط

نفحة الأدب

قد أشار الأستاذ الكيرانوي في المقدمة إلى السبب الذي أدى إلى إعداد هذه المجموعة، وهو أن مجلس الشورى لدار العلوم بديوبند كلف الكيرانوي بوضع كتاب في الأدب العربي للسنوات الابتدائية في المنهاج النظامي الذي تتبعه دار العلوم، حسب المناهج الجديدة مما يدعو إليه الوقت الحاضر وتتطلبه الظروف والأوضاع من الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع.

فتنفيذا لقرار مجلس الشورى أعد الشيخ الكيرانوي هذه المجموعة المشتملة على النصوص الأدبية المختارة من الكتب العربية القديمة والحديثة واهتم المؤلف في اختيار القطعات الأدبية بأن تكون كل قطعة ملائمة لذوق الناشي وتوافق مع عقلية التلميذ الناشئ وميوله[سم].

إطلالة على مضمون الكتاب:

هذا الكتاب مجموعة من النصوص الأدبية من النظم والنثر، اختارها وجمعها الأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي رحمه الله ورعاه من مختلف الكتب الأدبية والعلمية، ولم يذكر المصدر أوالمرجع الذي انتخب منه هذه النماذج الأدبية. يشتمل الكتاب على مقدمة وواحد وتسعين درسا، في خمس وتسعين صفحة[شم]، وقام بطباعته ونشره إدارة النشر والتوزيع، بدار العلوم، بديوبند. ثم تكررت طباعته.

وأما الدروس لهذا الكتاب فهي متنوعة المواضيع ومختلفة الألوان، ولكن تغلب عليها المواضيع المتعلقة بالدين وتعاليم الإسلام والأخلاق النبيلة والصفات الكريمة كما يبدو في دروس " الأخوان المتحابان، والمرأة الباسلة، النميمة، الولد الأمين، بنت صادقة. وبعض الدروس تتعلق بالشخصيات الإسلامية وصفاتهم الحميدة كدرس كرم السيدة عائشة وسخاء عثمان

[سم] نفحة الأدب، لوحيد الزمان الكيرانوي ص 3-4
[شم] راجع فهرس كتاب نفحة الأدب

الغني، وعدل عمرالفاروق، (رضي الله عنهم) وهكذا تتعلق بعض الدروس بالحيوانات وصفاتها مثل وفاء الكلب، ذكاء الديك، حوار بين ذئب وثعلب، الذئب والكلب. وخلاصة القول أن الدروس مختلفة ومتنوعة .

ميزات الكتاب:

ومن محامد الكتاب أنه يتسم بالروح الحقيقية لتعاليم الإسلام، ويحمل نصوصا صالحة مشتملة على الصفات الحميدة والتعليم الإسلامي، وهي لا تكون مضرة من حيث الأدب وتهذيب الأخلاق إذ يخلو الكتاب من الحكايات الخرافية التي تضر الطلاب الناشئين، وتأتي بنتائج تصيب الضرر بأخلاق الأطفال والطلاب. ومن أكبر محاسن هذا الكتاب أن جميع الدروس قصيرة لا يزيد حجم أي درس من صفحة واحدة والدروس القصيرة تزيد من روعة الكتاب ورغبة الطالب فيه لأن كل يوم يقرأ الطالب درسا جديدا يجد فيه متعة وفكرة جديدة.

سلبيات الكتاب:

ومما يؤخذ على هذا الكتاب أن المؤلف لم يشر إلى أي كاتب من كُتاب النصوص كما لم يذكر المصادر والمراجع التي استفاد منها، ولو ذكر المؤلف أسماء الأدباء والكتاب ولم يذكر المصادر لكانت كافية، ولكنه لم يذكر الفترة ولا المصادر ولا أسماء اللذين كتبوا القطعات، فكيف يعرف العصر الذي تنتمي إليها النصوص أو الميزات الخاصة بنصوص أي فترة من الفترات، وأي كاتب من الكتاب. وهذا الكتاب يخلو من التمارين والتدريبات، ويبدو من دراسة هذا الكتاب أن المؤلف لم يقض أوقاتا كثيرة ولم يبذل جهودا جبارة كما يقتضي إعداد هذا الكتاب.

ومن عيوب هذا الكتاب أنه خال من الصور والأشياء التي تزيد من روعة الكتاب والطباعة في أحسن شكل وبطريقة ملونة، وهذا من أصول التعليم

الحديثة أيضا أن يكون الكتاب من داخله وخارجه جذابا لا يتضجر منه الطالب، بل يجد فيه روعة وجمالا يميل إليه قلبه.

ومن سلبيات هذا الكتاب أنه لا يحيط بالموضوعات التي توسع رصيد المفردات التي يحتاج إليها الطالب ويواجهها في حياته اليومية والمستقبلية، مثلا درس عن المطعم، ودرس عن التجارة، ودرس عن اللعب وهلم جرا.

وجملة القول:

إن كتاب "مفتاح العربية" مع بعض نقائصه يمتاز عن كتب أخرى في تقديم الدروس واستخدام التمارين واستعمال الصور والمفردات المناسبة، وهو أحسن من كتاب القراءة الواضحة، ولكنه أيضا يحتاج إلى إخراج في ثوب جديد لكي يعم النفع ويتيسر الفهم على الطالب. كما أن كتاب "نفحة الأدب" نافع نظرا إلى بعض المواد، فلو حذفت بعض الدروس وزيدت البعض، وتمت إضافة التمارين لازداد الكتاب نفعا وفائدة، وهذا الكتاب بسبب كونه خاليا من التمارين والصور والمصادر يحتاج إلى اهتمام الباحثين بإخراجه من جديد في أحسن أسلوب وفي شكل جذاب مع مواد شاملة.

المصادر والمراجع:

1. الأميني، نور عالم خليل: مفتاح العربية، مكتبة دار العلوم ديوبند، الطبعة الأولى 1997
2. الكيرانوي، وحيد الزمان: القراءة الواضحة جميع الأجزاء، دارالكتاب ديوبند 2006
3. الكيرانوي، وحيد الزمان: نفحة الأدب، ملتزم الطبع والنشر مكتبة حسينية ديوبند، والطبعة والعام غير مذكور
4. الندوي، أبوالحسن علي الحسني: المسلمون في الهند، مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء لكناؤ.

5. الندوي، سعيد الرحمن الأعظمي،: محاضرات في فن التدريس، مكتبة الفردوس لكناؤ، الطبعة الأولى، 2014
6. الندوي، واضح رشيد،: حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهاج، المجلس الإسلامي العلمي ندوة العلماء الطبعة الأولى 2006

المجلات والمواقع الإلكترونية:

1. مجلة البعث الإسلامي، تصدر من ندوة العلماء بلكناؤ
2. مجلة الداعي الشهرية، تصدر من دارالعلوم بديوبند
3. الموقع الرسمي لدارالعلوم بديوبند الرابط: http://darululoom-deoband.com/arabic/

الكتب الأردية:

1. رضوي، السيد محبوب،: تاريخ دار العلوم ديوبند، مكتبة دار العلوم ديوبند 2013.
2. قواعد داخله دارلعلوم ديوبند، عام 37 -1436 دفتر تعليمات دارلعلوم ديوبند
3. گيلانى، سيد مناظر احسن،: ہندوستان ميں مسلمانوں كا نظام تعليم وتربيت، مكتبۃ الحق ممبئى۔ عام الطباعة غير مذكور۔



أثر الشعر العربي على الشعر الأردي: التقليد عند شعراء اللغة الأردية

بقلم: سيد حسن سردار *

hasansardar110@gmail.com

ملخص البحث:

إن عملية الأخذ والعطاء بين الآداب المختلفة مستمرة منذ أن وجد الأدب ولا سيما عندما بدأ الاتصال بين الأقوام والحضارات. وتعد علاقة الأدب العربي مع الأدب الأردي من أقدم العلاقات وأهمها في التاريخ الأدبي العالمي. وبدأ هذا الاتصال الثري بدخول العرب والمسلمين في شبه القارة الهندية قبل قرون وبينما نشأ الأدب الأردي وترعرع في بيئة ثقافية مختلطة، بدأ الشعر الأردي يتأثر بالشعر العربي تأثيرا مباشرا وغير مباشر منذ مدة طويلة من الزمن حتى ظهر هذا اللون التقليدي عند شعراء اللغة الأردية ظهورا جليا. وفي المقال التالي سأتناول هذا الجانب من العنصر التقليدي الذي يتميز به الشعر الأردي.

كلمات مفتاحية: الشعر العربي، الأردي، التقليد، التشبيه، اللغة الهند.

مدخل: طالما نجد أن الشاعر إذا اتبع شاعراً آخر فلا يقدر أن ينقل روح شعره وجوهر معانيه إلى أشعاره؛ فإن الجوهر روح يترسخ في كيان الشاعر بجميع عناصر كماله، ومن المستحيل أن ينفصل هذا الجوهر من نفس الشاعر، كما لا يمكن أن يُغرس في شاعر آخر، ويقول الأستاذ آيتي بهذا الصدد:

"الجوهر مثل روح الإنسان التي لا يمكن حلولها من جسم إلى آخر"الخ

---

* باحث هندي، ومتحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

وكل عمل أدبي جديد له تأثير على الأعمال الأدبية الأخرى، وهذا التأثير له حرية؛ بحيث لا يقبل الحدود الزمكانية. وإذا صاغ شاعر جوهر إحساسه ومذاقه في عمل أدبي فيتأثر - على وجه حتمي - بتحولات زمانه وتقلبات مكانه؛ ولكنه حينما يحاول شاعر في الزمان والمكان المختلفين أن ينقل تلك العناصر إلى أدبه، ويجعلها جزءا منها فتتحول - تلك العناصر - إلى إحساس جديد؛ لذا يتحتم على الناقد أن يعرف قبل النقد الظروف والأوضاع التي تم قرض الشعر فيها، وما يليه من أوضاع زمانية ومكانية.

ومن مميزات العمل الأدبي أنه لا يقبل قيود الزمان والمكان؛ بل هو يحطم جميع سلاسل الحدود، لكي يترك بصماته لكل من له ذوق أدبي وفني.

أثر الشعر العربي على الشعر الأردي:

استفادت اللغة الأردية - مثل سائر اللغات الأخرى - من جوهر اللغات القديمة، ونقلت عناصرها الفنية والصنعة اللغوية إلى خزانتها الأدبية، وبالإضافة إلى ذلك قام العديد من الأدباء والشعراء في اللغة الأردية بصياغة جواهر هذه اللغات الفكرية والفنية في إطار جديد، ثم قدموها في ثوب جديد إلى قراء الأردية ومحبيها.

علما بأن اللغة الأردية تبنّت مفردات فارسية وعربية كثيرة، فلعبت هاتان اللغتان دورا كبيرا في إثراء الأدب الأردي بوجوه الفصاحة والبلاغة.

[لخ]: آيتى، عبد المجيد، ترجمة معلقات سبعة، تهران، انتشارات سروش، 1390ش،جلد سوم، ص 8

ومن خصائص اللغة الأردية أنها أعطت الأصناف الأدبية الجديدة التي استعارتها من الفارسية والعربية مثل البديع والعروض والبيان لونا جديدا وإطارا أوسع، ومن أهمها التشبيه والاستعارة اللتان تعدان من أهم دعائم علم البيان.

التشبيه:

التشبيه لغة: التمثيل، يقال: هذا شبه وهذا مثيله.

والتشبيه اصطلاحا: عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر.

كما يقول شاعر أردي كبير:

ہستی اپنی حباب کی سی ہے

یہ نمائش سراب کی سی ہے[2]

يعني

حياتي كحياة الفقاقيع على وجه الماء

وهذا المعرض – الدنيا - كالسراب.

في أعقاب الفتح الإيراني على أيدي المسلمين في القرن الأول من الهجرة تغلغل الأدب العربي في الثقافة الإيرانية وحضارتها، مما أدى إلى نشأة وظهور قسط كبير من تراث الأدب العربي في إيران نفسها؛ فأثر الأدب العربي من خلال العوامل السياسية والدينية على أعمال الشعراء الفارسية، وكما نقل شعراء اللغة الفارسية عناصر العربية

[2]: مير، تقي مير، كليات مير، لكناؤ، مطبعة منشى نول كشور، 1941، ص ١٥٨

بأسلوبهم الخاص إلى الفارسية.[3] ويقول الدكتور ذبيح الله صفا بهذا الصدد: "خضعت القصيدة الفارسية لعناصر الشعر العربي".[4]

ومما لا شك فيه أنها عندما تتغلغل لغة في لغة أخرى يترعرع أدب مختلط بهما على أيدي كتاب اللغة المغلوبة، ونفس الشيء نراه في اللغتين: العربية والفارسية، وأما اللغة الأردية فأمرها يختلف عن اللغتين المذكورتين، حيث إنها استقبلت العربية والفارسية واللغات الهندية الأخرى وهكذا استفادت من الجمال اللغوي والكمال الفني الذي تتميز به الدول العربية وخراسان وما إلى ذلك.

وحاولت أن أقدم في هذه المقالة عدة أمثلة التشبيه والاستعارة المأخوذة من اللغات: العربية والفارسية والأردية، والتي حدثت في الدول العربية، ثم وصلت إلى منطقة خراسان، وأخيرا استوطنت شبه القارة الهندية. ووفقا لتصريح الدكتور صفا أن شعراء اللغة الفارسية نالوا حظا وافرا من الشعراء العرب الذين اشتهروا بالمعلقات السبع كأمثال امرئ القيس، والحارث بن حلزة، وعمرو بن كلثوم، وما إلى ذلك من أعلام الشعر الجاهلي.

وأقدم فيما يلي عدة نماذج من الأشعار في اللغات الثلاث:

لم تتلفع بفضل مئزرها

دعد ولم تسق دعد في العلب.[سم]

وتُعدُّ دعد ورباب من أقدم عشيقة العرب. والجانب المهم من حكاية عشقهما أن كلا منهما تتعلق بالجنس اللطيف. وذكر ابن النديم هذه الحكاية في كتابه "كتاب الرباب وزوجها الذين تعاهدا".

---

[3]: شميسا، سيروش، ترجمة تاثير شعر عربى بر تقابل شعر فارسى، تهران، ناشر صداى ساحر،1381 ش، ص 27

[4]: صفى، ذبيح الله، تاريخ ادبيات ايران، تهران، ناشر جايخانہ تابيش،١٣٦٩ ش، جلد ١، ص ٣٦٧

[سم]: الاستمونى، نور الدين، ابوالحسن، شرح الاسمونى علىٰ الفية ابن مالک، بيروت، دارالكتب العلميہ، ج ٣ ص ١٥٥

كانت دعد تنتمي إلى قبيلة ذات شهرة كبيرة، واشتهرت عنها قصة: أن سائر كبار العرب اجتمعوا ليرضوها في أمر مهم؛ ولكنها لم ترض؛ حتى تداول الشعر الفارسي التالي على ألسنة الشعراء:

من الأدب الفارسي:

ہر لحظه خیره خیره بر آرم ز عشق او
از سینه ناله ناله چو دعد از غم رباب.[6]

يعني:

يشتعل كل لحظة من لحظات حياتي بالصبابة.
ويحترق قلبي في الفراق كما احترقت دعد لرباب.

ومن الأدب الأردي:

جاں کیوں نکلنے لگتی ہے تن سے دمِ سماع
گروہ صدا سمائی ہے چنگ و رباب میں۔[7]

الترجمة:

لماذا تخرج الروح من الجسد عند ذكرها،
ولو ترسخت في الموسيقى والأغنية للأبد.

إن الجمة من نوع شعر الرأس لم يحظ ذكرها أهمية كبيرة في اللغة الأردية فحسب؛ بل نال قبولا واسعا في اللغتين: العربية

---

[6]: شيروانی، فلکی، محمد، دیوان محمد فلکی شروانی، تهران، مطبع فیروزان، ISBN 9789649299433 ، ص ٨١
[7]: دهلوی، غالب، دیوان غالب، لکهنو، مطبع منشی نول کشور،١٣٠۴ه، ص 36

والفارسية أيضا. واستخدمها الشعراء في شتى الموضوعات الشعرية. وبما أن العشق الحقيقي لا ينتمي إلى الحياة المادية، لا يحتاج إلى العالمين اللفظي والوضعي، وهذا هو السبب أن شعراء اللغات المختلفة استعملوا نفس الشيء لأغراض مختلفة. ولكن لا يمكن أن تجحد هذه الحقيقة أن التقليد له دور بارز في هذا العمل.

شبه الشعراء العرب قصاص شعر الرأس بالعقرب، وهذا التشبيه ورد في الشعر الأردي بواسطة الفارسية، ولا شك أن اللغة الأردية تعد تمثالا للحب والغرام ولم لا؟ فهي تتميز في جانب بالتخيلات العميقة والتصورات الدقيقة التي جاء بها عبقريات الشعر العربي من أمثال الفرزدق، وجرير، وأبي نواس والأعشى، وتحفل معانيها في جانب آخر بالأفكار العرفانية والفلسفات الإلهية التي قدمها حافظ، وسعدي، ومولانا الرومي وغيرهم من عظماء الشعر الفارسي. وأبدع الشعراء العرب في الشعر، وجعلوا الجمال الظاهري موضوعا لشعرهم، ثم زاد الشعراء الفارسية هذا الصنف وضاحة في الفكر؛ ولكنه لو لم يكن شعراء الأردية وسعيهم في ملء الفراغ لما اكتمل الحديث عن الشعر أبدا.

وفيما يلي أقدم عدة أمثلة من كل لغة:

يقول شاعر أردي:

ان زلفوں کے عقرب نے دل میرا ڈسا عزلت

پیچھے پڑی ہے چوٹی اب مار کی باری ہے-[8]

□ : https://www.rekhta.org/ghazals/yaar-uth-gae-duniyaa-se-agyaar-kii-baarii-hai-wali-uzlat-ghazals?lang=ur

يشبه الشاعر فيه الجمة بالعقرب.

وجاء هذا التشبيه أولا في شعر ابن معتز، كما نراه في البيتين التاليين:

ريم يتيه بحسن صورته

عبث الفتور بلحظ مقتله

وكأن عقرب صدغه وقفت

لما كنت من نار وجنته[ix]

ويقول شاعر فارسي:

عقرب سر زلف یار و همه پیکر اوست

با این همه کبر و ناز کاندر سر اوست

شیرین دهنی و شهد در شکر اوست

فرماندهٔ روزگار فرمان بر اوست.[10]

الترجمة:

وهذه الجمم المعقدة كالعقرب وهذا الوجه المشرق كالقمر

وهذه البشاشة المعصومة كالعسل الخالص حتى يصير الحاكم محكوما أمام حسنها.

[ix]: الهاشمی، أحمد، السيد، جواہر البلاغہ فی المعانی والبیان والبدیع، بیروت، ناشر مکتبۃ العصریۃ،۱۹۹۹، جلد ۱، ص ۲۴۵

[x]: مقصود، مولوی، ترجمة دیوان ابوسعید ابو الخیر، ابوالخیر، دلھی، ناشر شاجہانی پریس، ص ۳۲

وكــذلك شــبه شــعراء العــرب " الجمــة " بالحصــان، وهــذا الاســتعمال نــال قبــولا واســعا في اللغــتين العربيــة والفارســية كمــا نــرى في الأمثلة الآتية:

يقول شاعر فارسي:

به زلف چوگان نازش همی کنی تو بدو

ندیدی آن که او را که زلف چوگان بود.[11]

الترجمة:

أنت تتفاخرين بجمتك التي تبدو كالعصا الملتوية

كأنك لم تجد الذي كانت جمته مثل العصا الملتوية

ويقول الشاعر الأردي مير تقي مير:

اپنا سر شوریده تو وقف خم چوگاں ہے

ابو الہوس گر ذوق ہے، یہ گو ہے یہ میداں ہے۔[12]

استخدم الشاعر في هذا البيت كلمة " چوگاں " في موضع الجمة.

ويقول ابن المعتز:

غلالة خده صبغت بورد

ونون الصدغ معجمة بخال.[ترلخ]

ويقول شاعر فارسي بهذا الصدد:

هست زلف و دهن و قد تو ای سیم اندام

جیم و میم و الف وقامت من هست چولام.[14]

[لخلخ]: رودکی، دیوان روکي،تهران، مطبع الغدير، 1376 ش، ISBN 964-6174-10-8، ص ۸۳

[برلخ]: خان، محمد، ساجد، اطروحة تدوين غزليات مير ديوان اول تا ششم، ملتان، جامعة بہاء الدين زكريا، 2003، ديوان اول غزل۱۴۹۶، ص۶۰۶

: [ترلخ]الغزانى، على بن عبد الله، مطالع البدور فى مناز السرور، القاہرة، مكتبة الثقافة الدينية، جلد 1، ص ۵۳

[يرلخ]: معزى، امير، ديوان امير معزیّ، تهران، ناشر كتاب فروشى اسلاميہ، 1318 ش، ص ۵۴۸

الترجمة:

أيها الوجه المشرق كالبدر المنير إن جمتك كالجيم ووجهك كالميم وقامتك مثل الألف وأما جسدي فهو مثل اللام.

وفي اللغة الأردية يقول آخر الإمبراطور المغولي بهادر شاه ظفر:

کہتا ہے کوئی جیم کوئی لام زلف کو

کہتا ہوں میں ظفر کہ مسطح ہے کاف زلف۔[15]

الترجمة:

يقارن بعض الناس الجمة مع الجيم والبعض مع اللام

أما أنا فأظن أنها كالكاف المسطحة.

ويوجد نفس التشبيه في البيت التالي للشاعر سراج الأورنج آبادي حيث يقول:

صنم کی زلف کے حلقہ میں ہے جیوں جیم کا نقطہ

عجب ہے خوش نما اس عارض گلگوں پہ خال اس کا۔[16]

ففي كل لغة من اللغات العربية والفارسية والأردية تتوافر تشبيهات عديدة لوجه المعشوق. ومما يثير اهتمامنا هو أنه لا يقل عدد التشبيهات التي قبلتها لغة من أخرى مثل القمر والزهرة والعنبر وغيرها. ونظرا إلى إيجاز هذه المقالة أقدم – فيما يلي – تشبيهات بالعنبر التي استخدمها كل من شعراء العربية والفارسية والأردية. أما العنبر فهو مادة بيضاء ذات ريح طيبة تخرج من الماء وأيضا من بطون الأسماك. ويسمى Ambergris في اللغة الإنجليزية. وكثيرا ما شبّه

---

[15] ظفر، شاه، بہادر، تجلیات شاہ ظفر، اردو شاعری ڈاٹ کام، 2003، جلد ۱، ص ۱۸
[16] سروری، عبدالقادر، ترتیب کلیات سراج، حیدرآباد، جامعہ عثمانیہ، 1940، ص۱۴۸

شعراء الفارسية والعربية وجه المعشوق بالعنبر، واستعمله شعراء الأردية في نفس المعنى والمضمون، كما نلاحظه في الأمثلة التالية.

يقول الشاعر الفارسي أمير معزي:

تا هر دو عارضش خط عنبر فشان نوشت

پس کس که سر بر آن خط عنبر فشان نهاد.[لهلخ]

ويقول الشاعر العربي:

يا عازلى فى حب ذى عارض

مالبلد المخصب كا الساحل

يموبحر الحسن فى خده و وجهه

فيقذف العنبر فى الساحل[18]

ونجد في اللغة الأردية:

کرکے شمیم زلف گزارا

پھیلاوے ہے عنبر سارا[19]

الخاتمة

ومما لا شك فيه أن اللغة العربية لغة ثرية ذات قيمة عالية، ولها يد طولى والقدح المعلى في إيجاد المفردات والمعاني والمفاهيم لكل تعبير جديد يجيء به الدهر. ولذا نجد أن شعراء اللغة الفارسية بعد فتح إيران لم يحصلوا على حظ وافر من المفردات العربية من الشعراء العرب فحسب؛ بل استفادوا منهم كثيرا على المستوى الفكري أيضا.

[لهلخ]: معزى، امير، ديوان امير معزى، تهران، ناشر كتابفروشى اسلاميه، ١٣١٨ ش، ص ١٨٤

[لخ□]: عباس، احسان، دكتور، وفيات الاعيان، بيروت، دار صادر، المجلد السادس، ص 250

[بيلخ]: مير، تقى، مير، مثنوى جوش عشق كليات مير تقي مير، لكهنؤ، منشى نول كشور، 1941ء، ص ٩٣٢

وهذه السلسلة من الأخذ والعطاء والتأثير والتأثر لم تبق محدودة إلى إيران بل تجاوزت حدودها ووصلت إلى شبه القارة الهندية، ولا تزال تستمر إلى يومنا هذا. ومن الجدير بالذكر أن اللغة الفارسية التي أخذت التأثير الفكري واللغوي من اللغة العربية أما اللغة الأردية فهي أخذت هذا الأثر بواسطة اللغة الفارسية.

وتشير القضايا المذكورة والأمثلة المتعددة التي قدمت إلى أمرين أساسيين فالأول هو حقيقة التأثير والتأثر التي توجد تقريبا في سائر اللغات العالمية والأمر الثاني هو أمر نادر أما الأول فهو تأثير اللغة العربية على اللغتين الفارسية والأردية بقواعدها ومصطلحاتها كما نرى ذلك في اللغات الأخرى والأمر الثاني فهو أن مفكري اللغتين الفارسية والأردية ومثقفيهما وأدبائهما رغم الاختلافين الثقافي والجغرافي استعملوا الألفاظ والمصطلحات العربية في نفس المعنى والسياق الذي يستعمل في اللغة العربية وهذا النقل الأدبي قليل في اللغات العالمية الأخرى.

المصادر والمراجع:

- شميسا، سيروش مترجم، تاثير شعر عربی بر تقابل شعر فارسی، تهران، صدای ساحر، ۱۳۸۱ش.
- صفا، ذبيح الله، تاريخ ادبيات ايران، تهران، مطبع تابش، ۱۳٦۹ش
- آيتی، عبد المحمد مترجم، ترجمة معلقات سبعة، تهران، مطبع سروش، 1390 ش ISBN 964-435-284-X
- دود پوتا، شميسا، سيروش مترجم، تاثير شعر عربی بر تقابل شعر فارسی، تهران، مطبع صدای ساحر.

- ظفر، بهادر شاه، تجليات بهادر شاه، اردو شاعرى دات كام، ٢٠٠٣م.
- الهاشمى،السيد، احمد، جواهر البلاغة فى المعانى و البيان و البديع، بيروت، مكتبة عصرية، ١٩٩٩م
- معزى، امير، ديوان امير معزى، تهران،كتاب فروشى اسلامية، ١٣١٨ش
- دهلوى، غالب، ديوان غالب، لكهنو، مطبع منشى نول كشور، ١٣٠٤ ه
- شيروانى، محمد، فلكى، ديوان محمد فلكى شيروانى، تهران، مطبع فيروزانفر
- مقصود، مولوى مترجم، ديوان سلطان ابو سعيد ابوالخير، دلهي، مظبع شاجهاني بريس
- الاستمونى، نور الدين، ابولحسن، شرح الاسمونى علىٰ الفية ابن مالک، بيروت، دارالكتب العلمية
- سرورى، عبدالقادر مرتب،كليات سراج، حيدرآباد، جامعة عثمانية، ١٩٤٠م
- مير، تقى، مير، كليات مير، لكهنو، مطبع منشى نول كشور،١٩٤١م
- عباس، احسان، دكتور، وفيات الاعيان، بيروت، دار صادر
- الغزالى، على بن عبد الله ، مطالع البدور فى مناز السرور، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.
- https://www.rekhta.org/ghazals/yaar-uth-gae-duniyaa-se-agyaar-kii-baarii-hai-wali-uzlat-ghazals?lang=ur



قصة قصيرة

شقاء زينب

بقلم: د. تجمل حق *

tajammulhaqjnu@gmail.com

وسط طبيعة غناء خلابة ولدت زينب في أسرة ثرية، حيث كان أبوها عين الحق من وجهاء القرية، ويملك اثني عشر فداناً من الأراضي الزراعية، تتكون أسرتها من خمس بنات وتسعة أبناء، يكبرها شقيقاها عبد الله ونعمة الله، وشاء القدر أن تكون زينب ذات بشرة داكنة، إلا أن والداها وأسرتها فرحوا بميلادها بعد غلامين، وجاء أهل القرية إلى بيتها لتهنئة أبويها عين الحق ورحيمة بولادة ابنتهما، وحتى إمام مسجد القرية من ضمنهم، وقال بهذه المناسبة: "إن البنت نعمة من الله، من أوتي بها فقد أوتي خيرا كثيرا". ثم ذكر بعض الأحاديث النبوية في فضل تربية البنات.

نشأت وشبّت الفتاة زينب في رفاهية ورغد من العيش بمعية أخواتها وإخوتها، ولمّا بلغت الرابعة عشرة من عمرها، بدأ أبوها يفكر في تزويجها، كما جرت العادة والتقاليد في القرية، التي تحتم الزواج المبكر للبنات خشية الفتنة، ولم تكن زينب ترغب في الزواج لصغر سنها أولا، ولامتلاكها طموحات أخرى وللحصول على الشهادات الدراسية العليا لكن هيهات هيهات، فهي لم تحظ إلا بالقليل من التعليم، فقد درست في كُتّاب المسجد، وتعلّمت قراءة القرآن الكريم وأبجديات اللغة الأردية بطريقة مكسّرة فقط، لأنه غير مسموح للفتيات في قريتها الذهاب بعيدا للدراسة.

---

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، كلية مهيتوش نندي (التابعة لجامعة كلكتا)، هوغلي، بنغال الغربية، الهند.

لذلك كانت تقوم بأعمال البيت والمطبخ بإيعاز من نساء القرية اللاتي يملين عليها وعلى فتيات القرية بأن مهارة الطهي والتفاني في أعمال البيت ليصبحن زوجات صالحات تغني عن التعليم.

أدركت زينب في قرارة نفسها مدى أهمية التعليم في الصغر ولكن ما باليد من حيلة، فقد كانت ترى إخوانها يذهبون إلى المدن الكبيرة في الهند لطلب العلم والرقي بمستواهم العلمي، فيما بقيت حبيسة الجدران تترقب فارس أحلامها وتعلق عليه كل آمالها كما هي حالة معظم فتيات القرى الهندية، وبما أنها سوداء البشرة وقبيحة حسب العرف السائد هناك، ما جعل الخطاب ينفرون من التقدم لطلب يدها للزواج، وبدأت العائلات الفقيرة تتهامس فيما بينها وتبدي رغبة في خطبتها طمعاً في مال أبيها، ولم تجرؤ تلك العائلات فعل ذلك إلا بتوسيط إمام المسجد، فذهب إلى بيت زينب، وتحدث مع عين الحق بخصوص زواجها لأحد شبان القرية الفقراء، لكنه رفض رفضا باتا وقال: "لا تصلح ابنتي لهذه الأسر المعدمة، فحياتها ستتحول إلى جحيم، وكيف لي أن ألقي ابنتي إلى التهلكة؟."

كانت الهموم تساور أم زينب كل حين وآن وتدعو في صلواتها بأن ييسر أمر زواج زينب، وفكرت السيدة رحيمة باعتبارها أما قلقة على زواج ابنتها، وتلوم شباب هذه الأيام الذين يعتبرون بياض البشرة وحده معيارا للجمال عند البنات، وهي تتساءل هل تمجيد بياض لون البشرة من مخلفات الاستعمار الإنجليزي الذي دام قرنين في الهند؟ وتارة تتذكر أقاويل نساء الحي: "البنت ثقيلة في بيت أبيها، بيتها الحقيقي هو بيت زوجها..."، وبينما الأفكار تأخذها يمينا وشمالا وهي غارقة في التفكير، إذ طرأت على بالها فكرة عرض تزويج زينب من سائقها عبد الجبار الذي يعمل في بيتها منذ عشر

سنوات، ويعتني بأمور الحقل والزراعة معا، وأسرته كلها تعمل لديهم في موسم الحصاد.

تجاسرت أم زينب على التحدث مع أم سائقها عبد الجبار عن الزواج، فرضيت دون تفكير، وربما كان ذلك طمعاً في مالها، كان السائق عبد الجبار غلاما يافعا يعمل عندهم منذ نعومة أظافره، ولا يتقن عملاً سوى سياقة المحراث الآلي التي تعلمها من أبيه، لقد كان ولداً ريفيا وبسيطا جدا، لا يعرف المدن الكبرى أو الحياة المدنية، نحيفاً وساذجا إلى حد ما، أهل القرية يسخرون من شكله: "إنه يتمايل بهبوب الرياح، فكيف يتحكم في مقود المحراث الآلي؟."

أخيرا تزوج عبد الجبار من زينب تنفيذاً لرغبة أسرتها، وفي بداية زواجهما كانت حياتهما هادئة لسنوات لأن أبا زينب كان يغدق عليهما بالمال، وبعد عامين من زواجهما، أنجبت زينب توأمين، وكانت ولودة كأمها، ففي غضون عشر سنوات، أصبحت أما لخمس بنات وولدين.

في هذه الأثناء، ترك زوجها عبد الجبار السياقة في بيت أبيها بعد أن أغضبه بعض الفتيان قائلين: "إنه يقتات مما يتصدق به صهره عليه لأنه من أغنياء القرية"، لذا بعدها ترك وظيفته متذمرا، وبدأ يعمل لدى دهقان القرية السيد طاهر حسين، وشق عليه إدارة البيت وتغطية مصاريفه خصوصا وقد كثر أولادهم، أما البائسة زينب فتطلب حاجيات البيت من أمها سرا، وهي بدورها تساعدها دون علم أحد سوى زوجها. وبما أن عبد الجبار كان سائقا تعرف على بعض الشبان السيئين، وأصبح له رفقاء سوء يشربون الخمر، وبدأ يشرب الخمر معهم، ما زاد من بؤس وشقاء زينب، زوجها يعود إليها سكراناً، ويشتمها لأتفه الأسباب، ويضربها أحيانا، لكنها لم تشتك لأي كان هذه الحوادث المؤلمة في حياتها.

في إحدى الليالي من العربدة والسكر مع رفقاء السوء، دخل عليها مخمورا وضربها عبد الجبار ضربا مبرحا حتى سمع الجيران، وذاع الخبر على إثرها، وجاء والد زينب إلى بيتها ليتحقق، حينها أنب زوجها عبد الجبار على فعلته الشنعاء، لكنه لم يعد ولدا خنوعا كالسابق، ورفع صوته على سيده السابق، وصاح في وجهه قائلا: "لا أحتاج إلى ابنتك التافهة، إن شئت، خذها إلى بيتك."

ذهل عين الحق بعد أن رأى جرأة عبد الجبار وغطرسته، ففار غضبه وثار، ولكن أهل القرية هدأوه وقالوا له: في الصلح خير، انظر الى مستقبل ابنتك وأطفالها". وتصالح معه على مضض، وأوصى ابنته زينب بالخير، وغادر من عندها محملا بالهموم.

بعد مضي أيام على الحادثة، فُصل عبد الجبار عن وظيفته الجديدة في بيت دهقان القرية بسبب سلوكه العنيف وتصرفاته الطائشة، فاتجه إلى دلهي ليكسب قوته، براتب أكبر مما كان يتلقاه في القرية، إلا أنه مازال غير كافيا لعائلته، فكانت زينب تسد حوائج البيت بمشقة بالغة، ومما زاد الطين بلة هو موت أمها إثر نوبة قلبية، وبذلك، فقدت زينب قوامها الأكبر في حياتها، وتزوج أبوها ثانية من فتاة شابة تدعى زبيدة، والتي قطعت عليها كل الهدايا والإعانات من بيت والدها لها، فكان يساعدها أبوها سرا خشية من زوجته الثانية.

رجع عبد الجبار إلى بيته بعد قضاء سنتين في دلهي كعامل مهاجر، ورأى أن زينب لا تجد مساعدة كافية من بيتها بعد وفاة أمها، وبلغت ابنتاه إلى سن الزواج، ولذا طلب من والد زينب عين الحق مبلغا كبيرا من المال ليزوج به ابنتيه، فرضي بإعطاء مبلغ زهيد، ولم يعطه المبلغ المطلوب. فثارت ثائرته وعاد

إلى بيته غاضبا، وبدأ الجدال مع زينب، وانهال عليها شتما وضربا، وفي فورة الغضب، طلقها ثلاث مرات، وأخرجها مع أولادها من بيته، فذهبت بهم إلى بيت أبيها، حيث جعلتها زبيدة زوجة أبيها الثانية خادمة للبيت، وعاملتها وأولادها معاملة السيد مع عبيده.

في هذه الأثناء، رجع أخوها الأكبر عبد الله من السعودية حيث كان يدرس في الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها، وأسس مدرسة كبيرة لتعليم البنات في القرية بتبرعات جمعها من داخل الهند وخارجها، وقد رأى عبد الله حال أختها المنكوبة في رعاية زوجة أبيها الظالمة، فأشفق عليها وعلى أطفالها الذين أصبحوا كاليتامى رغم وجود والدهم الذي خذلهم، فجاء بهم إلى بيته الكبير، وسكنوا في بيته في راحة وطمأنينة بعد مدة طويلة، وبينما هم كذلك، إذ قالت زوجة عبد الله في اليوم العاشر من مجيئها: "يا زينب! إلى متى ستسكنين هنا مع أولادك؟". يحسن بك أن تساعدي أخاك في إدارة المدرسة" فرحت زينب كثيرا ظنا منها أنها وجدت وظيفة!!! ولكن اكتشفت فيما بعد أن عليها العمل في مطبخ المدرسة كعاملة بسيطة لقاء إشباع جوعها فقط ومن دون راتب، وأطفالها سيكونون خدما في بيت أخيه والمدرسة...

..................❖❖❖❖❖ ....

قصة قصيرة

قصة: إهدار العدالة

د. محمود عالم الصديقي *

siddiquimahmood51@gmail.com

نوال فتاة، جميلة الطلعة، مرهفة الشعور، رحيمة القلب، متوقدة الذهن، عذوبة الحديث، أنيقة الملابس، مثقّفة، متابعة لأحلامها، حالمة بالدولة المثالية الخالية من الظلم والعدوان، ناشطة في الحقوق الإنسانية، عاملة لتحسين أحوال الفقراء، وجاهدة في تثقيفهم، ومدافعة عن حقوق المظلومين والبؤساء، ومجاهدة في حماية الضعفاء والمظلومين. فلم تبصر محتاجا إلا قامت بمساعدته. ولم تحدث حادثةٌ لظلمٍ وعدوانٍ على مسمعٍ منها إلا قامت ضدها ورفعت صوتها ضد ذلك الظلم والعدوان. وما كانت تطمئن نفسها إلا إذا تحققت العدالة، ولم تخش السلطة الحاكمة يومًا، ولم تهب أصحاب النفوذ الأقوياء. ولذلك كانت محبوبة من المهمشين الذين تعمل معهم وتسكن بيوتهم.

كانت تعيش نوال حياتها على هذا المنوال، تساعد الناس عندما تنزل عليهم المصيبة، وتنهض للدفاع عن حقوق المظلومين عندما يغتصبها منهم أحد المغتصبين، وتخوض معركة بعد معركة؛ ليستطيع المهمشون العيش بالشرف والاحترام. **عندما أقَرَّ البرلمان الديمقراطي لدولتها العظيمة المسماة بـ "دولة الآلهة" قانونا جديدا للجنسية الذي** يميِّز بين مواطنيها على أساس الديانة، ويوفِّرُ الجنسية **للهندوس والمسيحيين والأسياخ والبوذيين الساكنين في دول أخرى دون المسلمين مثلما توفرُ الدولةُ الإسرائيليَةُ الجنسيةَ لليهود الساكنين في مختلف الدول على أساس الديانة اليهودية.** أثار القانون جدلا في

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، الهند

أوساط **"دولة الآلهة" ولاسيما بين** المسلمين، واشتعلت المظاهرات وكثرت الاحتجاجات ضد هذا القانون الجديد لإهداره روح **الدستور الضامن** المساواة والحرية لكل مواطن بغض النظر عن دينه. وخرج آلاف من الناس المثقفين إلى الشوارع **رافعين راية الحرية لدولة الآلهة** وهاتفين النعرات ضد القانون، وداعين الحكومة إلى سحب هذا القانون الأسود ومطالبين بالحرية الشخصية.

لكن الحكومة اليمينية الرجعية المتطرفة انقلبت إلى أذن أصم، ولم تهتم بمطالبهم.. فاضطر المتظاهرون إلى الجلوس في إضراب غير نهائي. ولم تشترك نوال في هذه المظاهرات فقط، بل لعبت دورا مهما في تنظيم الإضراب النهائي الذي تحوَّل إلى حركة شعبية ضد هذا القانون، وضد الاعتداءات الطبقية في البلاد.

كان مقر الحركة الشعبية المسماة بـ الحركة الشعبية المضادة لقانون تعديل الجنسية" **مدينة "النهر" التي تموج فيها كتل بشرية، وتغلي فيها تيارات سياسية**، وانتشرت في نواحي البلاد، ولاسيما في المقاطعات ذات الأكثرية للمسلمين. فاتسعت دائرتها، وانضم معظم المواطنين المثقفين إليها، مدركين خطورة هذا القانون الهادف لتأسيس **دولة دينية** محل الدولة العلمانية، فكادت الحركة أن تهز أركان الحكومة، وأن تجبرها على سحب هذا القانون.

غير أن الحكومة اليمينية المتطرفة التي جاءت إلى الحكم بالانتخابات البرلمانية راكبا بسياساته الطائفية، استخدمت إعلامها الطباعي والتلفازي في استقطاب الناس لهذا القانون الجديد للجنسية، ولقبت المحتجين بخائني الدولة. وظل إعلامها الطباعي والتلفازي **يسمِّم جوَّ مدينة النهر"** ويبذر البذور الطائفية بين أهاليها حتى **سَخُنَت أرضها بالنفور والكراهية** والغضب، وشحن جوُّها بالتربص والحذر والخوف والتقزز، وتحول جوها الهادئ الذي كان يعيش فيه مختلف أتباع الديانات بالسلم والانسجام والتسامح لعصور طويلة،

إلى جوٍّ سريعِ الاشتعال قابل للانفجار في أية لحظة، ربما لحادثة تافهة أو نكتة سخرية.

في ظل هذا الجو المشحون، إذ بقائد سياسي من الحزب الحاكم يخرج إلى الشارع مع مؤيديه ويهدِّدُ رجال الشرطة بإخلاء مكان الاحتجاج من المحتجين، وإلا هو بذاته يأخذ القانون في يديه ويستخدم العنف في إخلاء المكان منهم. ولم يكتف بهذه الكلمات المهددة، بل قام بتحريض مؤيديه على المسيرة إلى مكان الاحتجاج وإخلاء المكان منهم.... فتقدموا إلى الأمام هاتفين النعرات الطائفية الجارحة للمشاعر الدينية لأتباع الديانات الأخرى، وصابين السباب واللعنات والطوب والحصى على المتظاهرين وغير المتظاهرين من المتفرجين وعامة الناس.. فحدثت ضجة كبيرة واشتباكات طائفية انتشرت كالنار والتهمت معظم أرجاء المدينة. واشتد القتال وتضخم. فاستمر المشاغبون المأفون في بث الفساد فيها، ودمّروا البيوت والمقاهي والمدارس والمآذن والمستشفيات والمصانع والمحلات، ومخادع النوم، وأحرقوا مكاسب الأعمار والعلاقات الوطيدة القائمة منذ الدهور، وقتلوا من وجدوه من الرجال والنسوة. فلم يسلم رجل واحد وما من أسرة واحدة إلا فقدت رجلا أو أكثر، أو أصيب أحد أو أكثر من أفرادها بإصابات قاتلة. وخَلّفت هذه الاشتباكات جروحا لن تلتئم، وتركت رواسبَ جسيمةً أبكت وتُبكِي المتأثرين بها للأمد الطويل.....ولم ينج منها إلا من كانوا قد ذهبوا خارج المدينة سعيًا وراء رزقهم ولكن لدى رجوعهم اكتشفوا أن كلهم فقدوا إمَّا أبا أو أُمًّا، ابنا أو ابنة، أخا أو أختا، عما أو عمة، خالا أو خالة، صديقا أو صديقة، أو أحدا من أقاربهم...

وخلال مدة الاشتباكات الطائفية بقيت الشرطة ورجال الأمن مكتوفي الأيادي. بل ربما أن رجال الشرطة بذاتهم تورطوا فيها ووفروا حمايتهم للمشاغبين المجانين. وعندما توقفت الاشتباكات الطائفية ألقت الشرطة

القبض على المحتجين سلميا ضد القانون الجديد للجنسية بتهمة تورطهم في هذه الاشتباكات الطائفية. وألقت القبض على نوال أيضا ومثَّلتها أمام القاضي وطلبت منه الحجْر القضائي لثلاثة شهور. فقبل القاضي التماس الشرطة ومنحهم الإجازة بإرسالها إلى الحجْر القضائي لثلاثة شهور.

فذهبت بها الشرطة إلى السجن الأكبر في المدينة، وألقوها في إحدى غرفه. وكانت غرفة السجن ضيقة وسخة، تتبلل جدرانها بتسرب الماء القذر وتفوح منها الرائحة الكريهة وتستسلم لظلمة قاتمة مروعة لا يوجد فيها مصباح ولا ضوء إلا **الضوء الضئيل الذي** يتسلل من نافذة صغيرة مطلة على داخل دهليز السجن. وهي غرفة للمجرمين المتوحشين. فساورها الخوف والدهشة من الغرفة وجوها الكئيب المستسلم للظلمة واليأس. وكاد الخوف والدهشة تطيران بلبها. فإذا بها تتذكر أباها بذعر، وإذا بخيال أبيها يقوي في مخيلتها حتى يُركِبَهَا على طائرته أو طائرة الخيال التي تطير بها عبر العصور حتى تُوصِلَها إلى مرحلتها الطفولية حيث تجد نفسَها طفلة صغيرة يداعبها أبوها الشاب، ويغسلها بيديه، ويُمَشِّط شعرها ويُلْبِسُها بذاته لباسَها، ويحبُّها ويدلِّلُها ويفعل كلَّ ما كانت تفعله لها أمها التي ماتت وكان عمرها حينئذ سبع سنوات فقط. فحلَّ أبوها محل أمها في الاعتناء بالطفلة الصغيرة السن التي يرى فيها صورة زوجته الحبيبة ويعدُّها هدية ثمينة من السماء. ويجود عليها بالحب والدلال ما أمكن له أن يجود بهما عليها، ويربّيها كولدٍ في بلد أبوي حيث يمارس المجتمع التمييزَ الأبويَّ في تربية الأولاد، ويفضِّل أولاده الذَّكور بالأشياء دون الإناث. فأحسن تربيتها تربية حسنة، وأعطاها تعليما حديثا. فأدخلها في مدرسة ذات سمعة طيبة من ناحية توفير نوعية التعليم، وأطلق لها العنان في الحرية ولم يحصرها في الحصار المنزلي، ولم يُثبِّطها في أي شيء، بل شجَّعها على منافسة الذكور، ونفخ فيها الروح المتحررة. فظلت تتعلم بحماسة حتى نجحت – بعد إكمالها برنامجين تعليميين في البكالوريوس

والماجستير– في القبول في برنامج الدكتوراه في **أكبر جامعة في البلاد وأحسنها من ناحية توفيرها لنوعية التعليم العالي ولحرية الأفكار**، فتفتحت موهبتها للأفكار المتحررة، ونضج عقلها وميزت بين الأفكار الصحيحة وغير الصحيحة ، وتوسعت معرفتها بالنظريات العلمية والسياسية، ونما داخلها الوعي السياسي، واصطبغت روحها بالصبغة الإنسانية المائلة إلى اليسارية، ونهلت فيها من الآداب العالمية، وتأثرت فيها بالحركة الرومانسية والحركة الواقعية الاشتراكية. ثم تحمست للعمل فعليا للطبقة المهمشة، ولِرفع صوتها ضد اعتداءات المؤسسات الحكومية. فانضمت إلى منظمة غير حكومية تعمل بحيوية لرفاهية الطبقات المهمشة وترفع بجرأة صوتها عند إهدار المؤسسات للعدالة. فظلت فيها تعمل بحماسة لإنجاز مهمتها ....حتى أدت نشوة نظريتها لرفع الاعتداءات من أرض بلادها وإحلال المساواة محل الظلم، إلى هذه الغرفة الضيقة ذات الرائحة الكريهة المظلمة الموحشة التي استشعرت فيها بالدهشة والخوف، ودعت أباها بذعر، وصاحت فجأة أبي أبي.... - كما كانت تصيح في طفولتها كلما واجهتها مشكلة- لينقذها من هذا الكابوس الذي كاد أن يخنق أنفاسها ويقضي على وجودها. فحينئذ يظهر في مخيلتها القوية أبوها العجوز المحنك المصقول من تقلبات الزمان، ويقول لها ببرود:

- "يا ابنتي لا تخافي من السجن. **فإن السجن موضع لم ينج منه عظماء البلاد الذين قضوا فيه قسطا من أعمارهم. غير أنهم لم يُضيِّعوا الأيام التي قضوا في السجن، بل استخدموها في قراءة الكتب ومطالعتها، وحوَّلوا السجن إلى مكتبة وكتبوا فيه كتبا غيَّرت مجرى التاريخ، وساعدت في استقلال البلاد الذي تحاربين للمحافظة على روحه وتعانين عقوبة السجن لأجله. فلا تخافي ولا تستوحشي منه**... فإن السجن لا يخافه إلا المجرمون. فلا

تخافي...ولا تحزني.... وستتحقق العدالة ويفوز الصدق على الكذب ويسود الحق على الباطل."

ملأتها هذه الكلمات الجريئة الخارجة من فم أبيها جرأةً وحماسةَ، فبدأ يتبدد منها الخوف والوحشة اللذين استشعرتهما في بداية الأمر ...وهي تريد أن يستمر كلام أبيه هكذا، وتربت يداه ظهرَها بدلال، وتُسنِدَ رأسها على صدره، وتتمنى أن تقول له أنها ستفعل ما يريد وتحارب حروب المظلومين مادامت هي حية ترزق... غير أن تخيلها ينقطع من وقع أقدام تقترب منها. فتنتبه إلى مصدر هذه الأصوات وإذا بها تبصر ضبّاط الشرطة يقتربون من غرفتها، لعلهم يجيئون إليها للاستجواب. وقبل دخولهم الغرفة، يضغط أحد منهم زرَّ المصباح الكهربائي الملتصق بالجدار من الجانب الخارجي. فينتشر نوره في غرفتها المظلمة. بعد ذلك يدخلون الغرفة. وكان في مقدمتهم رئيسهم، كما يبدو من سلوكه وسطوته، واحترام الضباط الآخرين له وخضوعهم له في كل أمر وتسابقهم إلى خدمته. وهو رجل في نحو الخمسين، معتدل القامة، قوي الأعصاب، متجهم الوجه، وغليظ الصوت، ذو نظرة تحتانية لا تستقر على مكان، تنظر إلى كل شيء بعين متجسسة، يتقطر منها المكر. فإثر دخوله الغرفة يتقدم بذاته إليها، ويقول لها بصوت آمرٍ رنانٍ واضعًا أمامها ملفا من الأوراق:

- وقّعي على المستندات الورقية الموجودة في داخل هذا الملف.

تسأله قائلة:

- ما في هذه المستندات الورقية؟

فيجيب الرئيس:

- اعترافكِ بكل ذنبٍ ارتكبت.

تقول بلهجة قوية ممتزجة بالثقة والحنق:

- ولكنني ما ارتكبتُ أيَّ ذنبٍ غير قيامي باحتجاج ضد القانون الذي أحسبه مخالفا **لدستورنا الذي يمتاز بالروح الديمقراطية. وهذا الدستور** بذاته يمنحني حقا للقيام باحتجاج سلمي.

فقال الرئيس بصوت خشن:

- ولأجل الاحتجاجات السلمية التي قمتِ بها، اشتعلت الاشتباكات الطائفية في المدينة. فأنت مسؤولة عن الاشتباكات الطائفية الواقعة في المدينة وعن الأموات الذين قضوا نحبهم فيها.

فتقول رافضة لقوله:

- كل ما تقول ليس بحق.... وأنت تعرف جيدا من هم المسؤولون عن هذه الاشتباكات؟ ومن هم الذين رسموا الخطة لهذه الاشتباكات الطائفية؟ ومن استفادوا منها ومن سيستفيدون منها في المستقبل؟ ومن صاروا حكام البلاد راكبين على أجنحة السياسة الطائفية؟

فيقول الضابط المحقق بضجر:

- لا تلقِيْ محاضرة علينا.... نحن جئنا لأخذ توقيعك على هذه الورقات...

- فتقول له في لهجة مفعمة بالبرودة والضراعة:

- صَدِّقنيْ ليس لي أي تورط في هذه الجرائم..إنني ناشطة للحقوق الإنسانية وأعمل لبث العدالة والرفاهية بين جميع مواطننا ولا سيما بين الطبقات المهمشة، وأمقت الجرائم بقدر ما أحب القوانين. ولم أستطع أن أفكر حتى في الحلم في اشتعال الاشتباكات القاتلة للأبرياء، و.....

- فيقول قاطعا لكلامها:

- أنا أعرف جيدا أنكِ لم تكوني متورطة في هذه...... ولكنك قد أفسدتِّ خُطَّةَ أرباب أهل العقد والحل لتحويل الدولة إلى دولة هندوسية من خلال

قيامك بسلسلة الاحتجاجات والمظاهرات، وخلقتِ عرقلة كبيرة في سياسة الساسة الكبار لهذه البلاد. لذلك جاء الأمر من الأعلى أن أُلْقِيَ القبض عليكِ بتهمة إشعال هذه الاشتباكات.. وأنا مضطر أيضا على ذلك.... فعليك التوقيع.....

فتقول متحدية:

- ما أخاف أحدا...ولن أُوَقِّعَ على ورقة من هذه الورقات تحت أي ضغط منك ومن صاحبك الأعلى.

- ويقول مهددا لها:

- لا فائدة للمقاومة، فعليكِ أن توقعي طوعا على هذه الورقات أوكرها..... ومقاومتك لا تنفعك شيئا ولا تنقذك من المشنقة لأن الرجال الكبار هم ورائك.

وتقول بلهجة جافة مفعمة بالثقة:

- لي ثقة بمحكمة البلاد وقوانينها، سألجأ إلى المحكمة لإثبات براءتي.

فيصيح بغضب:

- فافعلي ما تريدين ولكن الآن يجب ان توقعي على هذه الورقات بإمضائك .... وإلا سأكون مضطرا إلى استخدام العنف وإجباركِ على التوقيع....

وتصيح بصوت متهدج:

- فافعلْ ما تشاء، فلن أوَقِّع على ورقة بمثلها...

فيلتفت الرئيس بوجه غاضب إلى ضُبّاطه المرؤوسين ويقول لهم: اضربوها ما دامت لن توقع على هذه الورقات...ثم يخرج متجهم الوجه من غرفتها الضيقة تاركا وراءه ضُبَّاطه المرؤوسين الذين ما سمعوا أمر ضابطهم الكبير بضربها

حتى توثبوا إليها كذئاب جياعٍ، وبدأوا يضربونها بشتى الطرق، فصفعوها ولطموها وركلوها، وتنوعوا في هذه الصفعات واللطمات والركلات والضربات. واستمروا في إيذائها عدة ساعات بدون انقطاع.

ولكن نوال صمدت لهذه الضربات قبل انهيارها مثل صخرة تصمد أمام العاصفة الهوجاء التي تقلع كل شيء قبل تمزقها، وظلت تفضِّلُ تحمُلَ العذابِ الجسمانيِّ كلبؤة جريئة على خضوعها للكذب والزور والجبن والعبودية حتى تهاوت في انهيار كامل، وعانقت الموتَ تاركة لحياة ملوثة بالكذب والزيف والجبن. ولو استطاعت الضربات أن تقضي على حياتِها، ولكنها لم تستطع أن تلوِّث روحَها بالكذب والجبن. فتحول جسمها الجميل الناضج إلى جثة باردة.......وفيما بعد أفاد التقرير المكتب تحتِ النفوذ التأسيسي لتشريح جثتها: أن موتها قد وقعت بسبب نوبة قلبية...وبعد عدة شهور، نطقت المحكمة بتبرئتها من كل الاتهامات الموجهة إليها.

ولكن روح نوال ما سمعت في السماء هذا الحكم الصادر من **المحكمة الأرضية** إلا تضاعف حزنُها وازداد ألمُها واشتد تململها وتجددت جروحُها حتى نزلت من السماء إلى الأرض مضطرة ومقلقة. ومنذ ذلك الحين تتشرد روحها المجروحة في شوارع المدينة وتصرخ قائلة: "ما الفائدة من حكم لم يستطع تبرئتها وكانت حية ترزق؟ وما الفائدة من حكم لم يستطع إنقاذها من الأيدي الظالمة القوية؟ **ألم يكن قتلِي بدون ذنب بمثابة قتل العدالة وإهدارها.**" ثم تسأل باكية أهلَ المدينة: "متى تستيقظون يا أهل المدينة من سباتكم العميق، ألَا يجب عليكم أن تقوموا ضد كل ظلم وعدوان يمارسهما بعض رجال السياسة – الذين هم بمثابة ذئاب في صُوَرِ الإنسان – لإنقاذ أولادكم من القتل المُؤَسَسِيِّ وموتهم في الغرف المظلمة الضيقة بالسجون التي تلتهم أعمارهم مهدرة للعدالة. وهل يمكن تحقق العدالة عندما يطوف المجرمون الحقيقيون أحرارا؟ وهل يمكن حفظ الأمن بإهدار العدالة عندما يُحبَسُ الأبرياءُ في السجون؟" ولكنْ تَعَصُّبَهم

الديني خدَّرهم وسكرهم. فلم يستطيعوا سماع صوتها المستيقِظِ للضمائر. ولكن روحها لا تزال في انتظار لاستفاقَتِهم من تخديرهم الديني ومن سكرهم الحزبي!!!

.....................❖❖❖❖❖ ....

قصة إنجليزية

قصة: الفأل

قصة لـ:ناميتا غوخالي [*]

ترجمة: د. مخلص الرحمن [**]

mukhles1@gmail.com

كنت في صالون التجميل "سيكريت"، وفي الممرات الجانبية لـ وولد بانيشور، توجد فتاة شابة تزيل شعر ذقني بالخيط، وأنفاسها عَبِقة بنكهة الفواكه، وتفوح رائحة الملابس المتسخة الرطبة الموسمية من إبطيها. كان وجهها قريبًا جدا من وجهي، وكانت عيناها مركزتين، وشفتها العليا مزخرفة بالعرَق.

عندما انتهت، أعطتني ابتسامة متعاطفة، واختتمت حديثها قائلة: "إنه عمل شاق لامرأة"، وهي تنفض ذقني الناعم الآن بمسحوق التلك الصيني. ثم قالت "وومون" بدل وومن. ابتسمتُ مرة أخرى في التضامن.

لقد تغيرت كاتماندو منذ أن زرتها قبل عشر سنوات، بدا الجو أكثر سخونة وازدحامًا، ولكن لسبب غير مفهوم، كانت المدينة بأكملها تبدو بنفس الحال على صورتها. وادي كاتماندو مكوّن على شكل كأس جميل، تحيط به الجبال والسحب وقمم ثلجية غير مرئية، يشق نهر باغماتي طريقه عبر الوادي، وينحدر من جوكارنا شاقّا طريقه عبر الوحل والقمامة والحطام والنفايات باتجاه تيراي ثم بيهار.

لقد حضرت مؤتمرًا يتحدث عن: "الهجرة وسبل كسب العيش والهويات الكلية والجزئية. معظم أعضاء الوفود من خبراء نيبال، أحبوا المدينة وبيئتها. تحدثوا عن مدينة بوخارا ، وعن شرائح لحم الجاموس والنمط الماوي

---

[*] كاتبة هندية ومديرة مؤسِسة لمهرجان جيفور للآداب، الهند. لها عشرون مؤلفا في الموضوعات المختلفة بما فيها القصة القصيرة والرواية والمسرحية وغيرها.

[**] أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة العربية، كلية ايتش. بي. التابعة لجامعة بردوان، الهند.

بكل مودة وإلمام، غادرتُ هذه المجموعة السعيدة من الأصدقاء، وهم يشربون البيرة وينشئون العروض التقديمية على برنامج باور بوينت، وقد وعدت والدتي بأنني سأذهب إلى معبد باشوباتيناث لأداء صلواتي وطلب بركة الإله، وكان مطلوب منهم أن يمنحوني زوجًا وسيمًا قويا موسرا، ليخففوا من مخاوف والدتي بشأن عنوستي المستمرة وتبتلي المتواصل. وبعد أن أعربتُ تضامني مع الأنوثة في صالون التجميل، خرجت من هناك.

لمع برج مدخل المعبد الذهبي المزخرف بضوء خافت في وقت متأخر بعد الظهيرة، تغيرت الغيوم الداكنة مع أشعة الشمس الساطعة التي غسلها المطر. خارت الأبقار في حظائرها المؤدية إلى المعبد الرئيسي. فجأة، دفعني ستة حراس مسلحين يرتدون ملابس مموهة إلى جانب الممر الضيق. كانوا يسيرون خلف كاهن قصير مستقيم الظهر بهندام عسكري، وهو يرتدي ملابس الزهد الزعفرانية، ويرافقونه إلى المدخل الخلفي الخشبي المنحوت لمعبد باشوباتي الرئيسي. توجه هو إلى الوراء للحظة ليأمر الحراس بشئ ما، تلاقت عيناه بعيني. وكان يظهر عليهما علامة ازدراء واحتقار. صرفت نظري بعيداً وواصلت السير إلى الأضرحة المواجهة للنهر. أمّ بدينة من مدينة مدراس – تتكلم بلهجة أمريكية-تاميلية – عبرت الجسر وبدأت تمشي بجانبي. وترافق فتاة أسترالية شابة توجهها بصوت عالٍ بطريقة صوفية للهندوسية، كانت تدوّي حروف العلة والحروف الصحيحة في فمها بدون ترتيب، وتسلسل ما لا يمكن التنبؤ به. مثلا تقول: تم بناء هذا المعبد عام 400 للميلاد، قبل آلاف السنين...

رائع! وأعني ذلك، أجابت مرافقتها. وكانت تلك المرأة الثرثارة ترتدي بدلة مثيرة من الدنيم وعلامة براهمانية على جبينها، قدميها مغطاة بجوارب الطيران الناعمة و شبشب فليب فلوب مطاطي على غرار الغيشا (المغنية والراقصة اليابانية). ووجهها محاطٌ بهالة من الشَعر الرمادي المتجعد. كل

شيء فيها بدا هزليًا وغريبًا، بالإضافة إلى ذلك نوبة الهوس والتهديد في صوتها العالي والبقبقة المستمرة، وهي التي أفسدت تجربتي في المعبد وأبعدت الرومانسية ونزعة الخلود.

لا يُسمح لغير الهندوس بالدخول إلى المعبد الرئيسي، ويمكن له أن يحضر إلى ههنا! هي واصلت الكلام، وإلا فإن النمل الأبيض سوف تدمر المنحوتات المقدسة. رائع! أجابت الفتاة الاسترالية وقد قلّت حماستها.

جئت لأصلي لشيفا، خالق الكون ومدمره، بدون الالتفات إلى تفاهات هؤلاء النساء، واصلت السير على طول النهر، مصممّة على تركهم ورائي. لم توجد هناك معابد، فقط بعض المقاعد التي تشبه الكهوف على طول المنحدرات المنخفضة المتاخِمة لنهر باغماتي. جلس صبي على واحد منها وهو يعزف على مزمار خشبي. تجمعت أربعة كلاب سوداء حوله وترفرف بآذانهم تقديرا. كان صوت المزمار يبدو مثل الموسيقى الحلو بعد ثرثرة الأم من مدينة تشنائ. واصلت المشي متابعاً الموسيقى.

كان الصبي جالسا على منصة خشبية مؤقتة مثل سطح السفينة ما نتَأَ من فتحة ضيقة في الصخر. إنه استدعاني، فتبعته بصمت في ذلك الكهف الفسيح المظلم. كانت له منصة مرتفعة مع فراش عليها. وكان جسد ممدود على الفراش يحدق في السقف.

"مرحبا!" جاء صوت رجل، وهو استخدم نفس اللهجة وطريقة النطق التي استخدمتها الفتاة الأسترالية إذ قالت: "واو!" ولم أكن ألتفت إليها. "مرحبًا بك في كهفي. أنا نيوزيلندي دخلت روح المعلم الذي كان يعيش ههنا. كنت أصبت بجلطة دماغية قبل أربع سنوا ت، وقد أحضروني إلى هنا. أنا أحدق في السقف منذ ذلك الحين. هل ترغب في الحصول على دعائي؟"

تساءلت، من هم أولئك؟. من جاء به إلى ههنا؟ هو واصل كلامه قائلا: "قد يعتقد الناس في هذا العالم أنني مجنون، ولكني لست كذلك. إذا حدقتَ في

السقف لفترة طويلة واستمعت إلى صوت النهر، تتضح أسرار الكون أمامك"، وكنت أستطيع أن أسمع صوت النهر يجري تحتنا، وأجراس المعبد تئن وترن وتدق من بعيد.

سألته: من أنت؟ هل يمكنني أن أساعدك بشكل ما؟ "أجاب الرجل: أنا توم. أنا بخير. المعلم يراقبني وسيساعدني على الارتفاع فوق السقف. ساقي وذراعي اليمنى مشلولتان. لكنني أدير الأمور. روحي سليمة ".

أنا هربت من الكهف ويطاردني الخوف والشفقة. قال توم: "لا تذهب. لا تذهب بعيدا، من فضلك، لم أتحدث مع أي شخص باللغة الإنجليزية لفترة طويلة جداً. أنا غادرتُ. الدخان الرطب اللاذع المنبعث من محرقة الجثة ملأ الهواء. كانت الجثة مكوّمة بالأخشاب والأعشاب، لكن النار رفضت أن تشتعل. كاهن، وعليه أثر الغضب، كان يعيد ترتيب الأخشاب محاولا تأجيج النيران. لم يكن هناك أقارب بجواره للرثاء والندب، على الأقل لم أتمكن من رؤية أحد. ظهرت قدما الميت، وهما بدتا ضعيفتين جدا عندما برزتا من تحت كومة من الخشب والعشب. لونهما أصفر باهت وكانتا مغطاتين بالطين والأوساخ. فهما قدما رجل كان يمشي حافي القدمين ويسافر عبر التلال والغابات.

اخترق شعاع من الضوء الغيومَ وأضاءت أصابع قدميه، بدت واضحة كما لو كانت تنتمي إلى مكان عَتَبيّ بين الموتى والأحياء، ربما احترقت فروة الرأس أخيراً كما أنني أشتم رائحة احتراق الشعر. جعلتني الرائحة الكريهة أتقيّأ، وتقهقرت من المعبد، ونسيتُ التقوى والورع. وفي السماء، كانت الغيوم تتبعثر مرة أخرى، وقوس قزح ضعيف ظهر عبر الوادي، وهي رحمة وعزاء.



قصة أردية

قصة: الكفن

قصة لـ: بريم تشاند *

ترجمة وتلخيص: د. قمر شعبان **

q.shaban82@gmail.com

كان الأب وابنه جالسين بالقرب من جمرات نار تكاد تنطفئ على باب الكوخ، وكَنَّتُه "بدهيا" تئن لمخاضها وتصرخ، وتطلق زفائر تبلغ منها قلوبهما الحناجر، وكانت الليلة جد قارسة، يسودها صمت رهيب، وتُخَيِّم القريةَ كلَّها دياجيرُ الحلكة.

كيسو (الأب): "يبدو أنها ستموت، لقد أمضت النهار بأكمله متململة، اذهب إليها وتحقق من حالها"

مادهو (ابنه) مكفهراً: "إذا كانت تموت فلتمت في أسرع ما يمكن، ماذا أتحقق منه"؟

كيسو: "أنت شقي جداً، لا تجوز لك هذه الغلظة إلى امرأة تمتعت من فضلها بلذة الحياة طوال السنة."

مادهو: "لا أستطيع أن أراها متململة متأوهة."

كانت هذه أسرة خصاف سيئة السمعة في القرية، إن عمل كيسو يوما استراح ثلاثة أيام، وكان مادهو كسولا جدا يعمل ساعة ويدّخن النارجيلة ساعة أخرى، فلا أحد يوظفه، وإذا وجدت في بيته حفنة من الحبوب استغنى عن العمل. وإذا احتاج إلى غداءٍ أو عَشاءٍ صعد شجرة وقطع الحطب، وباعه في السوق، ثم يتيهان هنا وهناك عبثاً ما دامت الأقوات موجودة في المنزل. وإذا كان

---

* كاتب وروائي وقاص هندي كبير، كتب باللغة الهندية واللغة الأردية.

** أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بنارس الهندوسية، فارانسي، الهند.

في حاجة إلى ما يتبلَّغان به، طفقا يبحثان عن عمل ما. وكانت فرص العمل متوفرة في القرية. فإنها قرية الفلاحين.

لا علاقة لهما بما يجري حولهما من مرور الدهر، يتصبران على الشتم والأذى. يقطفان الحبوب أو البطاطا من حقول الآخرين أم يقلعان قصب السكر ويمتصانه الليلة. لقد أمضى كيسو ستين حولا من ربيع عمره على هذا النمط من العيش الزهيد. واقتفى ابنه مادهو أثر أبيه في كل شيء، بل زاد الابن على الأب. وفي هذه اللحظة الحرجة أيضا هما منغمسان إلى شيِّ البطاطا التي سرقاها من حقول الآخرين. وزوجة كيسو ماتت منذ عهد قديم. وتزوج ابنه مادهو العام الماضي فقط. ومذ دخلت زوجته هذا المنزل أسست فيه المدنية. تحترف الحِرَفَ، وتكسب بعرق الجبين ما تقتات به هي نفسها، وتملأ به جهنم هذين اللعينين قليلي الحياء. وبمجيئها هذا المنزل زاد كلاهما كسلاً وتراخياً. والآن، هذه هي المرأة نفسها، التي تتململ للمخاض تململ السليم منذ الصباح. أما قليلا الحياء هذان، فهما في انتظار أن تموت في أسرع ما يمكن ليأخذا قسطا من راحة النوم.

كيسو مقشرا البطاطا المشوي: "اذهب وتأكد من حالها، ربما عَلِقَ الجنين"

ولم يكن مادهو أن يذهب إليها خوف أن يأكل أبوه كل ما تبقى من البطاطا.

"يُهيبني منظرُها"

"لِمَ تهاب؟ أنا هنا موجود"

"فلِمَ لاتذهب أنت"

"عندما ماتت زوجتي كنت بجوارها منذ ثلاثة أيام، ولم أفارقها لثانية، ربما هي ستخجل مني، لم أر وجهها حتى الآن قط، فكيف أرى جسمها الآن، وإن رأتني أمامها ربما سوف لاتحرك الأرجل والأيادي استحياءً"

"ترى، ماذا سنفعل إن أنجبت مولوداً؟ لا يوجد في المنزل شيء من الزنجبيل والسكر الأحمر والزيت"

"بإذن الرب، سوف يتوفر كل شيء بعد الإنجاب، فالذين لايؤتون شيئا الآن سوف يغدقون أموالاً من قريب إن أنجبت. كان لي تسعة أولاد، ولم يكن في البيت شيء، ولكن سرعان ما امتلأ البيت من المال هكذا."

جلس كلاهما يتناولان البطاطا الحارة، منذ أمس لم يأكلا شيئا، فعيل صبرهما، ولم ينتظرا أن تبرد البطاطا، لقد احترق لساناهما مرة بعد أخرى. لم يُحِسَّا بسخونة البطاطا المشوية المقشَّرة من فوقها، ولكن عندما مضغاها مضغة واحدة لم يكن بد من سخونتها المفرطة إلا أن يبتلعا ها مباشرة، ويتركاها تبرد في أعماق البطون، على الرغم من أن أعينهما تذرف بالدموع لاحتراق اللسان.

بعدما فرغا من ابتلاع البطاطا، شربا الماء، وغرقا في النوم أمام الجمرات الملتهبة مفترشين على الإزار كأنهما فحلان ميتان سقطا على الأرض. وزوجته لاتزال تئن ألماً.

وفي الصباح، وجد مادهو أن زوجته لفظت أنفاسها الأخيرة. وصارت جثة هامدة. وهي شاخصة أبصارها، وتَطِنُّ فوقها الذباب. وقد تلطخ جسمها كله بالطين والتراب. ومات الجنين أيضا.

هرع مادهو إلى أبيه، وأخذا يصرخان وينوحان على الميت. أسرع إليهما الجيران يقدمون التعازي على وفاة الحامل.

كان عليهما الآن القيام بالتجهيز، وشراء الكفن، وتشييع الجنازة. ولكن لم يكن لديهما مما يشتري به الكفن.

ذهب الأب وابنه إلى الإقطاعيين مع دموع التماسيح، كانوا يكرهون رؤيتهما. وقد ضربوهما مرات، على السرقة، وعلى ترك العمل. سألوا:

"ما بك يا كيسو؟ لِمَ تبكي؟ لانراك. يبدو أنك لاتريد البقاء في القرية."

كيسو مطاطاً رأسه نحو الأرض بعين تفيض دمعة: "سيدي فجعتُ برزيئة. لقد ماتت كَنَّتي البارحة، ولايوجد من يحضِّر لنا حتى خبز واحد، لقد هلكنا سيدي، وتحطم المنزل. أنا عبدك. ولايوجد من يعطينا من مال نجهز به الجنازة غيرك. لقد نفد ما كان لدينا من مال في العيادة والأدوية. ولايتسنى تجهيز الجنازة إلا من كرمك وفضلك.

كان الإقطاعي هذا سمحا كريما، فكر أولا أن يطرده، ويقول له اذهب ودع الجثة تتعفن في بيتك. إذا ما احتجتُ إليه لايجيب. وعندما احتاج إليَّ الآن يلين ويخضع ويداهن. ياقليل الحياء! يا أيها الشرير الأوباش! ولكن لم يكن هذا وقت الزعل والانتقام. فعلى الرغم من أنفه رمى إليه روبيتين. ولكنه لم ينبس ببنت شفة تعزية على الجنازة. ولم يلتفت إليه، كأنه خفف الثقل عن رأسه."

عندما أعطاه إقطاعي القرية روبيتين، بدأ يتبرع له تجار القرية وأثرياؤها الآخرون: بعض بفلسين، والآخرون بأربعة فلوس، حتى صارت لديه في ساعة أو سويعة خمس روبيات. ثم أعطى البعض حبوبا، والبعض الآخر الحطب والخشب. واتجه كيسو وابنه عند الظهيرة إلى السوق لشراء الكفن.

كيسو (بعدما وصل إلى السوق): لقد حصلنا على ما يكفي لإحراق الجثة من الحطب والوقود، ما رأيك يا مادهو؟"

مادهو: "نعم، يكفي الوقود، والآن في حاجة إلى الكفن ولا غير."

"إذن، سنشتري كفناً من نوع رخيص."

"صحيح، سوف يجن الليل عند التجهيز، ومن يرى الكفن في الظلام الحالك."

"ما أسوأ هذه التقاليد! من لم يكن لها حتى لباس خلِق في حياتها، يكتسي كفناً جديداً بعد وفاتها."

"ثم الكفن يحترق مع الجثة"

"ياحبذا لوكانت لدينا هذه الروبيات الخمس لاشترينا لها الدواء !"

جعلا يتسكعان هنا وهناك في السوق، حتى غربت الشمس، إذا بهما أمام خمارة. دخلاها كأنهما على عهد بذلك. ظلا واقفين برهة، ثم أخذ كيسو زجاجة خمر، وحلاوى، وشرعا في الشرب في صالون الخمارة، وبعدما شربا أكوابا تلو أكواب، غلبتهما السكر والإغماء.

كيسو: "ماذا في الكفن؟ غير أنه سيحترق مع الجثة، ولن يرافقها إلى الفردوس."

مادهو رافعا رأسه إلى السماء، لعله يناجي الملائكة، ويبرِّئ نفسه من ذلك: "ولكن كيف نواجه الناس يوم القيامة؟ ألا يسألون: أين الكفن؟

قهقه كيسو: "سوف نقول لهم: لقد ضيعنا الروبيات! لاندري أين سقطت؟ !

قهقه مادهو أيضا، وتفوّه على هذه السعادة المفاجئة في هزيمة القدَر:

"طوبى لهذه المسكينة! ماتت، فملأتنا شِبَعاً وريّا"

شربا نصف الزجاجة، ثم طلب كيسو الأخباز المقلية، واللحوم المشوية، والإدام، والأكباد المفلفلة اللذيذة، والأسماك المقلية، وكان الدكان قدَّام الخمارة. وذلك كله بروبية ونصف. ولم يتبق لديهما الآن غير فلوس معدودة.

وجلسا يتناولان في أبهة، كأن أسداً يتمتع بصيده، فتفلسف كيسو: تطيب أرواحنا! ألا تسعد بثوابه الميتة؟"

مادهو بكل تقدير وحب: بكل تأكيد! يا رب، أنت العليم الخبير، أدخلها الجنة، ندعو لها من أعماق قلوبنا. فالطعام الذي تمتعنا به اليوم لم نجد هذه المتعة طوال حياتنا.

وبعد هنيهة، فكر مادهو في شيء:

"ألا نذهب إلى هناك يوما ما؟

فماذا نجيب؟ إن سألتنا زوجتي عن الكفن."

كيسو: كيف تدري أنها لاتكفن؟ لستُ أبله! ولم أعش ستين حولا من حياتي سدىً! سوف تكفن بكل تأكيد. ويكون كفنها أفضل مما أردنا شراءه."

ولكن مادهو لم يقتنع بذلك، فسأل ثانيةً:

"من سوف يشتري لها الكفن؟ ولقد أنفقتَ أنتَ الروبيات بأكملها.

كيسو وهو زعلان: "لقد قلتُ لك إنها ستكفن، وكفى!"

ثم انغمس الأب وابنه إلى الاستمتاع بكؤوس الخمر من جديد، وبعدما شبع كل منهما، أعطى مادهو ماتبقى من الأخباز المقلية متسولا يختلس النظر إليهما منذ طويل، وذاقا مرح الخمر للمرة الأولى.

كيسو للمتسوِّل: خذ هذا، وتمتع به كيفما شئت، وادع الرب للميتة، سوف تثاب هي بكل تأكيد. وادع لها من أعماق قلبك، فإنه من كسب عرق جبينها"

رفع مادهو رأسه إلى السماء قائلا: "سوف تدخل زوجتي الفردوس الأعلى، وتكون مَلِكة الجنة!

وقف كيسو طرَباً: "نعم، سوف تدخل الفردوس، فإنها لم تؤذِ أحداً، ولم تظلم أحداً، وقد حققت أغلى أمنياتنا عند الموت، ألا تدخل هي الفردوس؟ هل يدخل

الفردوسَ هؤلاء السمناء الذين ينهبون أموال الفقراء المستضعفين نهباً، ويغوصون نهر الغانج تكفيراً للسيئات، ويقدمون النذر والقرابين إلى الأصنام."

مادهو: لقد تحملت زوجتي المسكينة أنواع العذاب في حياتها، وماتت أيضاً تحت وطأة الآلام والأوجاع". واغرورقت عينا مادهو بالدموع.

كيسو: لِمَ تبكي يا بُنيَّ؟ طب خاطرك! أنها نجت من آلام الأرض، كانت سعيدة ومحظوظة أنها لبَّت نداء الرب. ثم وقفا يغنيان:

وينك يا بعد روحي غبت وقلبي خفقان

آه بس آه لو تدري بغيابك ما كنت فرحان

وكان كل الموجودين في الخمارة يشاهدونهما، ولكنهما ظلا، دونما اكتراث بالحضور يغنيان ويرقصان، فركضا، ووثبا، وقفزا، وتمايلا، وأخيرا سقطا مغشيين على الأرض.

....................❖❖❖❖❖ ....

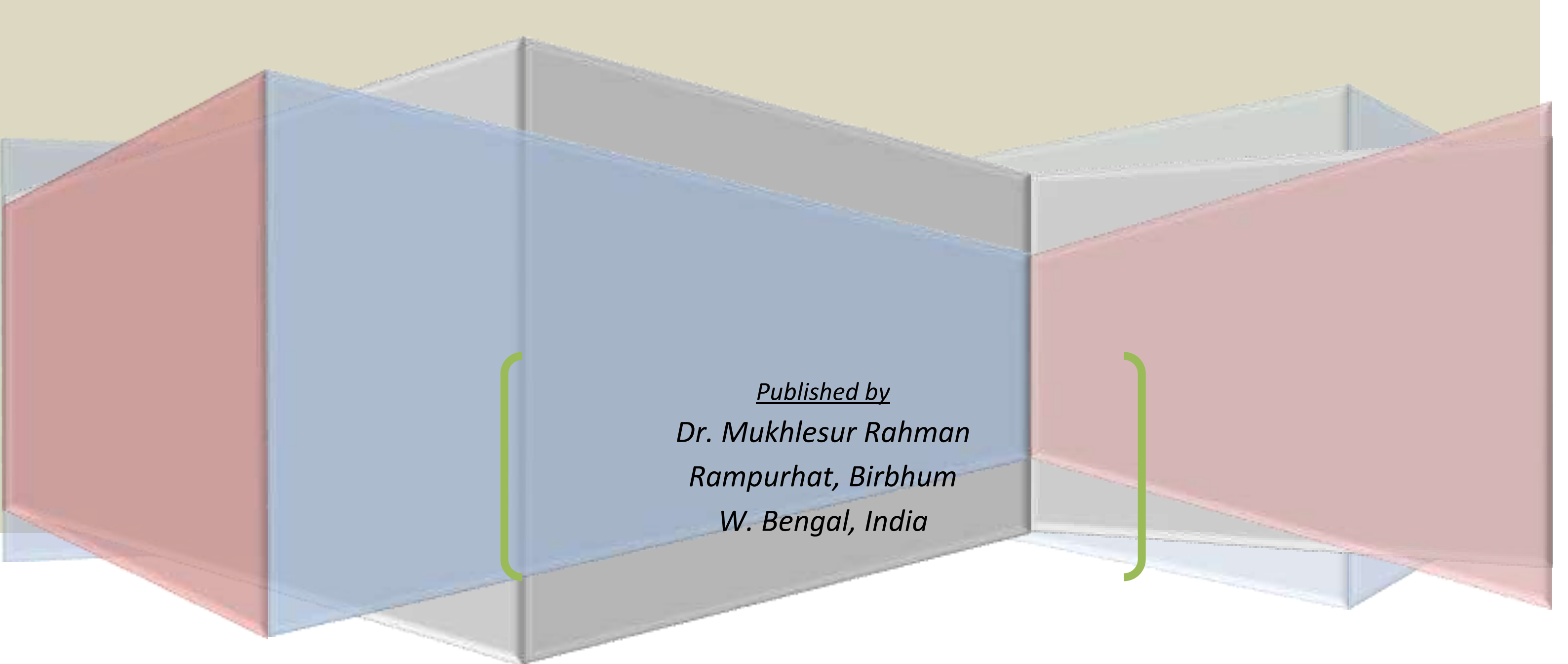
Hilal Alhind

(An Online Quarterly Peer-reviewed International Journal)

Vol. No.2, Issue No. 1
January-March, 2022



Editor-in-chief: Prof. Mujeebur Rahman



Published by
Dr. Mukhlesur Rahman
Rampurhat, Birbhum
W. Bengal, India